T.C.

BINGÖL ÜNIVERSITESI

SOSYAL BILIMLER ENSTITÜSÜ

TEMEL İSLAM BILIMLERI ANABILIM DALİ

ARAP DILI VE BELAGATI BILIM DALİ

NÂZİK EL-MELÂİKE'NİN ŞİİRLERİNDE KİMLİK ARAYIŞI

Hazırlayan

Abdulrazzaq Talaat OTHMAN

YÜKSEK LISANS TEZI

Danışman

Yrd. Doç. Dr. İbrahim USTA

Bingöl-2017

T.C.

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BILIMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERI ANABİLİM DALI

ARAP DİLİ VE BELAGATI BİLİM DALI

NÂZİK EL-MELÂİKE'NİN ŞİİRLERİNDE KİMLİK ARAYIŞI

Hazırlayan

Abdulrazzaq Talaat OTHMAN

YÜKSEK LISANS TEZI

Danışman

Yrd. Doç. Dr. İbrahim USTA

Bingöl-2017

الجمهورية التركية

جامعة بينغول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية

البحث عن الهوية في شعر نازك الملائكة

رسالةُ ماجستر

إعداد

الطالب/عبدالرزاق طلعت عثمان

بإشراف

الدكتور إبراهيم أوسطه

بينغول -٢٠١٧

المحتويات

المحتويات I

التَّعهد IV

توصية المشرف V

المقدمة VI

أهمية البحث VII

منهجية البحث VII

صعوبات البحث VII

ÖZET VIII

ABSTRACT IX

الملخص XI

الإختصارات XII

المدخل 1

الفصل الاول: الأنوثة والهوية الفردية في شعر نازك الملائكة 5

المبحث الثاني: الأنوثة والبحث عن صورة الرجل المثال 13

المبحث الثالث: المرأة وصورة المرأة عند نازك الملائكة 26

الفصل الثاني: الهوية والإنتماء في شعر نازك الملائكة 38

المبحث الأول: المكان والإنسان وجدلية الإنتماء والإغتراب 39

اولاً: الإغتراب والإجتماعي. 40

ثانياً: الإغتراب الإبداعي. 44

ثالثا: الإغتراب النفسي. 49

رابعاً: الاغتراب العاطفي. 54

خامسا: الإغتراب الروحي. 58

المبحث الثاني:(الأنا) وموقفها من قضايا الوطن والأمة العربية 61

61 ..... أولاً: موقف الشاعرة نازك من قضايا الوطن.
65 ..... ثانيا: نازك وموقفها القومي من الأمة العربية.
67 ..... ثالثا: موقف نازك من قضايا الأمة العربية.
68 ..... موقف الشاعرة القومي من لبنان
71 ..... موقف الشاعرة القومي من الوحدة العربية.
72 ..... موقف الشاعرة القومي من الجزائر.
84 ..... الفصل الثالث: الشكل الفني للبحث عن الهوية في شعر الملائكة ودلالاته
85 ..... المبحث الاول: الدور الريادي لنازك الملائكة للشعر الحر
88 ..... دور نازك في التجديد الشعري.
89 ..... عناصر التجديد.
92 ..... الشعر الحر إندفاعاته الإجتماعية.
93 ..... عيوب الوزن الحر
93 ..... المزايا المضللة في الشعر الحر
94 ..... الهجوم على (التجديد):-
100 ..... المبحث الثاني: نازك الملائكة مابين الإلحاد – والتصوف
116 ..... المبحث الثالث: النبرة الحزينة في أشعار نازك الملائكة
133 ..... الإستنتاجات
135 ..... المصادر والمراجع
ÖZGEÇMİŞ 142

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım "**Nâzik el-Melâike'nin Şiirlerinde Kimlik Arayışı"** adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

29 / 05/ 2017

İmza

ABDULRAZZAQ TALAAT OTHMAN

التَّعهد

أتعهد بان هذه الرسالة رأت النور بجهدي وكتبتها بنفسي، بعدعون الله تعالى وقوته، ثم بمساعدة السيد المشرف الدكتور (ابراهيم اوسطه)، في جامعة بينغول، بتركيا، والاستاذ (صلاح مقرر قسم اللغة العربية جامعة بغداد كلية التربية للبنات)، والذي يعود الفضل له في اختيار العنوان، ولم أنتحل من اية رسالة اخرى، وما أخذت من المصادر والمراجع أشرت اليها، ولم أتقدم بهذه الرسالة الى اية جهة رسمية معترف بها لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في اقليم كوردستان، لم احصل بها على اية شهادة معترف بها في اقليم كوردستان.

الباحث

عبد الرزاق طلعت عثمان

توصية المشرف

أشهد أن أعداد هذا البحث الموسوم (البحث عن الهوية في شعر نازك الملائكة)، جرى تحت إشرافنا على صيغتها الحالية، وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية – الادب الحديث.

وبناء على التوصيات المتوافرة ارشح هذا البحث للمناقشة والتقييم.

المشرف

الدكتور ابراهيم اوسطة

التوقيع:

التاريخ

المقدمة

يتضمن التعريف بالشاعرة العراقية. ومنجزها الشعري في ضوء مرحلتها التاريخية التي تمثل منعطفاً فنياً وثقافياً في الادب العراقي والفكر العربي بشكل عام.

نازك الملائكة اسم كبير ورائد في المشهد الشعري العربي المعاصر، وهي اكبر من أن يعرف بها، ما تزال تغري الباحثين بالكتابة عنها: (انسانة، وشاعرة، وناقدة). ولشاعرة اثر كبير في تطوير الشعر العربي الحديث لكي يصبح وما يسمى بالشعر الحر فقد صورت نازك وجسدت سمة حبيبها المثال المليئ بالحيوية والحركة والنشاط بعيداً عن مظاهر الوعظ والوداعة، ولعل الشئ الذي أثارها هو سمة الغضب والتمرد الموجودة في الحبيب المثال والتي كانت إنعكاساً لإزماتها النفسية الحادة وحرمانها العاطفي.

فقد طالبت نازك بأنصاف المراة وإعطائها حقوقها والدعوة الى تعليمها وتثقيفها. بل وأصبحت قيمة المراة فقط الا من خلال أنجابها للاولاد ، والتربية المحددة القاصرة على خلق جيل واعٍ لحقيقته

لقد عانت نازك اغترابات كثيرة، وهذا سبب لها الالم وكآبة وعذابات نفسية وروحية مما ادى هذا بدوره انعكاسا على شعورها وعلى نفسيتها الحزينة الكئيبة، وقد ظلت هذه النظرة المتشائمة تلازمها طوال ايام صباها وظلت تعاني من إحساس يرافقها كالظل بالوحدة والعزلة والحزن، وتمردت واتخذت من العزلة والوحدة أنيساً لها في غربتها.

ووقفت من القضية القومية موقفا مشرفا لانها تحس بأنها واحدة من أبناء الوطن العربي الذي عانى من السيطرة الاستعمارية أشد أنواع القهر والاستبداد والجوع والتشرد والابعاد، وكذلك موقفها من خلال العراق من قبل الاستعمار البريطاني وتجويع شعبه، حين وقفت موقفا بطولياً في جه الاستعمار، حتى تم استبعادها خارج الوطن.

وعرفت نازك الملائكة بثقافة واسعة، كان للبيت والاسرة الاثر الكبير في تحصليها، مما جعلها الإنكباب على قرأة التراث الفلسفي الذي قربها من الفيلسوف الالماني المتشائم (شوبنهاور)، ولقد اعتزلت المجمتع، ولاذت بإغتراب روحي وضعها قبالة اسئلة الوجود الصعبة عن الحياة والموت والمصير، وواقعها في " الالحاد والتشكك الفظيع" ما بين الاعوام (١٩٤٨ – ١٩٥٧)، ولذلك بدأت أرهاصة تصوفها، الى ان تداركتها وحمة الله سبحانه وتعالى وأهتدت في العام ١٩٥٧.

وقد تجسدت ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة، لذا فقد دلت لفظة الحزن لديها على معان عدة من خلال استخدام الشاعرة لها في قصائدها، مثل (الموت، الكآبة، الاسى، الخوف) كلها تدل على طابع الحزن في القصيدة لديها.

وقد اخترت ان تكون رسالتي عن البحث عن الهوية في شعر – نازك الملائكة، حيث انتظمت هذه الدراسة لاسباب منهجية، في ثلاث فصول، حيث أشتمل كل فصل على مقدمة، حيث جاء الفصل الاول تحت عنوان (الانوثة والهوية الفردية في شعر نازك الملائكة)، ضامناً ثلاث مباحث خصص الاول لدراسة (حياة نازك الملائكة وثقافتها). وتبعه الثاني لدراسة (الانوثة والبحث عن صورة الرجل المثال)، أم الثالث لدراسة (المرأة وصورة المرأة في شعر نازك الملائكة).

أم الفصل الثاني فقد عني بـ (بالهوية والانتماء في شعر نازك الملائكة)، عن طريق ثلاث مباحث، كرس الاول منها لدراسة (المكان والانسان وجدلية الانتماء والإغتراب)، والثاني (الأنا والموقف من قضايا الوطن والامة العربية)، وجاء الثالث بعنوان (صور التمرد ومحاولة إثبات الذات).

وثالث فصول هذه الدراسة جاء لبيان (الشكل الفني للبحث عن الهوية في شعر الملائكة ودلالاته)، في ثلاث مباحث، أهتم الاول بدراسة (الدور الريادي لنازك الملائكة للشعر الحر)، وجاء الثاني (نازك الملائكة ما بين الإلحاد والتصوف)، والثالث بـ (النبرة الحزينة في اشعار نازك الملائكة).

ولا بد هنا من التنويه الى ان الدراسات التي صدرت عن الشاعرة كثيرة لا يمكن لباحثٍ، او دارس من ملاحقتها ومتابعتها، ثم أن دراستي المتواضعة هذه لا يمكن أن تستوعب كل ما كتبت عن الشاعرة.

أهمية البحث

وتكمن اهمية البحث في ان المهاد النظري لهذا الموضوع على مصطلح الهوية.وتعدد مفاهيمه بحسب زوايا النظر الفكري، ومن الجدير بالذكر أن هذا المصطلح بمفاهيمه المختلفة دخل خيز الدرس النقدي ضمن النتاج الفكري لما بعد الحداثة، وصار جزءاً من مرتكزات النقد الثقافي للنص الإبداعي.

منهجية البحث

أما عن المنهج الذي استخدمته: فقد زاوجت بين المنهج (التاريخي) الذي يرصد النتاج الادبي وفق مراحله الزمنية، وبين المنهج (التحليلي – الفني): الذي يركز في النص بوصفه جوهر النقد لتكامل عناصره اللغوية والفنية والجمالية.

صعوبات البحث

هناك عدة صعوبات واجهت الباحث من دراسته لعل اهمه الحصول على المصادر والمراجع العربية مما اضطرني لذهاب الى بغداد للحصول على هذه المصادر فضلا رغمَ متاعب الطريق والظروف الامنية الصعبة.

ÖZET

Araştırmacıların üç bölümde açıklamaya çalıştığı Nâzik el-Melâike Çağdaş Arap Şiirine öncülük eden büyük ve önemli bir isimdir. Tanımlanması zor bir kişilik olup araştırmacılar kendisi hakkında bir insan, şair ve bir eleştirmen olarak yazmayı tercih ederler. Nâzik, sevgilisini hayat dolu, vaaz ve yumuşaklık belirtilerinden uzak bir şekilde tanımlayıp onu motive eden muhtemelen sevgilisine olan öfke ve isyanı, akut psikolojik krizinin ve duygusal yoksulluğun bir yansımasıdır. Nâzik, eğitme ve öğretmenin yanı sıra kadın için adalet ve hak da talep etmektedir. Kadının hakkı yalnızca çocuk doğurmak olmuştu, bu sebepten dolayı bu gerçekliğin farkında olan bir neslin yaratılmabilmesi için spesifik bir eğitime ihtiyaç duyuyordu. Nazik, duygularını, üzgün ve kasvetli ruhunda derin etkiler bırakan, acı çekmesine, psikolojik ve ruhsal depresona sebep olan bir sürgüne gönderilir. Bu kasvetli dış görünüşü gençliği boyunca sürdü ve kendisini bir gölge gibi takip eden yalnızlık duygusu, inziva ve kederden acı çekmeye devam etti. Yabancılaşmaya, inzivaya ve yalnızlığına karşı isyan etmiş etmiştir. Ulusal konularda onurlu bir duruş sergiledi çünkü sömürge egemenliği, her türlü baskı zulüm, açlık, evsizliği her boyutu ile yaşamış olan Arap vatanının bir kızıydı. İngiliz sömürgeciliği ve ulusunun açlığı karşısında gösterdiği kahramansı duruşu anavatanından çıkarılmasına sebep olmuştur. Arap eleştirmenler ve araştırmacıların tamamı, 1947'de Arap şiirinin modernizasyonu ve geliştirilmesinde Nâzik el-Melâike'nin ilk öncü role sahip olduğu konusunda mutabık olup bunun ritmik şiirin yenilenmesine liderlik ettiğini oybirliğiyle kabul etmişlerdir. Şair, Serbest Nazım olarak adlandırılan çağdaş Arap şiirinin gelişiminde önemli bir etkiye sahiptir. Nâzik el-Melâike önemli kültürler tarafından biliniyordu. Onu, karamsar Alman filozof Schopenhauer'e yakın kılan ailesinin başarısı üzerinde önemli bir etkisi vardır. Toplumdan uzaklaşmaya ve yabancılaşmaya başlamıştı. Ruhu, onu 1947-1957 yılları arasında hayat, ölüm, kader ve gerçekler ile ilgili zor sorular ile yüzleştiriyor ateizm ve korkunç şüpheler arasında 1957'de tasaffuva başladı ve hayatını kaybedinceye kadar devam etti. Nâzik el-Melâike'nin üzüntü fenomeni, şairin şiirlerinde birçok farklı anlamda (ölüm, depresyon, keder ve korku) kullanılmış ve bunların tamamı şiirlerindeki kederin doğasını göstermektedir.

Anahtar Kelimeler: Nâzik el-Melâike, Modern Şiir, Irak Şiiri

ABSTRACT

Through three chapters, the researcher tried to explain that Nazik al-Malaika is a great and pioneer name in the Arabic contemporary poetical scene, and she is greater than that can be defined and she still appeals the researchers to write about her: (a human being, poet and citric). Nazik pictured and embodied the trait of her ideal full of vitality, motion and activity lover away of shows of advice and valediction, and perhaps the thing that excited her is the trait of ire and rebellion which existed in the ideal lover and which was a reflection of her acute psychological crises and her sympathetic deprivation. Nazik called for equity of women, giving her rights and demand to teach and educate them. But the value of the woman just through procreation children and the limited education that is specified of creation of a generation aware of his reality. Nazik underwent many exiles that caused the pain, depression and psychological and spiritual anguishes which afterwards caused a reflection on her feeling and her depressed and sad psychiatry, and this pessimistic look remained accompanying her throughout her youth days and she remained undergoing a sense of loneness and remoteness accompanied her as the shadow, and she rebelled and made the loneness and remoteness her mate in her expatriation. She stood from the national question an honorable attitude, because she feels that she is one of the people of the Arab homeland which suffered severest kinds of oppression, tyranny, hunger, vagrancy and banishment by the imperialistic occupation, and also her attitude of occupation of Iraq by British colonialism and starving its people, where she stood a heroic stance facing the colonialism until she was banished abroad. The Arab critics and researchers admitted unanimously that Nazik al-Malaika has the first pioneer role in modernization and development of the Arabic poetry, and this leadership was recorded for her in 1947, and surely it is the leadership of renewal of the rhythmic poem. And the poet has a great impress in developing the Arabic modern poetry to become that is called (the free poetry). Also Nazik al-Malaika was known by a wide culture, the home and family had the great influence in gaining it that made her the application on reading the philosophical heritage which brought her closer to the German pessimistic philosopher (Schopenhauer) and she retired the society and fled to a spiritual exile that put her off the difficult existence questions about the life, death and destiny, and their reality in "the atheism and the outrageous doubting" between the years (1948- 1957), and therefore she started sticking by her Sufism until the mercy of The Great God reached her and became silent in 1957. Also the phenomenon of grief embodied in the poetry of Nazik al-Malaika,

so the word (the grief) denoted by her to various meanings through using it by the poet in her poems, such as (the death, the depression, the sorrow and the fear), all of them indicate the impression of the Greif in the poem by her.

Keywords: Nazik al-Malaika, Modern Poem, Poetry in Iraq.

الملخص

حاول الباحث من خلال ثلاثة فصول أن يشرح بأن:

نازك الملائكة اسم كبير ورائد في المشهد الشعري العربي المعاصر، وهي اكبر من أن يعرف بها، ما تزال تغري الباحثين بالكتابة عنها: (انسانة، وشاعرة، وناقدة). فقد صورت نازك وجسدت سمة حبيبها المثال الملئ بالحيوية والحركة والنشاط بعيداً عن مظاهر الوعظ والوداعة، ولعل الشئ الذي أثارها هو سمة الغضب والتمرد الموجودة في الحبيب المثال والتي كانت إنعكاساً لإزماتها النفسية الحادة وحرمانها العاطفي.

فقد طالبت نازك بإنصاف المراة وإعطائها حقوقها والدعوة الى تعليمها وتثقيفها. بل وأصبحت قيمة المراة فقط الا من خلال أنجابها للاولاد ، والتربية المحددة القاصرة على خلق جيل واعٍ لحقيقته.

لقد عانت نازك اغترابات كثيرة، وهذا سبب لها الالم وكآبة وعذابات نفسية وروحية مما ادى هذا بدوره انعكاسا على شعورها وعلى نفسيتها الحزينة الكئيبة، وقد ظلت هذه النظرة المتشائمة تلازمها طوال ايام صباها وظلت تعاني من إحساس يرافقها كالظل بالوحدة والعزلة والحزن، وتمردت واتخذت من العزلة والوحدة أنيساً لها في غربتها.

ووقفت من القضية القومية موقفا مشرفا لانها تحس بأنها واحدة من أبناء الوطن العربي الذي عانى من السيطرة الاستعمارية أشد أنواع القهر والاستبداد والجوع والتشرد والابعاد، وكذلك موقفها من احتلال العراق من قبل الاستعمار البريطاني وتجويع شعبه، حين وقفت موقفا بطولياً في وجه الاستعمار، حتى تم استبعادها خارج الوطن.

وأعترف النقاد والباحثون العرب وبالاجماع بأن لنازك الملائكة الدور الريادي الاول في تحديث وتطوير الشعر العربي، وقد دونت لها هذه، الريادة في العام ١٩٤٧، وهي بلاشك ريادة تجديد القصيدة الايقاعية. وللشاعرة أثر كبير في تطوير الشعر العربي الحديث لكي يصبح وما يسمى (بالشعر الحر).

وعرفت نازك الملائكة بثقافة واسعة، كان للبيت والاسرة الاثر الكبير في تحصليها، مما جعلها الإنكباب على قرأة التراث الفلسفي الذي قربها من الفيلسوف الالماني المتشائم (شوبنهاور)، ولقد اعتزلت المجمتع، ولاذت بإغتراب روحي وضعها قبالة اسئلة الوجود الصعبة عن الحياة والموت والمصير، وواقعها في " الالحاد والتشكك الفظيع" ما بين الاعوام (١٩٤٨ – ١٩٥٧)، ولذلك بدأت أرهاصة تصوفها، الى ان تداركتها رحمة الله سبحانه وتعالى وأهتدت في العام ١٩٥٧.

وقد تجسدت ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة، لذا فقد دلت لفظة الحزن لديها على معان عدة من خلال استخدام الشاعرة لها في قصائدها، مثل (الموت، الكآبة، الاسى، الخوف) كلها تدل على طابع الحزن في القصيدة لديها.

الكلمات المفتاحية: نـازك الملائكة و (الشـعر الحـديث) الشـعر في العراق.

الإختصارات

في البحث اختصارات مفيدة منها:

- ص: الصفحة.
- ط: الطبعة.
- ج: الجزء.
- ت: تأريخ.
- تح: تحقيق.
- د.ت: دون تأريخ.
- د.ط: دون طبع.
- م: العام الميلادي.
- هـ: العام الهجري.
- د.م: دون مكان.
- تر: ترجم

المدخل

البحث عن الهوية في شعر نازك الملائكة

يمكن القول باختصار بأن هوية نازك الملائكة اتسمت بطابع الانسانة الناقدة والمنظرة والشاعرة الذي رفضت ان تذوب شخصيتها الفنية المتميزة في معامل الاصباغ المذهبية، وآثرت ان تمتد جذورها في اعماق الارض العربية وهي في دراساتها واشعارها ملتزمة ومؤيدة لتيار الالتزام لكنه تيار متميز جديد التزام بأنبل ما في الانسان واعمق مافي الكون، واروع ما في الطبيعة، التزام بناء الانسان، بايقاظ المجمتع، التزام يجعل تربية الوعي الجمالي في الانسان مقترنا بتربية الوعي السياسي والاجتماعي، فالتربية الجمالية هي الاساس الاول للتربية السياسة، والتزام نازك عربي، لايدخل في اطار الالتزام السطحي " المتمذهب" ولكنه يعمق فكرة الالتزام ويعطيها طابعا جديداً، ومضموناً جديداً، ويمدها بالخصب والنماء

لا يختلف اثنان في ان نازك الملائكة علامة بارزة في الشعر المعاصر، علامة لا تخطئها العين، ولا تنجاوزها الاقلام [١]، وهي اكبر من ان يعرف بها، ما تزال تغري الباحثين بالكتابة عنها: (إنسانة، وشاعرة، وناقدة) [٢]. ولم تقتصر اهمية نازك الملائكة على ابداعها الشعري، الذي يحتل موقعاً متميزاً في ريادة حركة الحداثة الشعرية العربية المعاصرة، وإنما يتعداه الى ميدان التنظير النقدي لقصيدة التفعيلة، او ما عرف بـ (الشعر الحر) فقد كان دفاعها عن الشكل الشعري الجديد في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد)، تمهيداً لكتابها بالغ الاهمية (قضايا الشعر العربي المعاصر)، الذي يمثل نضوجاً واضحاً في وعيها النقدي، لطبيعة الشعر من حيث بنيته الشكلية والياته اللغوية، فضلاً عن ذلك دراستها الموسعة للتجربة الشعرية، للشاعر علي محمود طه المهندس الموسومة (الصومعة والشرفة الحمراء)، وهي تمثل بسطاً لارائها النقدية ذات الصبغة الجمالية، الفنية للشعر ووظيفته.[٣]

ولعلي ابالغ اذا قلت ان كتاب " قضايا الشعر المعاصر" كتاب في موسيقى الشعر، غربل الاوزان المعروفة في تراثنا وربط ربطاً يقظاً بين ما عرف في عصورنا الادبية من اشكال الموسيقى الشعرية وبين ما هو بارز من اشكال الموسيقى الشعرية العربية في مرحلتنا التاريخية الحاضرة.

---

[١] المهنا، عبد الله احمد، دراسات في الشعر والشاعرة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٥، ص٩

[٢] المحمود، لؤي شهاب، نازك الملائكة بين نقادها، جامعة بغداد، كلية الاعلام، ط١، ٢٠١٦، ص٧.

[٣] الحسب، مسلم، اللغة الشعرية بين الوعي واللاوعي الجمعي، قراءة في كتاب (سايكولوجيا الشعر ومقالات اخرى) لنازك الملائكة، مجلة القلم الادبي، العدد (٣)، ٢٠٠٧، ص ١٧.

لقد استقصت نازك الملائكة جوانب من اوزان الشعر العربي التي اكتشفها الخليل بن احمد الفراهيدي بقدرته الفذة، وكذلك استقصت جوانب من موسيقى الشعر العربي الحديث وحاولت ان تضع قواعد عروضية للشعر الحديث الذي اطلقت عليه " الشعر الحر" فحددت ثمانية بحور شعرية يجري في نطاقها نظم الشعراء المعاصرين قصائد حرة، ووقفت وقفة متأنية فاحصة عند اشطر الشعر الحر وعند تفعيلاته، مما يدل على انها معنية عناية كبيرة بموسيقى الشعر الحر[٤].

فهي لم تطل على زمانها لتقول شعرا كما يقول كثير من الشعراء – او الشاعرات ولكنها اطلت لتقول شيئا جديدا وعميقاً في الوقت نفسه، فعلى مدى أكثر من ثلث قرن وفروعها تمتد في كل اتجاه وثمارها اليانعة لم تتوقف عن العطاء حقاً انها تقف في نهاية صف طويل من الاشجار الكبيرة يبدأ بقمم العصر الجاهلي، ولكنها من مكانها المعاصر، تتوقف الاقلام عندها كثيراً، كما ان " مسيرة الشعر العربي، تتكامل بما اروع التكامل وادقه"

ولعل اول ما يقلبلنا منها تعاملت مع قضايا النمو والتطور في الشعر المعاصر فهي لم تعرف السطوع الباهر، والوقوف المعتم بعد السطوع، وانما عرفت بدأب واصرار ان تلفت اليها الانظار والافكار، فقد عرفت ان تكون حركة نمو دائب، وحركة تطور لا تقف عند حد، وعلى ذلك يمكن القول ان كل مرحلة من مراحل شعرها كانت شدا لمرحلة قادمة، تختلف في سماتها عن سابقتها. وقد جسدت هي نفسها تطورها النفسي والفكري من خلال حديثها عن النواة المتجددة في نفسها وحقيقة الامر انها لم تقفز على هذه المرحلة قفزاً، او وصلت اليها صدفة، وانما وصلت اليها بعد ان غاصت في بحور الشك، وبعد ان عرفت المعاناة والحيرة والتمزق، والتجريب المستمر الذي لم يتوقف ابداً، ومن ثم كان الوصول الى مرفأ جديد راينا شعرها فيه اشبه ما يكون بالنور، واقرب ما يكون الى الخلود وقد كان من الطبيعي ان يظهر هذا في الشكل والمضمون فادواتها الفنية الان قد تم صهرها صهراً شديداً مع القضايا التي تعالجها، واصبحت هي نفسها الى ظاهرة شعرية.

ثم ان نازك الملائكة لم تكن ذات بعد واحد ذلك لانها لم تقف عند فكرة واحدة لا تحسن غير الدوران حولها، ولم تتشبث بتراثها بحيث يصبح من الصعب عليها ان تبتعد عنه، فحياتها وثقافتها ودأبها، يحدثنا انها عرفت العديد من قضايا الفكر في الحضارة، وان كنا نلاحظ ان معرفتها الرئيسية تضرب بعمق في عالم الشعر وكل ما يتصل بقضاياه، وكما شربت حتى ارتوت حتى الاشباع من بحر الثقافة العربية، فإنها غاضت في الوقت نفسه بحر الثقافة الإنكليزية[٥]

---

[٤] انظر بالتفصيل حول الموضوع، الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢.

[٥] المهنا، عبد الله احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٩ – ١٠.

فإنها اهتمت واعتنت بصورة كبيرة باللغة الانكليزية، والفرنسية، واللاتينية فضلاً عن اللغة العربية، وتحمل شهادة الليسانس باللغة العربية من كلية التربية للبنات جامعة بغداد، والماجستير في الادب المقارن جامعة وسكونسن في الولايات المتحدة الامريكية.

وقد اتاح لها الجو الذي عاشت فيه الشاعرة نازك الملائكة ان تقرأ بتعمق الادب الرومانسي، سواء اكان عربياً، ام غربيا، لذا ترددت في اشعارها اصداء علي محمود طه المهندس، ومحمود حسن اسماعيل، وايليا ابو ماضي، وبايرون، وكيتس وغيرهم، مما اتاح لها ان تمتلك ثقافة معرفية ثرة[٦].

وهكذا وصلت – بتعبير تراثي – القوادم بالخوافي، واصبحت قادرة بقوتي الدفع العربية والعالمية على التجول في كل " العقود" التي مرت بها، فمنذ ان كتبت الشعر وهي تلمع في عالمه، ولم يحدث ان اختفت، او تورات، او كفرت بالشعر فحياتها كانت مراوحة مخلصة بين كتابة القصيدة والاعداد للقصيدة، ومن هنا كان هذا الانتاج الغزير المبارك، ونحن نعرف ان بعض النقاد العرب قد التفتوا بصفة خاصة الى عنصر الغزارة، وحكموه في عملية التقييم.

ومع انه قد قيل عنها في بعض الاحيان – ظلماً – انها اختفت، وتراجعت، وجمدت الا ان الانصاف الموضوعي – من خلال تاريخ اعمالها عملا بعد اخر – يؤكد انه ليس في المسيرة العربية سيدة اخلصت للشعر وقضاياه كما اخلصت نازك الملائكة، وانه لا يمكن التأريخ للشعر المعاصر الا انطلاقاً منها ومن اخرين فمن هذه الكوكبة كان البدء الحقيقي للشعر المعاصر الذي يضرب بجذوره في حياتنا الان[٧]. وبهذا الصدد يمكن القول بأن النقاد والباحثون العرب اعترفوا وبالاجماع بأن لنازك الملائكة الدور الريادي الاول في تحديث وتطوير الشعر العربي – بإستحداثها الشعر الحر، او شعر التفعلية، وسمي بعد ذلك بالشعر الحديث الذي يقابل مصطلح (الشعر العمودي) او شعر (نظام الشطرين)، وقد دونت لها هذه الريادة في العام ١٩٤٧، وهي بلاشك تجديد القصيدة الايقاعية، وهي ايضا رائدة في وضع (عروض الشعر الحر) وكتبت عنه دراسات مستحدثة جديدة في كتابها الخاص(قضايا الشعر المعاصر) في العام ١٩٦٢، بهذه الموضوعة في بدايات ستينات القرن العشرين، فهي اذن رائدة وسبقت الاخرين وفي ابتكار الخط الجديد في داخل منظومة الشعر العربي وقامت ريادتها فكرة التأسيس وفكرة ابداع تراث وضعته على طريق مستقبل الشعر العربي، وهي لم تبدع من فراغ تاريخي، بل جاء انجازها وفقا لداخلها القلق المبدع، لانها عاشت في بيئة، وبيت ثقافي ممتلئ بالحيوية والحركة والعطاء الادبي، اذن نرى بان نازك الملائكة حقاً ندون لها الريادة وتعد العمود الريادي الاول

---

[٦] الموسوي، نصير تجيل، الفاظ الحزن والبكاء في شعر نازك الملائكة – دراسة دلالية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠١٠، ص ٣.

[٧] المهنا، عبد الله احمد، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

من الاعمدة الهامة لما لها من اثر في تطوير الشعر العربي الحديث لكي يصبح وما يسمى (بالشعر الحر)[٨].

اننا لى نناقش هنا ما يمكن تسميته " بعمليات التحليق " لما سمته بالشعر الحر، والتي بدأت قبلها بلاشك، ذلك لان نؤكد عليه انها بدأت – او شاركت فيما يسمى (بالانموذج الامثل) لهذا الشكل الجديد، كما انها تنفرد في انها قننت له اعمق تقنين، وقد ساعدها على ذلك اشتغالها في الجامعة مدة كبيرة في حياتها وهذا يسوقنا انه الى جانب شعر نازك الملائكة فان لها دراسات وكتب في غاية الاهمية، بحيث يعد كل واحد منها معلماً من المعالم المهمة في الدراسات.الحديثة، ونذكر بعض من هذه الدراسات: قضايا الشعر المعاصر، الذي صدر في العام ١٩٦٢، والتجزيئية في المجتمع العربي، الذي صدر في العام ١٩٧٤، والصومعة والشرفة الحمراء، الذي صدر في العام ١٩٧٩، وسايكولوجيا الشعر ومقالات اخرى، الذي صدر في العام ١٩٩٣[٩]، وقد نتفق معها او نختلف في بعض ما كتبت، ولكن الاهم من هذا كله ان كل انعطافة انعطفتها كانت في خدمة الشعر وقضاياه فكتبها ودراساتها تفريعات على نغمة اصيلة عندها وهي الشعر.

وليس من المبالغة في شئ اذا قلنا بأن حياتها قد تحولت الى شعر خالص، فهي منضبطة في حياتها كالوزن الشعري، ثم ان فيها الحزن والعمق اللذين يعدان جناحين للشعر، ونحن لاننسى ان نؤكد على عنصري السطوع والتجدد عندها – وهما من خصائص الشعر – كما تحدثنا مؤلفاتها، وهي في الوقت نفسه تكتب مسرحاً وشعراً، وتفجر قضايا جديدة – كعادتها [١٠]. اذن لا اظن شاعرة من الشاعرات العربية، على مدى تاريخها الطويل، بلغت ما بلغته نازك الملائكة في انتاجها الشعري او انجزته في ميدان التنظير الشعري، فهي والحال هذه، علامة متميزة وبارزة لا في شعرنا المعاصر فحسب، بل في الشعر العربي كله.

---

[٨] الشريف، سليم، مقالة بعنوان (نازك الملائكة – ١٩٢٣ – ٢٠٠٧)، ٢٠٠٨، ص١.

[٩] الملائكة، نازك، حياة وشعر وافكا، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠٠٧، ص٧.

[١٠] المهنا، عبد الله احمد، مصدر سبق ذكره، ص١١.

الفصل الاول: الأنوثة والهوية الفردية في شعر نازك الملائكة

المبحث الاول: السيرة الذاتية والثقافية لنازك الملائكة

المبحث الثاني: الأنوثة والبحث عن صورة الرجل المثال

المبحث الثالث: المرأة وصورة المرأة عند نازك الملائكة

الفصل الاول: الأنوثة والهوية الفردية في شعر نازك الملائكة

مقدمة:

برزت نازك الملائكة بميولها منذ صغيرها الى قرأة الكتب، وتربت في بيت يصوغ شعراً وأدباً، وتفوقت عل اقرانها في المراحل الابتدائي والمتوسطة والثانوية.

أما في الكلية فقد تميزت عن جميع الطلبة بإختيار موضوع لغوي الرسالة الليسانس، والتي حصلت عليها بدرجة إمتياز ويصدر لها ديوانها الاول (عاشقة الليل)، ثم يصدر ديوانها الثاني (شظايا ورماد)، وكذلك صدر لها كم هائل من نتاجها الشعري، ولا يمكن أغفال تأثيرها بالادب الانكليزي الذي ساعدها في صقل امكانياتها الادبية. وقامت بترجمة الكثير من القصائد الى العربية. ولقد تطرقت نازك الملائكة الى حبيب يماثلها روحا وشاعريةَ وطهراً، ليبقى حبها لحبيب لم يزل في طي الغيب. وأسلمت نفسها لحلم طويل من التأمل والسهر داخل الذات.

ورفضت نازك الملائكة التقاليد الاجتماعية الصارمة، سيما منها تلك التي تتعلق بحرية المرأة، وتلقى لذلك الرفض أصداء عميقة في نفس نازك من المرارة والألم ومن ثم التوق الى التغير في آن واحد.

المبحث الاول: السيرة الذايتة والثقافية لنازك الملائكة

في اليوم الثالث والعشرين من شهر آب لسنة ثلاث وعشرين وتسعمائة والف ولدت نازك الملائكة[١١].في اسرة شاعرة؛ فالاب (صادق الملائكة) كان مدرساً للغة العربية وشاعراً. وكانت الأم – (أم نزار) كما تدعي- هي الأخرى شاعرة. وقد صدر لها ديوانها المعروف بـ "إنشودة المجد"، ساعدت جامعة البصرة على طبعه وتم تخصيص ريعه لمنظمة التحرير الفلسطينية[١٢] فضلا على أن خاليها: (جميل الملائكة، وعبد الصاحب الملائكة) اللذان كانا شاعرين.فقد ترجم الاول (رُباعيات الخيام) شعراً وصدر في العام ١٩٧٥، وقدر للثاني ديوان شعر في العام ١٩٦٣[١٣]. كما عُرف عن اخويه: (احسان) و(نزار) انصرافهما لنظم الشعر وكانت لـ(إحسان) بالذات دراسات أدبية منشورة، وزيادة على انها كتبت مقدمة ديوان نازك الملائكة الاول (عاشقة الليل) بطبعته الاولى من العام ١٩٤٧[١٤].

ذلك يُعدُ (اول ينابيع) موهبتها الشعرية بيت حافل بالكتب والشعر والشعراء، لايمكن لفتاة ناجحة، مثل: (نازك الملائكة)، الا أن تنهل منه، وتقتبس من شذرات جوه، وتتاثر بمعطياته الادبية.

فها هي قبل بلوغها التاسعة تنظم الشعر العامي، وتقرأ على مسامع اخواتها الاصغر منها اغاني بالعامية موزونة ومعطاة[١٥]، وفي سن العاشرة تنظم اول قصيدة فصيحة تذكر[١٦].

لقد تدرجت نازك في دراستها من الابتدائية الى الثانوية وتخرجت في العام ١٩٣٩ ثم دخلت دار المعلمين العالية في بغداد – فرع اللغة العربية – وتخرجت فيها بلسانس اللغة العربية في العام ١٩٤٤ بمرتبة الامتياز وهي اعلى مرتبة في بغداد حينذاك.

---

[١١] الملائكة، نازك، حياة وشعر وافكار، دار المدى للثقافة والنشر، مصدر سبق ذكره، ص١٠.

[١٢] الملائكة، ام نزار، انشودة المجد، مطبعة التظامن، بغداد، ١٩٦٨.

[١٣] البصري ، داود عبد الجبار، نازك الملائكة الشعر والنظرية، وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧١، ص٣٩-٤٠.وكذلك انظر: الفريح، سهام عبد الوهاب، المراة العربية والابداع الشعري، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠٤، ص١٣٧ وما بعدها.

[١٤] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة- دراسة ومختارات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٧.

[١٥] البصري، عبد الجبار داود، نازك الملائكة الشعر والنظرية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧١، ص ٤٩.

[١٦] الملائكة، نازك، حياة وشعر وافكار، دار المدى للثقافة والنشر، العراق، ٢٠٠٧، ص١١.

وخلال دراستها بدار المعلمين العالية كانت تساهم في حفلات الكلية بألقاء القصائد، وقد نشرت تلك القصائد في حينها في الجرائد العراقية وان كانت لم تدرج شيئا منها، في دواوينها المطبوعة لانها من شعر الصبا الذي يسبق مرحلة النضج[١٧].

وفي اثناء دراستها الجامعية في الدار دخلت (معهد الفنون الجميلة) طالبة في فرع (العود) الذي اتقنت العزف عليه تحت اشراف الموسيقار المشهور (محي الدين حيدر)[١٨]. اداركاً منها بتأليف الشعر مع الفنون المجاورة له. والتمثيل فن اخر يجاور الشعر، ولذلك إلتحقت بفرع (التمثيل) في المعهد المذكور، واطلعت على الميثولوجيا الأغريقية وأساطيرها وأبطالها[١٩]، لترقى موهبتها الشعرية درجة أخرى في سلم صيرورتها. وينفتح ولعها بالثقافات الاخرى على مصرعيه فتلتحق بصف لدراسة (اللغة اللاتينية) في العام ١٩٤٢ لتحفظ "حالات الاسماء وفصائلها وتصريف الافعال"، ثم ما لبثت: ان بدأت تكتب مذكراتها بتلك اللغة كما كتبت نشيداً لها على نغمة أغنية كانت مشهورة حينذاك[٢٠]. وبعد تخرجها في دار المعلمين العالية بمرتبة (الامتياز) تكون نازك قد امسكت ب(الينبوع الثاني) من ينابيع موهبتها: حياة حافلة بالنشاط الادبي، ومرحلة جامعية تأخذ وتعطي، وها هي تعمل بعد التخرج- مُدَرِسة على الملاك الثانوي، وتنشط في كتابة الشعر.

وها هي ايضاً تنظم اول قصيدة في شعر (التفعيلة) بعنوان (الكوليرا) في العام ١٩٤٧، وهو عام صدور ديوانها (عاشقة الليل) لان الليل كان يرمز عندها الى الشعر والخيال، والاحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، ولمعان دجلة تحت الاضواء، وكانت في الليل تعزف على عودها في حديقة البيت، وكانت تغني لساعات عدة وكان غنائها يجر عن سعادتها الكبرى منذ طفولتها[٢١].

وبعد صدور (عاشقة الليل) وبعد مرور سنتين حتى تصدر مجموعتها الثانية (شظايا ورماد) في العام ١٩٤٩ تتصدرها مقدمة عن نظرية (الشعر الحر).

ويتدفق (الينبوع الثالث) في حياتها الثقافية مع دخولها المعهد البريطاني في الدراسة الشعر الانكليزية في العام ١٩٥٠، وقد واصلت دراسة اللغة اللاتينة سنوات كثيرة مستعينة بالمعاجم، ثم

---

[١٧] السامرائي ماجد احمد، نازك الملائكة، الموجة القلقة، منشورات وزارة الاعلام، سلسلة الكتب الحديثة، بغداد، ١٩٧٥، ص١١.

[١٨] الطبانة، بديوي، ادب المراة العراقية في القرن العشرين، دار الثقافة، ط٢، ١٩٧٤، ص٦١. وكذلك ينظر: الى السلطاني، رهيف، عبد العظيم، نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠١٠، ص ١٨ وما بعدها.

[١٩] الملائكة، نازك، لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، الملائكة نازك: دراسة ومختارات، د.الرضا علي عبد، ص ٢٧-٢٨.

[٢٠] المصدر نفسه، ص٧.وكذلك ينظر: السلطاني، رهيف، مصدر سبق ذكره، ص ١٣، وما بعدها.

[٢١] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، المجلس الاعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢، ص ٣٢.

دخلت صفاً فيها لدراسة للغة اللاتينة بجامعة "برنستن" بالولايات المتحدة فدرست نصوصا للخطيب الروماني "شيشرون" واعجبت بشعر الشاعر اللاتيني "كاتولوس" وحفظت مجموعة من قصائده.

أما تأثرها بالادب الانكليزي فقد بدأ وهي طالبة في دار المعلمين العالية حينما قرأت " شيكسبير" وترجمت الى الشعر العربي احدى سونيتاته أنذاك هي " الزمن والحب" وفي العام ١٩٤٥ بدأت تكثر من قرأة الشعر الانكليزي، فأعجبت بالمطولات الشعرية الانكليزية، واحبت ان يكون لنا في الوطن العربي مطولات مثلهم. وسرعان ما بدأت قصيدتها المطولة " مأساة الحياة" التي يدل عنوانها على تشاؤم مطلق لكونها تأثرت بفلسفة "شوبنهاور" الالماني المتشائم[٢٢].

ثم اقبلت بعد ذلك على قراءة شعر "بايرون" و"شيلي" وكان سر نجاحها انها انهمكت في قراءة عشرات من كتب الشعر والدراما.

ثم سافرت الى الولايات المتحدة لدراسة النقد الادبي في جامعة " برنستن" في نيوجرسي، فاتحيت لها الدراسة على ايدي نقاد الادب مثل " ريتشرد دبلاكمور" و " الن داونر" و" الان تيت" و " دونالد ستاوفر" و"ديلمور منوارتز"، وكلهم اساتذة لهم مؤلفات معروفة في النقد الادبي.

ثم عادت الى العراق في العام ١٩٥١ وبدأت تتجه الى كتابة النثر عامة، والنقد الادبي خاصة، وفي العام ١٩٥٢ القت محاضرة في نادي الاتحاد النسائي ببغداد كان عنوانها "المرأة بين الطرفين السلبي والاخلاقي" دعت فيها الى تحرير المرأة من الجمود والعقم.وقد أثارت المحاضرة ضجة في بغداد وتحدثت عنها المحافل اياماً كثيرة. وقد تم نشر هذه المحاضرة في اعداد السنة الاولى من مجلة (الاداب) البيروتية. وواصلت خلال ذلك نظم الشعر والنثر والمقالات في النقد الأدبي في مجلتي (الأديب) و(الأدب) في بيروت[٢٣].

وفي العام ١٩٥٣ حدث حادث هزَّ حياتها الى اعماقها[٢٤] فقد مرضت والدتها مرضاً شديداً مفاجئاً وقرر الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية لها في لندن، فسافرت معها نازك الى لندن وهي قلقة عليها اشد القلق، وعندما أجريت لها العملية توفيت فوراً ورأت في مشهدها الأخير المنظر المفزع الذي اسهرها بعد وفاتها اشهر طويلة، وكان لموت أمها الاثر الكبير في مرض نازك ولجأت الى طبيب الأعصاب لعلاجها من أثر الصدمة نتيجة كانت تحب أمها حباً فريداً من نوعه بحيث عذبها موتها عذاباً شديداً

---

[٢٢] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة الناقدة، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣، ص٣١. وكذلك انظر: الفهمي، علاء محمود، تقرير بعنوان نازك الملائة حياتها وثقافتها، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩٩، ص ١ ومابعدها

[٢٣] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة، الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص١٢.

[٢٤] إصدار لمحة ملائكية، ملف خاص لنازك الملائكة في ٢٠٠٣/١٢/٢٠.

وبعد وفاة أمها، كتبت قصيدة سمتها ((ثلاث مرات لأمي)) استعملت فيها اسلوبا جديداً في الرثاء، وسرعان ما ذاعت هذه القصيدة واستقبلها الشعراء بحرارة وإعجاب بالغين[٢٥].

ومن الجدير بالذكر وفي العام ١٩٤٩ بالتحديد بدأت نازك بدراسة اللغة الفرنسية في كتاب اعطى اياه عمها فأقبلت هي واخوها نزار الذي يصغرها سناً على دراسته. وقد واصلت دراسة اللغة الفرنسية وحدها عدة سنوات. ثم دخلت المعهد العراقي في العام ١٩٥٣ وخلال دخولها المعهد قرأت ل(موباسان ومولبير والفونس دودية)، وكانت تحضر هذه الدراسة بحماسة شديدة.وخلال ذلك جمعت لنفسها مكتبة صغيرة من الشعر الفرنسي والقصص وكتب النقد والفلفسة لعظام الفكر الفرنسي وأقبلت على قرأتها[٢٦].

وفي العام ١٩٥٤ تم قبول نازك في جامعة (وسكونسن) في الولايات المتحدة لدراسة الأدب المقارن فأتيح لها، الى جانب الاطلاع على الادبين الانكليزي والفرنسي والتعرف الى أداب أخرى كالالماني والايطالي والروسي والهندي والصيني[٢٧].

وقد كان النظام في هذه الجامعة رائعاً لا يتطلب كتابة اطروحة كبيرة بل يكلف الطالب بإعداد مجموعة من الأبحاث في موضوعات منوعة، فكانت تجد متعة عظيمة في كتابة هذه المقالات مرنت قابليتها فأكسبت هذه الدراسة ثقافة غنية أخصبت ذهنها تقول عنها: " وقد كنت أغلب الوقت في مكتبة الجامعة القريبة التي كانت لها أعمق الاثر في حياتي قي تلك الحقبة كما أن حياتي أغتنت بأفكار عذبة كثيرة منوعة، وأكتسبت من التجارب أضعاف ما كسبته في حياتي السابقة كلها وتغيرت مفاهيمي ومُثلي ومقاييسي، وتبدلت شخصيتي كلها".

وعندما رجعت من الولايات المتحدة مرت في طريق عودتها بإيطاليا وفرنسا، ثم عرجت على دمشق حيث حضرت مؤتمر الأدباء العرب الثاني في بلودان[٢٨].

وفي العام ١٩٥٧ صدرت في بيروت مجموعتها الشعرية الثالثة (قرار الموجة). وقد أحتوت على منتخبات من شعرها بعد (شظايا ورماد) ونشرتها دار الاداب في بيروت.

وفي العام ١٩٥٨ قامت في العراق ثورة ١٤ تموز، أثرت في حياتها أعتنق تأثير حتى إستغرقت كل لحظة من عمرها ذلك العام كما تقول.

وقد استقلتها بقصيدة ساخنة بدأتها[٢٩]:

---

[٢٥] العلي، عبد الرضا، مصدر سبق ذكره، ص ٣١

[٢٦] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة، الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص١٢.

[٢٧] البصري، داود عبد الجبار، نازك الملائكة- الشعر والنظرية، مصدر سبق ذكره، ص٥٤.

[٢٨] الشرارة، حياة، نازك الملائكة، دار المدى، ٢٠١١، ص١٢٠، وما بعدها.

[٢٩] الملائكة، نازك، حياة وشعر وأفكار، مصدر سبق ذكره، ص٢٠

فرح الأيتام بضمة حب أبوية

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمس نسائم

فرح الظلمات ينبع ضياء

فرحتنا بالجمهورية[٣٠]

الا أن تطورات الحياة الاجتماعية اضطرتها الى مغادرة العراق نحو بيروت في العام ١٩٥٩ وأستمرت نزيلة لبنان حتى العام ١٩٦٠، واصلت خلالها نشر أبحاث ودراسات في القومية. وفي العام ١٩٦٠ شاركت في مؤتمر الدراسات العربية في بيروت. وفي العام ١٩٦٢ أقترنت بزميلها في التدريس بقسم اللغة العربية الدكتور عبدالهادي محبوبة، ورزقت بولد فقط سمته (براق) وفي العام ذاته القت محاضرة في النادي الثقافي العربي في بغداد بعنوان " محاذير في ترجمة الفكر الغربي" ثم محاضرة أخرى في جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين بعنوان "مضمون الادب القومي"[٣١].

وفي العام ١٩٦٤ سافرت وزوجها للعمل في تأسيس جامعة البصرة وعملت هناك في تدريس العربية وتم انتخابها رئيسة لقسم اللغة العربية في كلية الاداب. وخلال عملها في جامعة البصرة نشرت في مجلة جامعة البصرة بحثا عن المرأة وبحثا نقدياً آخر عن أحدى روايات نجيب محفوظ.

ولقد استمرت في عملها وزوجها هناك أربع سنوات، وغادرت البصرة الى بغداد أواخر العام ١٩٦٨ حيث عادا الى التدريس في كلية التربية سنة واحدة، ثم غادرا العراق الى الكويت للتدريس في جامعتها.

وفي العام ١٩٦٤ دُعيت الى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة لإلقاء محاضرات حول الشعر في موضوع إختارته، فعكفت على كتابه كتاب عن الشاعر المبدع علي محمود طه الذي كانت شاعرة قد تأثرت بشعره خلال حقبة الصبا، يوم كانت طالبة في فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة، وقد تم طبع هذا الكتاب (شعر علي محمود طه) في القاهرة العام ١٩٦٥ وكان عنوان طبعته الثانية (الصومعة والشرفة الحمراء)[٣٢]، وفي أوائل العام ١٩٦٨ نقلت هي وزوجها للعمل في جامعة بغداد-كلية الآداب، وصدر ديوانها الرابع "شجرة القمر" وفي العام ١٩٦٩ ساهمت في فعاليات مؤتمر الأدباء العرب التاسع المنعقد في بغداد خلال ١٩-٢٧ نيسان، والقت محاضرة في كلية البنات عن "النكسة وفلسطين" وصدر لها مستل من مجلة الأستاذ التي تصدرها كلية التربية عن رواية " الشيخ والبحر لأرنست همنغواي" وفي نهاية هذا العام سافرت للعمل في جامعة الكويت. وفي العام ١٩٧٠ دار العدة " أغنية

---

[٣٠] المصدر نفسه.

[٣١] البصري، داود عبد الجبار، نازك الملائكة الشعر والنظرية، مصدر سبق ذكره، ص٥٥.

[٣٢] الملائكة، نازك، حياة وشعر وأفكار، مصدر سابق ذكره، ص ٢٢

للأنسان"[٣٣] و "يغير البحر الوانه" في العام ١٩٧٠ايضاً هذا فضلاً عن مجموعة قصصية تم نشرها في القاهرة في العام ١٩٩٧ بعنوان "الشمس التي وراء القمة" والى دراسات أدبية بعنوان "قضايا الشعر الحديث" في العام ١٩٦٢، و " التجزئة في المجتمع العربي" في العام ١٩٧٤ و "سايكولوجية الشعر" في العام ١٩٩٢، فهي من القلائل الذين جمعوا بين الشعر والنقد ونقده. وهذه الموهبة لا توجد الا فيما نَدَر من الأدباء والشعراء.

ورغم غيابها النسبي في السنوات الأخيرة بسبب تقدمها في العمر فضلاً عن مرضها الا أن ضوء الشهرة لم يبتعد عنها فقد حصلت في العام ١٩٩٦ على جائزة البابطين وأقامت دار الأوبرا المصرية في ١٩٩٩/٥/٢٦ حفلاً تكريما لها بمناسبة مرور نصف قرن على إنطلاقة الشعر الحر في الوطن العربي[٣٤].

ولنبدأ الأن بقرأة سيرة الشاعرة الثقافية والذاتية من جديد لنقف على البؤر المضيئة والمظلمة في حياتها، كي نحدد الثيمات الوجودية التي سنوضحها في هذه المبحث، فقد برزت نازك ميولها منذ صغرها الى قرأة الكتب، والشعر تحت سقف ببيت يصوغ شعراً وأدباً، وتفوقت على أقرانها في المراحل الإبتدائية والمتوسطة والثانوية.

أما في الكلية: فقد تميزت عن جميع الطلبة بإختيار موضوع لغوي لرسالة الليانس، وهي الشاعرة التي كانت ينتظر منها: أن تختار موضوعا أدبيا، إستجابة لنصيحة أبيها في دراسة (قواعد النحو) قبل (نظم الشعر)، وفي الكلية تعتلي المنصة لتلقي بواكير شعرها، وكأنها تهيئ نفسها لدور في المستقبل[٣٥].

ولايمكن إغفال تأثرها بالأدب الإنكليزي، وقرأتها لشعر " شكسبير" وهو يُعدُ عندي من أول الاشخاص الذين أحببتهم أشد الحب، ومازلت أجد النشوة في قراة شعره، فهو الشاعر الذروة يليه (جون كيتس) الذي درسته دراسة موسعة، وحفظت كثيراً من شعره يليه (فرانس تومسن)، (وروبرت بوك) و (ت.س. اليوت) و (ييتسى) و (ديلان توماس) ومن الشعراء الذين أحببت شعرهم (جون دن)، فشعره يبدو لي رائع الاعماق بحيث أجد دائما لذة في قراءته." حسب قول نازك الملائكة "[٣٦].

وكان لسفرها الى الولايات المتحدة الأمريكية وأنكلترا، وتعلمها (اللغة اللاتينية)، ودراستها في أحدى الجامعات الأمريكية، ولقاؤها بكبار النقاد هناك، كان كل ذلك أثره البالغ في صقل إمكاناتها الادبية وإنفتاح آفاق جديدة في روحها الشعري والنقدي، وقيامها بترجمة الكثير من القصائد الى

---

[٣٣] البصري، داود عبد الجبار، نازك الملائكة الشعر والنظرية، مصدر سبق ذكره، ص٥٦

[٣٤] النعيمي، محمد، نازك الملائكة...وولادة الشعر الحر، مصدر سبق ذكره، ص٥٢.

[٣٥] المحمود لؤي شهاب، مصدر سبق ذكره، ص١٢ – ١٣.

[٣٦] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة الناقدة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

العربية، وهنا نذكر لها بإعزاز: إنها قرأت للفيلسوف الفرنسي (جان ماري غوير)، والفيلسوف الالماني (نيتشه) والكاتب الفرنسي (أندريه مالرو)، والفيلسوف القديس (أوغسطين) و (البير كامو)، و(سارتر)، و(يوجين أونيل)، و(أرثر ميلر) وغيرهم بلغاتهم، إنها تخطت حدود القراءة الى الكتابة والمناقشة بروحها العربية التي لم تنزلق عما تؤمن به أو تنتمي له.

وعن طريق نتاجها الشعري والنثري نقف فكر متوقد، وسليقة مدربه وقدرة على التمييز، وجرأة على دخول المحظورة وثقافة مُركَّبة من الشعر والفلسفة والفكر، وما جاور ذلك من الفنون: كالموسيقى والرسم. كما نقف ايضاً إتجاه قضايا كونية كبرى تشغل فكر الشعراء الكبار، وتقض مضاجعهم، وأسئلة وجودية تتردد في نفوسهم، وعلى شفاهم، حتى كأن إنشادهم الذي يُسيِّر الناس، ويدخل البهجة في نفوسهم، كأنه نواحٌ خفيٌّ، وبكاء صامت على عالم موجود ملئ بالعنف والكراهية، وتوقاً الى عالم آخر غير موجود، يسعون الى خلقه مليئا بالحب، والتضحية، ونكران الذات.

وأخيراً كل نفس ذائقة الموت لقد تم تشييع جنازة الشاعرة العراقية نازك الملائكة رحمها الله يوم الخميس في الحادي والعشرون من تموز في العام ٢٠٠٧ وتم دفنها في القاهرة بعيدة عن وطنها الأم العراق[٣٧].

[٣٧] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة- دراسة المختارات، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

المبحث الثاني: الأنوثة والبحث عن صورة الرجل المثال

صورت بعض شاعراتنا العراقيات سمات الحبيب وما يتمنينَّ أن تكون عليه شخصيته المحبُبة الى نفوسَهُنَّ، فالأنسان العاشق لايحب أياً كان أو كيفما إتفق، بل يصطفي المحبوب من بقية الأشخاص، ويركز عليه إحاسيسه وعواطفه وغرامه كما لو كان هو الشخص الوحيد في الكون الذي بإمكانه أن يفي بمتطلبات هواه وحبه دون غيره من بقية الكائنات، إذ جسدت نازك في قصيدتها (دعوة الى الحياة) سمة حبيبها المثال المليئ بالحيوية والحركة والنشاط بعيداً عن مظاهر الوعظ والوداعة ولعل الشئ الذي أثارها هو سمة الغضب والتمرد الموجودة في الحبيب المثال والتي كانت إنعكاساً لأزماتها النفسية الحادة وحرمانها العاطفي قائلة[٣٨].

إغضبْ، كفاك وداعة أنا لا أحبّ الوادعين
النّار شرعي لا الجمود ولا مهادَنة السنين
إني ضَجرت من الوَقارِ ووجهِهِ الجهْم الرصينْ
وصرخت: لا كان الرّماد، وعاش عاش لَظَى الحنين
إغضب على الصمت المُهينْ
أنا لا أحبّ الساكنينْ.
إني أحبك نابضاً، متحركاً،
كالطفل، كالريح العنيفةِ، كالقَدرْ
عطشانَ للمجد العظيم فلا شذىً
يُروي رؤاك الظامئاتِ ولا زَهرْ [٣٩].

ومن صور العاطفة المهزومة وخيبة الأمل التي سيطرت على نازك تصورها للقاء صديق أسدلت عليهما ستأئر النسيم أجواء حالمة وقت الغروب وعلى حافة النهر. يعيش هذان الصديقان أسعد لحظات حياتهما، وفجأة تظهر على سطح الماء سمكة ميتة ويتابعها نظر نازك برعب يلف قلب صديقها ايضاً.

ولقد رمزت الى الزمن في اظهارها السمكة الميتة معترضة هذا الموقف. الزمن يعني الفراق. هنالك تنافر بين دفئ اللقاء- لقاء الصديقين- وبرودة الجثة للسمكة. لقد كبرت جثة السمكة الصغيرة في عين نازك وكبر معها الرعب والهلع، وراحت تصرخ وتستنجد بصديقها إلا أن صديقها هذا، لا يجد الحل والخلاص بعد أن اقنعته بان السمكة تكبر وتسد الأفق أمامها ثم تعلن أنهزامها

---

[٣٨] البريماني، فرح غانم صالح، الشعر النسوي في العراق، ١٩٦٠- ٢٠٠٠، دراسة موضوعية وفنية، ج١، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، ٢٠١٣، ص٢٣٩.

[٣٩] الاعمال الشعرية الكاملة، شجرة القمر، ج٢، ص١٢٥-١٢٦.

.....اي طريق

يحيمنا من هذا المخلوق

لنعد، فالدرب يضيق يضيق

والظلمة محكمة الإغلاق[٤٠]

ويمكن القول أن الشاعرة خاضت خلال دراستها الجامعية تجربة حب صادقة، ونرى "أنها فجعت بذلك الحب فجيعة بالغة، أضافت الى أغترابها الأجتماعي عناصر جديدة من: الخوف والقلق والزهُد الأمر الذي أدخلها في أغتراب مزدوج"[٤١].

ونحن نرى أن نازك "كانت تخوض عن طريق الحب تجربة سمو خاصة تليق بشاعرة (الهية الروح) وأن كانت في حقيقتها (حفنة ماء وطن)، ولقد خاب ضنها. بحبيب نزل بالحب الى مستوى الماديات، فما تملك والحالة تلك، إلا أن تدير ظهرها له"[٤٢]

وفي رأينا المتواضع تحليل الناقد الدكتور (محمد راضي جعفر) صائب وسليم، ذلك لأنها كانت تتطلع الى حبيب يماثلها روحاً وشاعريةً وطُهراً. ولكن ها هو ذا لايختلف عن الأدميين برغباته، في الوقت الذي كانت تقف فيه تجاه شرفة عليا من المثل.

ويتناول الباحث سطرين شعريين للشاعرين يختصران ماهيتها، اذ تقول نازك[٤٣].

في نفسي جزءً أبدي لا تفهمه

في قلبي حلم عليوي لا تعلمه

ويعلق الباحث على ذلك بقوله: (فالجزء الأبدي في النفس، والحلم العلوي في القلب، وهما جوهر فرادة الشاعرة الإنسانية، وهما سر أغترابها المركب ايضاً، ولذلك استطابت جحيم الوعي من الوقت الذي ينعم فيه الأخرين بجهلهم، وأثرت الشقاء في البحث عن المثل، وعلى سعادة القيم الحسية، وأسلمت نفسها لحلم طويل من التأهل والشعر داخل الذات راغبةً عن واقع خانق.

---

[٤٠] مقدمة " ديوان شظايا ورماد"

[٤١] ينظر:- الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر- مرحلة الرواد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص١٩. نقلا عن المحمود لؤي شهاب. مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

[٤٢] المصدر نفسه.

[٤٣] ديوانها: (شظايا ورماد)، مصدرسبق ذكره، ٩٨/٢.

ومن هنا: فأن حبها الحقيقي كان وسيبقى الحبيب لم يزل في طي الغيب، عانقته روحاً خفيةً، وارتحلت معه الى عالم من الضياء والنقاء"[٤٤]

ويستشهد الباحث بقصيدة (الزائر الذي لم يجيئُ) - لنازك- والتي تقول فيها[٤٥].

ولوكنت جئت...وكنا جلسنا مع الأخرين

ودار الحديث دوائر وأنشغب الأصدقاء

أما كنت تصبح كالأخرين؟

ونرى: أن ذلك "الحبيب، الحلم الأثري المتسامي هو مصدر إبداعها، ومنبع إلهامها، وهو وحده الذي يرتفع الى مستوى إغترابها في جلالهِ وقدسيتهِ، وإذا ما قُتّيض لذلك الحبيب أن يجئ يوماً، فسينزل بها الى مرتبة الأخرين من الخواء والشهوة. أما من جاءها يوماً بلحم أمي وعظمه"، فهو طيف عابر لأنها تتطلع الى حبيب لن تراه يوماً ولا تريد أن تراه [٤٦]".

وهكذا نرى:إن تجربتها العاطفية الوحيدة التي قادتها الى مزيد من الاغتراب والاعتزال بدلاً من أن تكون عاملاً مخففاً يفتح لها نافذة في جدار غربتها. ولعله من المفيد أن نذكر: أن من طبائع (الأنا) ميلها الى العزلة التي تتهدها دائماً. ولكن تلك (الأنا) تعمل بإستمرار لتنمية قدرتها على مواجهة العزلة شريطة: أن تحافظ على خصائصها وحريتها من جهة، وأن (تعلوعلى نفسها عن طريق الاتحاد بـ(أنا الاخرى) تفهمها فهماً صادقاً من جهة أخرى[٤٧].وللأنسان وسائل يلجأُ اليها لمواجهة عزلته منها: (الحب والصداقة والفن)، [٤٨]، فإذا ما أخفقت في ذلك، وقعت في إغتراب جديد يضاف الى إغترابه الإجتماعي، والأغتراب العاطفي قد يكون أشد إيلاماً، وأكثر قسوة من الإجتماعي.

ولطالما إحتفت الشاعرة بالماضي وعانقته في ذكرياتها[٤٩]، وعرجت عليه بليل أثير على نفسها حتى أطلقت على احد دواوينها " عاشقة الليل" حيث أعتزلت عن النهار، وعن البشر، وأختارت الليل

---

[٤٤] الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص٢٠

[٤٥] ديوانها: (قرارة الموجة) مصدر سبق ذكره، ٣٣/١.

[٤٦] الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، المصدر السابق، ص ٢٠.

[٤٧] برديانف، نيقولاي، العزلة والمجتمع، ترجمة: فؤاد كامل، مكتبة النهضة المصرية، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١١٤.

[٤٨] المصدر نفسه.

[٤٩] الحمداني، احمد سالم، (ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة)ط وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، سنة ١٩٨٠، ص١٠٥.

تناجيه، لانه مستودع اسرارها، وفرحها، وحبها[٥٠]، ولكن الليل الأليف هو الأن يخونها ويبحث في أعماقها الكآبة عندما حفر خنادق الذكريات الحزينة، ويذكر بحبها الموهوم الذي ذهبت معه أجمل أيامها سدىً، وإذا ما طالعت في "قرارة الموجة قصيدتها " لنفترق" فأنك تشعر بعمق الألم المتخثر في الأعماق الجريمة للشاعرة، وبشظايا ذكريات أطعمتها للقصيدة لتجعل منها رماد حب لما يزل يتوهج.

لنفترق الآن ، كالغرباء ، وننسى الشّعور

وفي الغد يشرق دهر جديد وتمضي عصور

وفيم التذكّر ؟ هل كان غير رؤى عابره

أطافت هنا برفيقين في ساعة غابره ؟

وغير مساء

طواه الفناء

وأبقى صداه وبعض سطور

من الشعر في شفتي شاعره[151٤] ؟

لقد تجسدت حالة الهذيان الداخلي عند نازك بسبب انهزامها عاطفياً في قصيدة " الخيط المشدود في شجرة السرو" ووصل هذا الهذيان حد الموت. فهو النشيد الذي أصبح بعد هزيمتها ملازماً لها. وفي تحاول في مقدمة ديوانها "شظايا ورماد" أن تبعد الصورة عن ذاتها حين تقول (قفي قصيدة- الخيط المشدود في شجرة السرو- حاولت رسم صورة شعرية للإنفعالات والخواطر التي أعتدت شابا فوجئ بنبأ حبيبته[٥٢].

أن الصدمة في إخفاقها في حبها وتحطم العروش التي بناها خيالها عن الفارس الذي يقود احلامها كشاعرة حساسة ومرهفة.

ثم ها أنت هنا، دون حراك

متعباً، توشك أن تنهار في أرض الممر

طرفك الحائر مشدود هناك

---

[٥٠]السامرائي، ابراهيم، لغة الشعر بين جيلين، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص١٥٥ ومابعدها.

[٥١] ديوان، نازك "قرارة الموجة" قصيدة- لنفترق، ٢:٢٨٣.

[٥٢] مقدمة ديوان "شظايا ورماد"

عند خيط شد في السروة يطوي الف سر

ذلك الخيط الغريب

ذلك اللغز المريب

إنه كان بقايا حبك الذاوي الكئيبب[٥٣]

إن نداء قلب نازك النابض يبقى يلقى أصداءهِ على مسامع من لا يسمع ويطلب العودة من ذهاب لا يأتي تظل تنحب وتبكي أن يعود اليها من أصابتها النكبة منه.

إن نداءها هذا جاء في غيبوبة الوهم التي المت بالشاعرة، لهذا فنداؤها لم يكن له صدى الا في داخل نفسها وهي تعلم ذلك جيداً وتعلم أن ما تطلبه مستحيل، لكن القلب يطلب حبيبه. أن المخرج الوحيد لنازك من الظلمة الداكنة التي تعيشها الى الأفاق الواسعة وحسب رأينا المتواضع هو عودة حبيبها المنشود هو الأمل المفقود الذي ظلت تنحب وتبكي من أجله.

عُدْ..بعض لقاء

يمنحنا أجنحة يجتاز الليل بها

فهناك فضاء.....

خلف الغابات الملتفات[٥٤]

وفي الواقع كانت نازك الملائكة تنشد حباً يتسامى على الواقع، حباً يحلق في عالم المثل، فترسم صورة أو تمثالاً لهذا الحب مرة أخرى أقرب الى عالم الوهم منه الى عالم الواقع- ويمنعها كبرياؤها أن تبوح بهذا الحب للحبيب، بل ربطت نهايته بيوم أن ينكشف سره، مما جعلها تتمزق من الداخل، تغالبه مرة، ويغالبها مرات.

هذا الموقف المتعالي حرى بأن يجعل رحلة الحب أقرب الى الفشل منها الى النجاح: لأن الحب والكبرياء معادلتان متعارضتان، وتزداد التجربة تعقيداً حين تصبح مسالك الحب هضاباً، وصحاري وجبالاً يصعب إجتيازها لكن الشاعرة تحاول جاهدة طريقاً لهذا الحب مهما كلفها ذلك من عناء، وحرصها على نجاح المسيرة رغم المعوقات دليل حي على محاولة كسر قيود الذات المعذبة، والخروج بها الى دائرة التواصل الإنساني[٥٥]

---

[٥٣] قصيدة "الخيط المشدود الى شجرة السرو" شظايا ورماد، ص ١٦٩.

[٥٤] نهاية السلم (شظايا ورماد)، ص٩٥. وكذلك انظر: السايغ، توفيق، نازك الملائكة طريدة المتاهة والصوت المزدوجو منشورات الجمل، ط١، بيروت، ٢٠١٥، ص٦٨.

[٥٥] المهنا، احمد عبدالله، تجربة الإغتراب عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤١-٤٤٢.

ثم بعد ذلك لا تلبث الشاعرة أن تنكفئ على ذاتها، وترتد الى الماضي الجميل تستعرضه بكل تفاصيله ودقائقه علها تجد تعليلاً مقنعا لفشل تلك التجربة، وتلقي بالمسؤولية على أحاسيسها ومشاعرها في النهاية إلا أنها هي المسؤولة عن تحطم تجربة الحب، إذ لو باحت للحبيب بكل مايدور في صدرها لما كانت نتيجة الحب الفشل، وهذا الإحساس ليس الا ترجمة للحظات اليأس والتمزق، ومحاولة إيجاد نوع من الأنسجام في اللانسجام لأن الاحباط أكبر من أن يطاق، فلم يجد عالم الذات الغريب الا أن يجعل المعلوم مجهولاً، والمجهول منعطفاً متوهجاً نحو المعاناة والاغتراب، ولعل مرارة فشل التجربة لا يعني نهاية التجربة، لذا نجدها في قصيدتها " نغمات مرتعشة" تستعطف حبيبها في نغم حزين أن يُعدُ اليها بعد أن زحفت اليها ظلال الكآبة، وغمرت روحها، فتحول ليلها الى دمع وشجن وتعلق الاسى بنفسها فعذبها[٥٦].

ومن الجدير بالذكر أن جزء من يمثل لنا صورة الحب الحلمي[٥٧] (الرومانسي) شاعرتنا نازك الملائكة المفعمة الحزن الانثوي الباحث عن حبيب خيالي، لتتقاسم معه ذات الشاعرة المحزفة بأمانيها المستحيلة، وعلى الرغم من محاولة نازك التخلص من الرومانسية ولكنها ظلت أسيرة لها، تشدها اليها منازع ألم دفين وشعور قلق بأن كاتبها، وفي الوقت نفسه تخشى حضور الحبيب المرتقب لتظل تحلم به كأمنية مستحيلة، لذلك نلمس طابع الحزن الرومانسي في شهر نازك الملائكة حيث كانت تطلب دائما أن تظل في عالمها، وترفض العودة الى الواقع لأن الواقع الم وحزن وكآبة [٥٨].

وفي اعتقاد نازك أن البوح والتصريح بهذا الحب يجعله يفقد سموه ونقاءه وحتى نراها تدعو جبيبها في قصيدتها "دعوة الى الاحلام" الى أن يحلم مثلها حتى يسمو الى عالمها المثالي وهي تنسج خيوط الحزن والكآبة وتبحث عن عالم يشاركها الحبيب فيه أحلامها قائلة:

تعال لنحلم، إن المساء الجميل دنا

ولينُ الُدجى وخدوُد النجوم تنادي بنا

تعالَ نصيدُ الرُؤى ونَعدُّ خيوط السَّنا

---

[٥٦] المصدر نفسه، ص ٤٤٢-٤٤٣.

[٥٧] ينظر بالتفصيل عن صورة الحب الحلمي: الجعفر راضي عبدالكريم، ورماد الشعر (دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق)، الطبعة الاولى، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٨، ص٢٢. ينظر: الملائكة نازك، الموجة القلقة، ص٥٨

[٥٨] المصدر نفسه.

ونُشْهِدُ منَحَدراتِ الرمال على حبنا[٥٩]

وترسم نازك صورة للحبيب في قصيدتها (الزائر الذي لم يجئ) تستمد مقوماتها من خلال ماعملته من تقابل ضدي: إنسان اللحم والدم: وإنسان الحلم فحبيبها الحلم أقوى من الحاضرين (اللحم والدم) وفي هذه المقابلة إرتقاء " السلم الإبداع الروحي، ثم إنفراج حياة تنبض على دقات الحلم، أما إذا انتهى الحلم الى صيرورة الحب الإنساني الأعتيادي، فإن ذلك يساوي هدماً للإبداع الروح، ثم هدماً لحياة"[٦٠].

وكل ما أهتمت نازك به في تجربة الحب الحلمي هو تأكيد ذاتها، ولم تمنح الحبيب أية صفات يمكن أن يشار اليها حيث أكتفت بالرؤية الداخلية لتلك الصورة المكثفة (أني احبك حلماً)، وبذلك جعلت ذاتها تسمو وتحلق في حلمها الذي مجد لهيب وجدانها حوله الى قيمة إبداعية معبرة، وبمعنى آخر منحت نازك النصف الاخر (الحبيب) زينة خيالية في حلمها الرومانسي.

وتتحاور نازك مع حبيبها الذي يسأل ويطرق بوابة قلبها وتخشى ان يرفض حبها ويغضب، لتسأله عن قبول حبها وتجيب بلسانها عن ثوراته وعتبه مخبرة عن مشاعر الحبيب المنخمدة وعن قلبها الملتهب.

وتعلن نازك عن فرحها بذلك الحب الذي يسكن قلبها فهو إحياء لوجودها لتتقاسم الدنيا معها فرحة الحب ومناداة الحبيب.

وتعاملت الشاعرة مع المفردات اللونية المتمثلة ب(الأحمر والأصفر والأخضر)، لكونها تدرك خاصية الألوان وقدرتها على التعبير عن أي موقف شعوري، فمن خلال الألوان (الأحمر والأصفر والأخضر)، تستمد نازك قدرتها في وصف صورة قلبها المعذب[٦١].

فاللون الأخضر رمز " للطراوة والأمل والحياة"[٦٢] واللون الأصفر يدل على " الخريف والحزن والموت والقحط والبؤس والذبول والألم والشحوب والإنقباض" والأحمر "يشير الى الثورة والتمرد والحركة والغضب والإنتقام والقسوة"[٦٣]

---

[٥٩] الاعمال الشعرية الكاملة، قرارة الموجة، ج٢، ص٢٦

[٦٠] رماد الشعر، مصدر سبق ذكره، ص٢٢

[٦١] الاعمال الشعرية الكاملة، يغير الوانه البحر، ج٢، ص٤٦٥

[٦٢] الهاشمي، رباب حسين، الحيوان رمزاً في الشعر العراقي الحديث(١٩٧٠-٢٠٠٠) اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات٢٠٠٨، ص٢٨. وانظر ايضاً: الرباب هاشم، شعر هلال ناجي، دراسة فنية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢، ص١١٦، نقلا عن البيرماني فرح غانم، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٩.

[٦٣] النعيم، اليافي، تطور القصيدة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ت، ص٢٢١-٢٢٢.

وبذلك تناغمت نازك مع تلك الألوان لكونها إنطباعها (الوجداني)، حيث تمارس " الألوان في كثير من الاحيان هيمنة على النصوص الشعرية الحديثة"[٦٤].وتختم مقطوعتها بمناجاتها للحبيب وإلحاحها بالتكرر لحرف النداء (يا) وهو لنداء البعيد باحثة عن مرفأ الأمان والغرام.

لقد عانت نازك الملائكة من الحرمان واستظلت بالكتمان بعيداً عن التصريح المباشر للحبيب الذي رسمت ملاحمة في خيالها، ويتضح ذلك في دواونيها الثلاثة (عاشقة الليل) و(شظايا ورماد) و(قرارة الموجة)، فهي نارة تلح في طلب الحبيب وأخرى نجدها غاضبة ترفض استقباله وتطلب منه أن لا يجئ وهي في كل ذلك تعيش حالة نفسية غير طبيعية"[٦٥]. ولكن ربما تكون في دواوينها (شجرة القمر، وللصلاة والثورة، ويغير الوانه البحر، والوردة الحمراء) أكثر وضوحاً بعدها نضجت تجاربها ألإنسانية، وسافرت وتخطت تلك القيود التي كبلت مشاعرها وأخذت تحاور الطبيعة وأمواج البحر والشمس والسماء والطير والألوان وهي تشعر بوحدتها وغربتها لتكشف عن دقات قلبها.....وتنسج صورة الألم لحبيب رحل قائلة في قصيدتها (الوردة الحمراء):

وردته حمراء لم أسلمه اياها، ولم أصل

وصلت الجراح صلت قلبي

وتهت في الأفلاك أبكي

وحبيبي ساهر في برجه يبكي ويبكي مثلي[٦٦]

ونرى أن استخدام الرومانسي لمفردات (صلاة من اجل الحبيب، الجراح، أبكي، حبيبي ساهر) جميعها تدل على جو من الحرمان العاطفي.

أما عن الليل تتحدث نازك الملائكة في شعرها، ذلك الذي أقترن بالخيال والأحلام والتوحد والابداع مثلما أقترن بالكآبة والموت[٦٧]. حيث ترسم شاعرتنا أجمل لوحاتها في قصيدتها (مشغول في آذار). إذ تصف فرحتها بالحب وحبيبها مشغول عنها، وهي بإنتظاره...قائلة:

ينام الورد أو يصحو

ويبسم في المدى ليل ند أو بنتشى صبح

سواء ذاك أو هذا، حبيبي أنت مشغول[٦٨].

---

[٦٤] البيرماني، فرح غانم، المصدر السابق، ص٢١٠.

[٦٥] المصدر نفسه.

[٦٦] الاعمال الشعرية الكاملة، الوردة الحمراء، ج٢، وينظر: عاشقة الليل، ج١، ص٤٢.

[٦٧]الجابر، عصفور، رمزية الليل قراءة في شعر نازك الملائكة، الكتاب التذكاري، ص٥٢٤.

وتتحدث نازك أيضاً عن الليل قائلة: بأنه يقف حاجزاً بينها وبين حبيبها لتقول في قصيدتها (ميلاد نهر البنفسج):

وبيني وبينك ينسدل الليل في الف ستر وباب

ويحجبني عنك ألف حجاب

وتبقى القصيدة سور مدينة

ملثمة. بحصونٍ حزينة.[٦٩]

ونحن نرى في هذا النص شدة اليأس والحرمان، من جانب آخر تتحدث نازك الملائكة عن النهار حيث ترسم لوحة رومانسية تختار منظرها من أحضان الطبيعة، لتصورها ما الذي تعشقه في الحبيب ولتصف ذلك اللقاء بين العشاق والشوق يحرق قلوبهم، كشوق الليل لملاقاة النهار. حيث نبحث نازك عن ذرات صوت حبيبها في أرجاء الطبيعة لتصف شعورها الكئيب[٧٠].

وتستلهم الشاعرة من أجواء الطبيعة ما يعادل ويقرب ما تشعر به في بحثها عن دفئ الحبيب، فتلاحمت الصور المكثفة بأحاسيسها والتي إبتدأت بسرد للزمن أجمل القصص، ويبدو أن الشعور بالوحدة والقلق والكآبة أكثر ما ينتاب عالم الشاعرة ويدفقها لإلتقاط تلك الصور (حيث يجوب الذئب وحده في الطبيعة والجدول ينساب بلا حدود والخروف يقضي النهار بقضم العشب).

وقد مثل (النهار) لشاعرتنا ذلك القيد الذي يسجن احساسها ويؤرقها ويحتضنها كقبر غليظ[٧١].إلا أنه يبدو أن رسالة من الحبيب لنازك يشعرها بالسعادة وسط عالمها الكئيب لتعطيها حروف الرسالة أمل اللقاء بعد الغياب، وتصف نازك "هدب عين حبيبها" برعشة سنبلة الحقل. فالشاعرة تصور رقة رومانسية حبيبها بذلك الوصف[٧٢].

إن المرأة التي ترثي حبها الوحيد..... حب شاعرة عذرية قدست قلبها وجعلت مكانه بين النجوم، إن هذه المرأة الشاعرة تقترب من النهاية.... ترتجف من مواجهة حقيقة حبها وإخفاقها فيه لذا فهي تحاول أن تتعلق ببقايا المثل والقيم العليا التي قدستها، وأرادت أن تتحقق في صورة إنسانها..... أخذت تلح في طلب ظل انسانها بعد أن عجزت عن امتلاك حقيقة لذلك نجدها في قصيدة " بقايا" ترتجي

---

[٦٨] الاعمال الشعرية الكاملة، شجرة القمر، ج٢، ص٧٨

[٦٩] الاعمال الشعرية الكاملة، شجرة القمر، ج٢، ص ٢١١.

[٧٠] المصدر نفسه، ص٢٢١.

[٧١] الاعمال الشعرية الكاملة، للصلاة ثورة، ج٢، ص ٢٠٩-٣١٠.

[٧٢] المصدر السابق، ص٢٦٥.

الحصول على لون العيون وذكرى الأشياء، وحلم الغد وشئ من ما كشف من أمرها الا أن هذا الرجاء لا يوصل شاعرتنا الى شئ مما تريده فكيف تسمح بالتنازل عن كل شئ، ثم تقول:

لتكن هدمت لم تستبق في صدري حباً

آه لكن إبق قلباً[٧٣]

وتلتقي الشاعرة بالحبيب الذي طالما تلهفت على لقائه، وعاشت أسوء أيامها بفراقه، كما في قصائدها " ذات مساء" و "عودة الغريب" في "عاشقة الليل" و " عروق خامدة" و " أجراس سوداء" في "شظايا ورماد" لكن غربتها الساحقة كانت أقوى من أن يزيلها لقاء الحبيب كما كانت تتوهم من قبل، فضلاً عن الشرخ الذي أصاب العلاقة العاطفية قد هزَّ التجربة من جذورها، ولعل هذا كان وراء تلك الهواجس السوداء التي تنغص على الشاعرة متعة الحياة، فيجعلها تتوهم أن هناك شيئاً مجهولاً يتربص بتجربة حبها[٧٤]. قد يكون هذا الشئ هو ما رمزت له "بالعلاة" وقد يكون هذا الشئ، سمكة تفسد رحلة الحب، فبينما الحبيبان يتهيأن للسعادة، اذا بهما يسمعان حركة تكون النذير لفرآق عالم السعادة. وربما يكون هذا الشئ أيضاً متمثلاً في أصوات منكرة تأتي من عالم آخر تنذر بفشل اللقاء والحب.

هذا يعني أن هناك شيئا ما كان يعذبها ويطاردها ويشوه أفراحها، ويسرقها من نفسها إن صح التعبير، وهذا الشئ هو الذي باعد بيها وبين حبيبها، بل وبين العالم الحي على الوجه الخصوص[٧٥].

لقد تعبت نازك وأجهدت نفسها كثيراً في النداء..... إن ما فقدته لايمكن أن تناله بعد....ومن مظاهر التعب والإرهاق النفسي الذي تعيشه الشاعرة ما برز في قصيدتها " مر القطار" حيث يتوقع الشاعر ان يستمع من الشاعرة الى وصف للقطار ليلاً بالدرجة الثالثة من القطار. فهناك صوت عجلات القطار، وحالة التعب الكلي، ولون الغبار المتراكم على كل شئ، وصوت صفارة القطار التي تثير أحساساً غريبا في النفس، والآخر يسأل متى تصل.

أن الإيحاء الذي تريد نازك أن توصله الينا من خلال لوحتها هذه هو مدى الضجر والتعب الذي أصاب الشاعرة.

وأن مرور القطار بشكله الخارجي يعني بالنسبة لها رحلة الفارس المنشود، الذي ترتجي عودته.

وبقيت وحدي أسأل الليل الشرود

---

[٧٣] قصيدة " مرالقطار" (شظايا ورماد)، ص٥٠.

[٧٤] المنها، احمد عبدالله، مصدر سبق ذكره، ص٤٤٥.

[٧٥] المصدر نفسه

عن شاعري ومتى يعود؟

ومتى يجئ به القطار؟[٧٦]

لقد إستلمت نازك استلاماً نهائياً لقسوة الحياة عليها ولم تنفعها كل شحنات الأمل والتصدي الكبيرة التي ألمت بها.

ونجدُ في شعرها خلال هذه المرحلة سيطرة الفاظ " الأشباح والسواد والليل والأساطير والقبور" في أغلب قصائدها. فلو تصفحنا ديوانها "شظايا ورماد" لوجدنا قصائدها الأفعوان، خرفات.. الغاز... في جبال الشمال.... يوتوبيا في الجبال.. قبر ينفجر.. رماد.. الخيط المشدود في شجرة السرو" وأغلب قصائدها الديوان الأخرى مليئة بالأوهام والأشباح وكذلك ديوانها الأخر قرارة الموجة في قصائد (حلاوة الأشباح)، بقايا، أسطورة عينين.. الرجل.. دعوة الى الاحلام، لقد أصبحت الأشباح هي التي تقود نازك في طريقها... وهي التي تعترضها حين تريد الذهاب الى حبيبها..... لقد أصاب نازك الخلط والوهم.....

في المعبر سعلاة ترمق طيفي بفتور

ووراء المفترق المنشعب بعض القبور

خذ بيدي ولنترك هذا الأفق المهجر

لا تتركني روحاً صارخة في الديجور[٧٧]

لقد ظلت الشاعرة مدة طويلة تعيش إنسحاق عواطفها وخيبة أملها في تحقيق النجاح بعواطفها ولقد كانت نازك في شعرها...لم تنفصل هذه الذات عن كل شعرها، ولهذا كان شعرها صادقاً ومعبراً التعبير الحقيقي عن نبضات قلبها. ونستنتج أسباب الحالة النفسية التي جعلت من هذا الفشل العاطفي فشلاً حياتياً كاملاً- حيث نرى بأن الخيبة قد طبعت أغلب شعرها.

أن نازك تنحدر من عائلة محافظة، وهي من عائلة الشعراء لذلك نشأت عواطف نازك رقيقة لا تتحمل اي صدمة

أن السبب الذي أدى الى فشل تجربتها هو أنها كانت تضع لفارس أحلامها مرابع في الأفلاك، وكانت تتوقع ان تتلاقى روحهما في عالمها الشعري الخاص. الا انها اصطدمت بالحقيقة المرأة التي أظهرت الفجوة الكبيرة بين ما كانت تتصور وتحلم به، وبين الواقع التي تعيشه.

---

[٧٦] قصيدة مرَّ القطار، شظايا ورماد –المجموعة الكاملة، ص٦٣.

[٧٧] السامرائي، احمد ماجد، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤-٣٥.

أما الفشل والإخفاق في التصور.... هل كان من جانبها أم من جانبه هو... فالذي نعتقده أن الإخفاق قد كان من نصيب شاعرتنا...والدليل على ذلك التباين الكبير بين شعورها أثناء الصدمة.

إن هذه المرأة الثائرة المنتقمة القاسية.... تأتي لتصبح ثورتها أنيناً لا يسمعه أحد.... أنه انين النفس تطلب وترتجي أن يعود فارس أحلامها.

ولم تجد نازك لنفسها مخرجاً... لأن اي حلٍ من صالحها سيؤدي بالتقاليد والقيم الإجتماعية والجو الذي تعيشه أسرتها.... فآثرت أن تظل هذه الشاعرة الرقيقة تبكي وتنحب فأضحت خنساء العصر[٧٨].

وأخيراً وليس آخراً وبتاريخ ٢٠١٤/٨/١٥ فازت نازك الملائكة بجائزة الإبداع الأدبي النسوي العربي للدورات: (الاولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة)، كونها موسوعة في الأدب والشعر والقصص، وناقدة من طراز فريد وفاعل.

حيث قامت نازك بكسر النسق الذكوري للأدب، حيث عرف الأدب منذ نشأته الاولى بصبغته الذكورية التي أطلقت عليها بعض المهتمين بالنقد الثقافي؛ مصطلح " نسق الفحولة" الذي هيمن على المشهد الأدبي والثقافي (سواء أكان غربياً أو عربياً) لمراحل زمنية طويلة ومتعاقبة. ولهذا كان نسق عمود الشعر الذي عرفه الشعراء العرب- مثلاً- وأسس له النقاد القدامى هو خير شاهد على الصرامة والإستحواذ الذي إضطلعت به الصبغة الذكورية التي أشرت لها في مطلع هذه المقدمة[٧٩]. وهذه الصبغة هيمنت على أنساق أدبية أنثوية على مر التاريخ، وحتى ظهرت قصيدة نازك الملائكة " الكوليرا" في نهاية النصف الاول من القرن العشرين لتكسر هذا النسق المهيمن ولبسهم مع شريكها (الرجل) في التجربة الشاعر بدر شاكر السياب في رفد التحول الكبير في القصيدة العربية.

وبصرف النظر عن تحديد الرائد لقصيدة الشعر الحر، لكن المتفق عليه هو الجودة والتجريب في كتابة هذا النوع الشعري. فضلاً عن التمرد أوالثورة التي كانت الأنثى ركناً مهماً فيها. ومعروف عن عصرنا الراهن بأنه عصر الثورات والتحولات وتحطيم السرديات الكبرى، وتقديم الهامش على المتن. ولما كانت هذه التحولات نتاج للمخاضات العسيرة التي يشهدها العالم بأسره على الأصعدة كافة، كان للعرب تحولاتهم الخاصة بهم فهي تحولات تمس واقعهم الأدبي خاصة حتى صارة الحداثة العربية حداثة شعرية بحسب رأي كثير من الباحثين. وبذلك صار من السهل علينا تحديد مكمن الحداثة الأدبية الشعرية، فهي حداثة ذات وشاح (أنثوي) بالقدر التي فيه (ذكورية الصبغة). ولقد لعبت العولمة وثورة الاتصالات دوراً مهماً في تعميق الصبغة الأنثوية للحداثة ما بعد الحداثة الأدبية. وبذلك كان من

---

[٧٨] المصدر السابق، ص٣٦-٣٧.

[٧٩] النصوص الفائزة في جائزة نازك الملائكة للإبداع الادبي النسوي العربي، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، ٢٠١٤، ص٥

المسائل المهمة الإحتفاء بهذا المنجز من خلال الإحتفاء برائدة من رواد الشعر الحر وهي الشاعرة نازك الملائكة، وتأسيس جائزة بإسمها تكون جذوة لا ينطفي أوارها، على الصعيدين العربي والإنساني[٨٠].

[٨٠] المصدر السابق، ص٥-٦

المبحث الثالث: المرأة وصورة المرأة عند نازك الملائكة

لقد أختلفت صورة المرأة من مجتمع لأخر ومن عصر لأخر ومن بيئة لأخرى بإختلاف العوامل الحضارية والإجتماعية والمادية والنفسية، فهو لا ينتهي فأصبح الشعراء يشخصون في المرأة ضروياً من الحسن ويضفون عليها ألواناً من السحر تتباين من شاعر لأخر.

وما إن حل مطلع القرن العشرين حتى إنطلقت الأصوات المنددة بتجميد المرأة وعزلها في نطاق ضيق. وممن ثأر للمرأة وطالب بحقوقها في العراق الشاعر جميل صدق الزهاوي (ت ١٩٣٦م) والشاعر معروف الرصافي (ت ١٩٤٥م) اللذان يعدان من أوائل الدعاة لحرية المرأة وإنصافها وتحريرها، وغيرها من الشعراء الذين تحدثوا عنها ووصفوا مشاعرها وتغزلوا بها كالجواهري ونازك الملائكة والسياب ممن طالبوا بإنصاف المرأة وإعطائها حقوقها والدعوة الى تعليمها وتثقيفها وقد موالها صوراً مختلفة وممتعة[٨١].

ومن المعروف أن المرأة في مجتمعنا قد أصابها ما أصاب المجتمع بأسره حالة التخلف والجمود والإنحطاط أبان الغزو الشعوبي التي تعرض لها مجتمعنا العربي وأصبحت قيمة المرأة لا تعتبر إلا من خلال إنجابها للأولاد والتربية المحدودة القاصرة عن خلق جيل واعٍ لحقيقته.

كما أن هناك سيلاً عارماً من المرض والفقر والحرمان أصاب المجتمع بأسره فكثرت المشاكل والأزمات الإجتماعية بحيث دفع ذلك الكثير من الشعراء الى تصوير تلك الأزمات والمشاكل تصويراً فنياً مؤثراً. وقد أختلف شاعرعن شاعر من حيث المستوى في العمق وتناول الموضوع.

ويبدو أن نازك قد تناولت بعض المسائل الإجتماعية في شعرها وخاصة نظرة المجتمع الى المرأة، الا أن ذلك قد جاء بشكل سطحي والسبب هو عدم إكتراث نازك بقضايا الأخرين بقدر أهتمامها بذاتها وتأملاتها إلا أن المسألة الذاتية تظل غير واضحة وغير عميقة مالم ترتبط بالخارج وبالأطار الموضوعي لها وهو الواقع[٨٢].

وإستناداً الى ما جاء في هذه المقدمة البسيطة نستنتج أن نازك الملائكة- طرحت موضوع المرأة كقضية فإنه وجد طريقه الى أدبها الفكري لا الشعري. فقد تبنت المرأة ووضعها في العالم بقوة ووضوح وحجة بليغة في محاضرتين ألقتهما في مطلع الخمسينيات، هما في صميم أدب حركة التحرير النسوي في العالم، بإكتمال إنسانية المرأة وحقها الكامل في الحياة والإختيار[٨٣].ورغم اشتداد الدعوة الاصلاحية منذ أوائل القرن العشرين الى تحرير المرأة ومنحها حقوقها كاملة في التعليم والتفكير والتعبير..:الخ الا أن التربية الإجتماعية ظلت على كبح عواطف المرأة وحقها في التعبير عن

---

[٨١] ديوان الحبوبي، سعيد محمد، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٠٢.

[٨٢] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة: الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٧٩

[٨٣] الجيوسي، الخضراء سلمى، المرأة وصورة المرأة عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٨-٢٤٩

ذلك. ويمكن القول- ولو بدرجات متفاوته- ظلت المرأة حتى أكثرهن تحرراً- تعبر عن عواطفها، رمزياً وبأستياء.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين حصل كثير من المتغيرات الإجتماعية والسياسية والفكرية. وأشتدت الحركات الداعية لتحرر المرأة[٨٤].

ومع بدء مطالبة الاقلام بتحرير المرأة من قيودها، برزت الدعوات الى إعطائها حقوقها فتعالت الأصوات الى إنصافها وتعليمها وأول تلك الدعوات كانت متزامنة مع ولادة شاعرات وأديبات عراقيات كبيرات منهن (نازك الملائكة، ولميعة عباس عمارة، وغيرهن) ممن أثرن الأدب النسوي، وقد أطلقن دعوات لتحرير المرأة وبيان مظلوميتها في الحياة الإجتماعية ومنحها دوراً أكثر واقعية، غير أن هناك من الشعراء من يدهش من خروج المرأة لمعترك الحياة وسيرها في الشوارع وتخفيف حجابها، أو ارتداء ملابس عصرية.

وبعد كل ذلك الإبتهالات التي ناصرت المرأة وطالبتها بتحطيم القيود التي تكبلها فيها من تقاليد وعادات صارمة، مع الأصوات الداعية الى التخفيف عن المرأة وإطلاق سراحها، فقد شهدت المرحلة من العام ١٩٦٠ الى العام ١٩٧٠ إنفراجاً أكثر للمرأة، وحتى نرى ظهور أديبات بارعات خرجن الى الحياة الأدبية بنتاجات شعرية منهن (نازك الملائكة وعاتكة الخزرجي، لميعة عباس عمارة) وغيرهن الكثير ممن واكبنَّ الحركة الادبية وساهمن في حراكها وتطورها والدعوة الى حرية المرأة. حالهن مثل حال كثير من الشعراء الرجال[٨٥].

تأملت نازك كثيراً لوضع المرأ ة في المجتمع العربي، ورفضت التقاليد الإجتماعية التي كانت تَغْييب هويتها الإنسانية، وتصادر حريتها الطبيعية، لذلك كانت الصورة الحزينة التي نشرت ظلالها في عالمها الشعري، من أبرز وسائلها الفنية التي وظفتها لإعطاء صورة المرأة في المجتمع.

وعدّت نازك المرأة متكافئة مع الرجل من دون أن تضطر الى خوض صراع واضح للوصول الى التكافؤ[٨٦].

إن رؤيا نازك للحرية رؤيا نفاذة، عصرية، رافضة لجميع الضغوط التي تم فرضها على المرأة من قبل مجتمع أبوي هرمي شديد التعنت والإستخفاف بها، فسلب هذا منها القدرة على الإبداع. فما دامت المرأة هي إمراة فهي ملزمة بأن يقصر نشاطها على العمل المنزلي مهما كانت ملكتها الفطرية

---

[٨٤] الطائي، علي، نازك الملائكة، مجموعة من الباحثين، سلسلة الكتاب الذهبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥، ص١٥

[٨٥] البيرماني، ايناس عباس صالح، صورة المرأة في الشعر العراقي الحديث(١٩٥٠-٢٠٠٠)، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص١٣٤-١٣٦.

[٨٦] الملائكة، نازك، دراسات الشعر والشاعرة، د. عبدالله المهنا، ص٢٥٦.

وإتجاهاتها. وكذلك لايمكن للعاطفة أن تنمو وتغتني إذا كان الفكر معطلاً، فهي ليست معزلة عنه، والمرأة إن كانت لا تملك ذهناً مرناً نامياً فلا مجال أن تملك مشاعر متكاملة.

وقد كات لتقسيم العمل نتيجة أخرى سيئة على المرأة وهي أنها: فقدت ثقتها بقدراتها العقلية والنفسية نتيجة لإستمرارها على اداء الأعمال اليدوية البسيطة. ونحن لا ننسى أن هذه- الأعمال التي خصتّ بها المرأة ما زالت أعمالاً يحتقرها الرجل الشرقي ويأنف من تأديتها، ولو أردنا أن نكون نزيهين لأتفقنا على إنها أعمال تافهة[٨٧].

فوصفت نازك الملائكة المرأة "كيف تضحي أحياناً بتفردها وتميزها، لكي تحافظ على الصورة الراسخة في العرف الاجتماعي التقليدي للمرأة كأنسان دافئ القلب متواضع ومحب لا أكثر".

إن المجتمع الشرقي تسلط على كيان المرأة تسلطاً كبيراً لذلك فإن نازك الملائكة " كانت ترى أن قضية المرأة بوجه عام، قضية أخلاقية بحتة، ومواجهتها أمر في غاية الصعوبة"

وتبلغ المواجهة ذروتها من أجل تحرير شخصية المرأة من القوى المهيمنة عليها، والتي جعلت المرأة تتأرجح بين الحلم الذي يفر بها ويشدها اليه الواقع المرير الذي تعيشه، ففي قصيدة مدينة الحب تقول:

في عمق صحراء الحياة،هناك فوق لظى الرمال

حيث الرياح الداويات،مدينة بين التلال

في قلبها نهر تحيط به المفاوز والصخور

وشواطىء لا ظلّ فيها،لا خمائل،لا عطور

الماء يبدو وادعا ووراءه الألم العميق

أمواجه السمّ الزعاف وإن بدا حلو البريق

كم زورق خدعته جنيّاته ورسومه

كم حالم أودت به أمواجه وسمومه

والشاطىء الثاني يلوّح بالجمال وبالفتون

حتى إذا قاربته أبصرت إعصار المنون

لا شيء غير الشوك والأشلاء فوق صخوره

لا صوت يسمع غير ضجّة دوده ونسوره[٨٨]

---

[٨٧] الجيوسي، الخضراء سلمى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٩-٢٥٠.

[٨٨] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، ٤٢٦/١

عنوان هذه القصيدة (مدينة الحب) جاء تعويضاً عن ضياع الحب ومحاصرته في البيئة العربية، فأرادت نازك أن تؤكد أهميته في حياتنا، لا بين الرجل والمرأة فقط، بل أرادت أن تؤكد أهميته في علاقاتنا الإنسانية كلها. ولهذا نجد الشاعرة لا ترحب بشروق الشمس، لما فيها من أضطهاد للمرأة، فكتبت قصيدة، ثورة على الشمس:

لا تَنْشُري الأضواءَ فوق خميلتي
ان تُشرقي، فلغيرِ قلبي الشاعرِ
ما عاد ضوؤكِ يستثيرُ خوالجي
حَسْبي نجومُ الليلِ تُلْهِمُ خاطري
هنّ الصديقاتُ السواهرُ في الدُجَى
يفهمن روحي وانفجارَ مشاعري
ويُرِقْن في جَفْني خُيوطَ أشعَّةٍ
فَضيَّةٍ، تحتَ المساءِ الساحر[٨٩]

أما عالم الحلم فهو عالم الليل، وليس عالم النهار، لأن النهار ربما فيه من ارهاق المرأة وإنهماك في تربية الاطفال والتدابير المنزلي وخدمة الرجال وسطوة العرف والتقاليد ما يحول بين المرأة وبين تحقيق حريتها وإرادتها ويكتب مطامحها ورغباتها وعد من علاقاتها وتصرفاتها، ولكنها في الليل على أجنحة الحلم تستطيع أن تنتقل بحرية في كل مكان من غير أن تستأذن من زوجها.

وصل قهر المرأة في البيئة العربية الى درجة خنق مشاعرها ومصادرة حريتها، وطمس هويتها الإنسانية، فثارت نازك على هذا القهر في قصائد كثيرة، وهذه القصيدة (ثورة على الشمس) واحدة منها. وما ذلك إلا لأن المجتمع العربي صادر حرية المرأة الى أقصى المديات.

فنازك الملائكة " شاعرة متطلعة تدعو للحرية والتقدم والانصاف من قوانين بالية رتيبة، ولا غريب في ذلك حيث أن الشاعرة تعيش في وسط مجتمع تسوده التقاليد القديمة ولا زالت مسألة حرية المرأة تعدُّ بالنسبة اليها إهانة كبيرة لمفاهيمها وأعرافهاالتي قدستها عبر سنين طويلة من الزمن[٩٠]"

أن سطوة المجتمع وقوة التقاليد المهيمنة على حركة المرأة، جعلها تعيش حزناً عميقاً وقلقاً نفسياً دائماً، مما دفع نازك الى أن تصور هذا العالم القاسي الذي يحاصر المرأة حصاراً كاملاً، إذ تقول: " إمرأة متنورة تعيش في مجتمع كثير الكبت للحرية العاطفية والروحية. ولعل قصيدتها الأفعوان مثل

---

[٨٩] المصدر نفسه، ٣٧٧/١.

[٩٠] السامرائي، ماجد احمد، مصدر سبق ذكره، ص٢٥.

جيد على أبعاد المأزق النفسي الذي وجدت نفسها غارقة فيه، فالقصيدة تحمل رسالة إنوثية بليغة إذ تصور حصاراً كاملاً على الحياة"[٩١].

أين أمشي؟ مللت الدروبْ

وسئمت المروجْ

والعدوّ الخفي اللجوج

لم يزل يقتفي خطواتي فأين الهروب؟

الممرات والطرق الذاهباتْ؟

بالأغاني إلى كل أفق غريبْ

ودروب الحياة

والدهاليز في ظلمات الدجى الحالكات

وزوايا النهار الجديب

جُبتُها كلها، وعدوِّي الخفي العنيد[٩٢]

فالمرأة أينما ذهبت وتحركت في هذا المجتمع، في النهار وفي الليل والآفاق وفي الزوايا، تلاحقها التقاليد والأعراف الإجتماعية البائدة الحاكمة في المجتمع والمتسلطة على حركته من غير أن يكون منظوراً، ولعل أكثر ما كان يؤلم نازك الملائكة النظرة غير المتكافئة للرجل والمرأة في مسألة الأخلاق، ولاسيما مسألة غسل العار نتيجة للقيم الإجتماعية الموروثة في مجتمعنا. فالشاعرة" نددت في قصيدتها (غسلاً للعار) بمفهوم الرجل العار، حيث حدثتنا عن رجل قتل أبنته، الخاطئة التي لم

---

[٩١] الملائكة، نازك، دراسات في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٧

[٩٢] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، ج٢، ص٥٤.

تتجاوز العشرين، ثم لم يتورع في الاحتفال بغسل عاره في حانة من الحانات، وهي بذلك تصور لنا أحد تلك المناظر البشعة، فتنقل الى أمها فظاعة جريمة هي من بقايا الجهل والتخلف"[٩٣].

وقد استطاعت نازك الملائكة بحق أن تصور جانباً إجتماعياً مهماً في النظر المرأة خاصة مسألة الأخلاق والنظرة اليها. فقضية قتل المرأة بسبب غسل العار هي أحدى القيم الإجتماعية الموروثة في مجتمعنا ولكن التطور الإجتماعي يدعو الى ايقاف هذه النعرة الإجتماعية البليدة فقد أصبح أغتيال المرأة بسبب غسل العار حجة يحتج بها أصحاب الإنحراف الجرُم الإجتماعي.

وقصيدة " غسلاً للعار" فيها العمق ما يجعلها تتصدر قصائد الديوان تقول نازك:

أمّـاهْ ! وحشرجة ودموع وسوادْ

وانبجس الدم واختلج الجسم المطعونْ

والشعر المتموج عشّش فيه الطينْ

أمـاهْ ! ولم يسمعها إلا الجلادْ

وغداً سيجيء الفجر وتصحو الأورادْ

والعشرونَ تنادي والأمل المفتونْ

فتجيب المرجة والأزهارْ

رحلت عنّا غسلاً للعارْ

ويعود الجلاد الوحشي ويلقى الناسْ

العار ؟ ويمسح مديته: مزقنا العارْ[٩٤].

وهنا أيضاً "غسلاً للعار قصيدة فيها إحتجاج صارخ عنيف على التقاليد الوحشية الذي يدفع الأخوة الى ذبح شقيقاتهم إنتقاماً للشرف وغسلاً للعار"[٩٥]

ورجعنا فضلاء بيض السمعة أحرار

يا ربَّ الحانة أين الخمر وأين الكاس

---

[٩٣] أبو سعد، احمد، الشعر والشعراء في العراق(١٩٠٠-١٩٥٨)، دراسة ومختارات، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٩، ص٢١٦

[٩٤] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، ج٢، ص٢٤٩-٢٥٠.

[٩٥] الروز، غريب، نسمات وأعاصير في الشعر النسائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٤٨-٢٥٠.

نادِ الغانيةَ الكسلى العاطرة الأنفاس

أفدي عينيها بالقرآن وبالأقدار

املأ كاساتكَ يا جزار

وعلى المقتولة غسلا العار[٩٦].

إن مسألة غسل العار من مخلفات المجتمع القديم الذي تسوده القيم التي تحرم اي نوع من العلاقات بين الجنسين حتى لوكانت في مستوى العلاقات البريئة.....وهذه ما زالت واضحة في ريفنا العربي، حيث نجد مسألة قتل الفتاة المتهمة بعلاقة ما مسألة شائعة.

إن الأخلاق في المجتمع العربي مسألة حيوية جداً وهي العمود الفقري الذي يبني الحضارة التي تتشبث للحصول عليها. وذلك ضمن المفهوم الثوري للأخلاق، إن محاولة تضمين الأخلاق رموزاً من البؤس والإضطهاد الإجتماعي شئ لايتصل بالأخلاق من قريب أو بعيد، إنما هو علامة من علامات التخلف التي لا بد من القضاء عليها تماماً. لقد إتسمت قصيدة (غسلاً للعار) بحساسية الصورة ووضوحها وكانت صورة شعرية مزجت بين الواقع الإجتماعي والذهنية الفنية للشاعرة مما يجعلنا نطلب من نازك ونلح عليها بإدخال الواقع الحياتي في صورتها الشعرية لإنها نجحت في استخدام الصورة الشعرية في هذه القصيدة[٩٧].ونرى إن نازك الملائكة تحلم أن تتحرر المرأة من قيود المجتمع الثقيلة، ولكن رسوخ هذه التقاليد، نتيجة للقرن الطويلة التي تحكمت بنظرة المجتمع للمرأة، جعل المرأة خائفة مرعوبة تعيش عالماً نفسياً قلقاً، مثل السفينة التائهة دون أن ترسو على شاطئ النجاة.

وفي قصيدة أخرى تهاجم نازك قسوة المدينة التي تصادر حق الطفولة في العيش الكريم، وهي بذلك تدين الأنظمة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التي صادرت إنسانية الإنسان، بل مسخت كثيراً من الناس فجعلتهم يختبئون وراء أقنعتهم التي تحاول الشاعرة أن تكشف زيفها وبشاعة من يختبئ خلفها.

فقد إستطاعت نازك أن تصور حالة فتاة مشردة نائمة على أحد الأرصفة من شوارع بغداد في ليلة شتائية مرعبة تقول:

إحدى عشرة كانت حزنا لا ينطفئ

و الطفلة جوع أزلي تعب ظمأ

و لمن تشكو لا أحد ينصت أو يعنى

البشرية لفظ لا يسكنه المعنى

و الناس قناع مصطنع اللون كذوب

---

[٩٦] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص٢٤٩.

[٩٧] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة- الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٨١.

خلف وداعته اختبأ الحقد المشبوب

و المجتمع البشري صريع رؤى و كؤوس

تشريد جوع أيام من حرمان[٩٨]

ولن أن مسألة التشرد في الشوارع محضورة في قوانين العراق ولم تكن ظاهرة نوم المشردين في الشوارع ليلاً بارزة للحد الذي يثير الإنتباه، بل إنها حالة شاذة. وقد تناولتها الشاعرة للدلالة على البؤس الإجتماعي التي عاناها المجتمع العراقي خلال الخمسينيات.

اذا سمعنا من نازك حديثها عن " النائمة في الشارع" أشفقنا على الطفلة المريضة المنبوذة وثرنا على المدينة البرجوازية وعلى ممثيلها الذين ينبذون الإنسانية في الشارع ويلهون بالكؤوس، ولكننا لم نفهم جذور المشكلة الإجتماعية وأبعادها وأسبابها. لم تدلنا نازك على طبيعة التناقض الإجتماعي الحاصل نتيجة الإضطهاد والتعسف ونتيجة سيطرة القوى الإجتماعية البعيدة عن أمل المجتمع. إن نازك في تحليلها للواقع الإجتماعي قد وقعت في التقريرية والسطحية ولم تتمكن من سبرِ أعماق المجتمع وأن المواصفات الفنية لهذا التناول ليست من مميزات الشعر الواقعي الإنساني إنها بقايا الموروث الكلاسيكي في شعر نازك وهو موروث لم تستطع التخلص منه الا بعد كثير من التجارب.

وتتناول الشاعرة مسألة الفقر والحرمان من أدق جوانبها ومن طرف الناهي وهو الموت، فتصور حالة الفقر مع الموت وهنا تحاول نازك أن تلتقي بحزها الذاتي مع واقع المرأة الإجتماعي الرهيب، حيث أن الشاعرة لم تكن إنسانة محرومة من العيش والرفاه. لم تكن فقيرة إنما تناولت هذا الموضوع لأنه يعبر عن أحساسيها الحزينة[٩٩]

إن نازك في إدانة المجتمع الى أبعد من ذلك، في قصيدة لها عنوانها (مرثية إمرأة لا قيمة لها)، إن عنوان هذه القصيدة يستوقفنا كثيراً، لان "نازك تصور فيه بشاعة المجتمع الذي لا يرى قيمة لحياة المرأة، فهي تصور في هذه القصيدة تصويراً واقعياً لموتِ إمرأة بائسة في زقاق بغدادي يُعشعشُ فيه البؤس والقذارة"[١٠٠]. اذ تقول:

ذهبتْ ولم يَشحَبْ لها خدٌّ ولم ترجُفْ شفاهُ

لم تَسْمع الأبوابُ قصةَ موتها تُرْوَى وتُرْوَى

---

[٩٨] قرارة الموجة، النائمة في الشوارع، ص٧٩.

[٩٩] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة- الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٧٩-٨٠.

[١٠٠] الفرادي، زينب فاضل عباس، الاتجاهات الشعرية عند نازك الملائكة وبروين اعتصامي – دارسة مقارنة – اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية تربية للبنات، ٢٠١٥، ص٤٨.

لم تَرتَفِعْ أستار نافذةٍ تسيلُ أسًى وشجوَا

لتتابعَ التابوت بالتحديقِ حتى لا تراهُ

إلا بقيّةَ هيكلٍ في الدربِ تُرْعِشُه الذِّكَرْ

نبأ تعثّر في الدروب فلم يجدْ مأوًى صداهُ

فأوَى إلى النسيانِ في بعضِ الحُفَرْ

يرثي كآبَته القَمَرْ[١٠١]

ومن الجدير بالذكر أن الاسلام رفع مكانة المرأة وكانت نظرته اليها إنسانية، إذ أعطاها مكانة إجتماعية كريمة في مختلف مراحل حياتها وعلاقاتها الإجتماعية كافة[١٠٢]. كرم مقامها أما بقوله تعالى " ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أُمه كرها"[١٠٣]. فهي رمز الإنسان للقيم العالية، وهي المعين الثر في تربية الأطفال والأجيال وتنشئتهم، وهي الطاقة التي تمد الحياة بعناصر الديمومة والبقاء. ولولاها لم تكن الأسرة ولم تبق المثل والأخلاق السامية، ولولاها لفقدت المجتمعات عناصرها الضروية في التكون والتكوين. فهي ينبوع الحب النزيه المجرد من شوائب الأنانية، إذ تأثرت الشاعرة المبدعة نازك الملائكة، الحزينة المتأملة في خفايا الذات الأنثوية، بوفاة والدتها بشكل لا يوصف وكان هذا أكثر حدث إيلاماً في مشهد رهيب هز حياتي الى أعماقها[١٠٤] وكانت حصيلة الشاعرة بعد وفاة أمها قصيدة عنوانها "ثلاث مرات لأمي" إستعملت الشاعرة فيها إسلوباً جديداً في الرثاء حيث تقول في (أغنية الحزن):

إنَّه ذاكَ الغُلامُ الدائم والحُزنُ الخجول
ساكُن الأُمسيّة الغرقى بأحزان خفيّة
والزوايا الغيهبيات السكون الشفقية

---

[١٠١] الملائكة نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، ج٢، ص١٩٥.

[١٠٢] البيرماني فرح غانم صالح، الشعر النسوي في العراق (١٩٦٠-٢٠٠٠) دراسة موضوعية وفنية، مصدر سبق ذكره، ص١٣٤.

[١٠٣] سورة الأحقاف/ الآية ١٥.

[١٠٤] البيرماني، فرح غانم صالح، مصدر سبق ذكره، ص١٣٤-١٣٥.

أبداً يجرحه النوح ويضنيه العويل

فليكن من صمتنا ظلٌ ظليل

يتلقاه، وأحضان حفية[١٠٥].

وفي أغنيتها الثانية (مقدم الحزن)...تقول:

إنَّه حُزننا الصبي لقينا ... ه على غير موعدٍ وإنتظارِ

لم يَزَلْ هادئاً خجولا كما كا ... نَ ومازالَ غامضَ الأسرارِ

جاءنا دافئاً أرقّ من الدَمْـ ... ـعِ وأحلى من رعْشةِ الأوتارِ

ففرشنا له طريقاً من اللهـ ... ـفةِ والحبّ والدموع الغِزار[١٠٦]

وفي أغنيتها الثالثة (الزهراء السوداء)....تقول:

كلما مرت بها ريحُ الصباح

بعثت في الجو موسيقى

وأنينا خافتا الرياح

كمنت فيه دموع البشرية

إنها زهرتنا الوسنى

أمسنا في لونها مازال لدْنا

فمنحناها مآقينا

وحملناها مع الذكرى وعدنا[١٠٧]

وفي قصيدة أخرى لنازك تهاجم المرأة التي لا تعي أحداث عصرها السياسية فتقول في أحدى قصائدها:

صيدا تقضي ليلة مروعة

خريطة جديدة موسعة

لدولة العدد

غولدا صرحت بأن إسرائيل لن تلين

سيدتي ماذا ستلبسين

في سهرة الليلة في اي وشاح ستظهرين

---

[١٠٥] الاعمال الشعرية الكاملة، قرارة الموجة، ج٢، ص٧٦.

[١٠٦] قرارة الموجة، ج٢، ص٧٨

[١٠٧] المصدر السابق، ص٨٠-٨١

سيدتي كوني شباباً ساخناً وزوبعة

إستعملي عطور باريس اكرعي من خمرنا المشعشعة

فخمرنا قد قطر الربيع فيها عطره وادمعه

تمتصي فالعمر يمضي راكضاً، والنسوان مسرعة وأنت تهرمين

والخمر يا سيدتي زنابق وتين[١٠٨]

فهي تصور في هذا المشهد "تفاهة المرأة التي لا ترى أبعد من زينتها وعطرها، ولذة حواسها، في أن العالم من حولها، قد مسته يد الخراب" ولكن هذا لا يعني أنموذجاً للمرأة المعاصرة، لأن هذا انموذج من طراز خاص، صنعه الاحساس العميق بالغربة والإغتراب الذي أنتجته الأنظمة السياسية وخلعه على المرأة التابعة للغرب، عن وعي وقصد، وبعض الأنظمة الإجتماعية المتمثلة بالأعراف والتقاليد المتوارثة، عن وعي وقصد.

إن الحالة الإجتماعية للمرأة حين تناولها نازك في قصائدها "النائمة في الشارع" و " غسلاً للعار" و"مرثية المرأة لا قيمة لها". لم تكن تعبر عنها تعبيراً جذريا وحقيقياً، بل كان وصفاً خارجياً أطلت عليه الشاعرة من نافذة عالما الشعري الخاص.

كما أن الشاعرة لم تعط الجانب الإجتماعي للمرأة حقه بشكل مباشر بل كانت حالتها النفسية ونظرتها الشعرية والصورة الحزينة التي نشرتها في عالمها الشعري هي الوسيلة التعبيرية الحقيقية لإعطاء صورة للمرأة في المجتمع.

ونكاد نلمس من خلال شعر نازك موقف المرأة الطموح المتمرد في أواخر الاربعينات في العراق. وأوحت الشاعرة لنا بشكل يتعلق به الشك أن المرأة كانت تخاف من المجتمع وتخاف سطوة تقاليد لذلك فهي تعمت وتكتب عواطفها وتعيث حزناً عاطفياً دائماً[١٠٩].

لقد كانت القصائد " النائمة في الشارع" و" غسلاً للعار" و " مرثية أمرأة لا قيمة لها" في ديوانها قرارة الموجة وقصيدة " ثلج ونار" في ديوانها " شجرة القمر" هي القصائد الوحيدة التي عبرت فيها عن حالة المرأة الإجتماعية، كما إنها إمتازت بجمالها الفني وقوة التعبير ووضوح الصورة الشعرية المتحركة. إنها تعطينا الدليل بأن للشاعرة قدرة جيدة على التعبير الشعري وعلى التوافق والألتمام العميق بين الألفاظ والمعاني[١١٠].

ونرى من خلال هذا العرض لموضوع المرأة، نجد أن المرأة في البيئة العربية قد أصابها ما أصاب المجتمع بأسره، من جهل ومرض وفقر وحرمان وتخلف وجمود، فكثرت المشاكل الإجتماعية

---

[١٠٨] الاعمال الشعرية الكاملة، نازك الملائكة، ج٢، ص٤٧٨

[١٠٩] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة، الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٨٢

[١١٠] المصدر نفسه، ص٨٢.

المحيطة بالمرأة، وحاصرا الازمات النفسية عالمها الداخلي، الأمر الذي دفع كثيراً من الشعراء الى الوقوف عند تلك المشاكل والأزمات وتصويرها تصويراً فنياً مؤثراً، تتباين من شاعر الى آخر، وكانت نازك الملائكة من بين الشعراء الذين تناولوا هذه القضايا في شعرها وخاصة نظرة المجتمع القاصرة الى المرأة.

تألمت نازك كثيراً لواقع المرأة في المجتمع العربي، ورفضت التقاليد الإجتماعية التي كانت تغيب هويتها الإنسانية، تصادر هويتها الطبيعية، لذلك كانت الصورة الحزينة التي نشرت ظلالها في عالمها الشعري، من أبرز وسائلها الفنية التي وظفتها لإعطاء صورة المرأة في المجتمع.

وتصر نازك أن المجتمع الصالح يُهيئُ الحد الأعلى الممكن الذي يكفل لأفراده " أن يعيشوا ملئ مجالاتهم النفسية، ويستغلوا أقصى ما رَكَبَتْهُ الطبيعة في أعماقهم من مؤهلات روحية وعقلية"[١١١].

إن نازك الملائكة تقف هنا وقفة إمرأة عصرية ذات حجة ورأي حاسم تطلقه مزوداً بجميع قوى المنطق لا تترك ثغرة مفتوحة للنقاش العقيم. وتساؤلها " ما عذر مجتمع يضحي بنصف أفراده بدعوى المحافظة على راحة النصف الثاني؟" تساؤل مُفْحم جارح لست أعرف كيف يمكن للعقل الرجعي أن يجد جواباً مقنعاً له.

وقد كانت نازك تتكلم بمنطق ذهني هادئ يوحي بأنها ملكت حريتها جميعها، كاملة. فلم يكن فيما تقوله صدى لصرخة إمرأة مظلومة كتبت فيها ملكة الرأي والفعل. لقد كانت تدافع عن كرامة النساء اللواتي لم يعين إنسانيتهن ومساواتهن الطبيعية مع الرجل. وقليلات سواها من الأديبات العربيات إستطعن الإمساك بمقود النقاش بهذه الحجة البليغة، أو تسيير حياتهن العملية بكل تلك الثقة والمقدرة، بكل تلك البساطة[١١٢].

---

[١١١] الجيوسي، الخضراء سلمى، مصدر سبق ذكره، ص٢٥١.

[١١٢] المصدر نفسه، ص ٢٥٣-٢٥٥. وكذلك انظر: الغرباوي، آلاء عبد الرضا، شعر نازك الملائكة – دراسة ايقاعية، رسالة ماجستير جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥، ص١٠١.

الفصل الثاني: الهوية والإنتماء في شعر نازك الملائكة

توطئة:

نازك الملائكة تنتمي الى عائلة ادبية ومحافظة وملتزمة بالتقاليد الإجتماعية حينذاك وكانت نازك جزءاً من هذه العائلة العريقة، حيث إتجهت نازك منذ طفولتها الى العزلة بسبب الظروف التي ذكرناها سابقاً في هذا البحث وحتى منذ ان اصبحت في الشباب رافقتها هذه العزلة والكآبة والألام والحزن فأرادت ان تهرب من هذا الواقع المرير الذي تعانيه، فكانت تفضل الأغتراب للتخلص من هذه الأحزان والألام ومن خلال سيرة الحياة والكتابات النثرية والشعرية على مدى اكثر من ثلث قرن من الزمان، نجد أن نازك الملائكة قد مرت بعدة انواع من الإغتراب كل له طبيعته الخاصة وصفاته المتميزة، وفقا للمرحلة الفنية التي كانت تجتازها الشاعرة.

كما كانت نازك تؤطر شعرها بالإنتماء الوطني والقومي، وفي وقت سيطرة الاستعمار على الوطن والأمة العربية، حيث انطلقت في بداية شبابها وتمردت على هذا الواقع فكانت انطلاقتها من حركة الشعر العربي في العام ١٩٤٨ تعبيراً عن هذا التمرد فأتجهت نازك منذ نعوم أظافرها الى العزلة والتمرد ثم ارتسمت على وجهها معالم الحزن والألم فكانت تعتزل الناس والمجتمع، ولما أصبحت في ريعان شبابها أصبح التمرد والألم والحزن اكثر التصاقاً بها مما جعل تقاليد المجتمع والظروف التي عصفت بها، وخاصة تلك التي مرت بها المرأة العراقية خاصة، والعربية بصورة عامة المرآة العاكسة لها.

المبحث الأول: المكان والإنسان وجدلية الإنتماء والإغتراب

اذا أخذنا مفهوم الإغتراب بمعناه الواسع نجد أنه رافق الانسان منذ القِدَم[١١٣] ولايختلف المعنى (اللغوي) عن المعنى (الاصطلاحي) لكلتا المفردتين – في اللغة العربية – في اللسان: " الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس ، والغربة والغرب: النوى والبعد، وقد تغرب، والتغرب: البعد، والغرب: النزوح عن الوطن الإغتراب، والإغتراب: إفتعال من الغربة" [١١٤]

أن المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لـ (الاغتراب) واحد: الغرب والغربة والأغتراب كلها في اللغة بمعنى واحد هو: الذهاب والتنحي عن الناس وكذلك في المعنى الاصطلاحي.[١١٥]

وعلى الرغم من قدم ظاهرة الإغتراب فقد تفاوت أراء الباحثين والمتخصصين في ذلك، حيث ذهب بعضهم الى المبالغة كثيراً في ادعى أن الانسان حمل بين جوانحه خروجاً من الإغتراب والإحساس بالغربة منذ ان بدأ يضرب في الارض، في حين يتخطى باحث أخر تلك الرؤى، ويذهب الى أن الاغتراب في معناه الحديث هو من حصاد الحضارة الغربية المعاصرة، وهو ثمرة تطور المجتمع الغربي في قرونه المتأخرة والذي عانى منذ عصر النهضة صراعاً حاداً [١١٦]

فالاغتراب اذن ظاهرة انسانية توجد في مختلف انماط الحياة الاجتماعية وفي كل النظم المجمع الصناعي الحديث نتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في القرن السابع عشر[١١٧].

واذا ما ذهبنا نبحث عن ابعاد تجربة الإغتراب عند نازك الملائكة من خلال سيرة الحياة والكتابات النثرية والشعرية على مدى أكثر من ثلث قرن من الزمان، نجد ان نازك الملائكة قد مرت بعدة انواع من الاغتراب كل له طبيعته الخاصة وصفاته المتميزة، وفقا للمرحلة الفنية التي كانت تجتازها الشاعرة.

---

[١١٣] الممتحن، مهدي، الاغتراب عند نازك الملائكة، مجلة الادب العربي، فصلية دراسات الادب المعاصر، السنة الثالثة، العدد(١٢)، بغداد، (د – ت)، ص٨٣

[١١٤] الكناني، نجاة علوان، الغربة النفسية في شعر نازك الملائكة، مجلة الخليج العربي، المجلد ٣٧، العدد (١ -٢)، ٢٠٠٩، ص٩٧

[١١٥] المصدر نفسه، ص١٩٧-١٩٨.

[١١٦] الابراهيم، احمد علي، الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري، اصدار مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ٢٠١٣، ص١٤.

[١١٧] النوري، قيس، ينظر (الاغتراب) اصطلاحا ومفهوماً ووقعاً، مجلة عالم الفكر المعاصر العدد (١)، ١٩٧٩، ص٥.

اولاً: الإغتراب والإجتماعي.

يتجسد الاغتراب في اشد حالاته عندما يحيى الانسان بين الناس ويمتلكه شعور عنيف بعدم جدوى الحياة، كونه والناس قد اصبحا على طرفي نقيض، فالاحساس بالاخر مفقود تماماً، اذ يغترب الفرد بعدما يصدم بالناس فيفقد الاحساس بوجودهم من حوله.

لقد وعت الذات الشاعرة الحقيقة المرة لعالم العلاقات الإجتماعية المبنيةعلى الأستغلال والظلم، وهذا الوعي جعل الشاعر إنساناً مغترباً، كما أنها فرضت عليه أن يتعامل بأسلوب المغترب، فالواقع هو الذي حتم أن تكون كل الصفات والفضائل الطيبة، رذائل كونها تساعد على تأصيل هذا الواقع لمجتمع مغترب. أن ما يحتاجه المجتمع هوالوعي والحب الإنساني وليس المزاعم المزيفة المفلسة[١١٨].

ولعل اقدم جذور الإغتراب عند نازك الملائكة تعود الى ما يمكن ان يطلق عليه " الإغتراب الإجتماعي " social Alienation، ويتمثل في الموقف العشائري والتقاليد من المرأة العراقية وهي على ابواب التحول الإجتماعي، وموقف الشاعرة من تلك التقاليد الصارمة والنظرة الضيقة لدور المرأة في بناء الحياة الإجتماعية وموقفها ايضاً من المرأة العراقية بخاصة، والمرأة العربية بعامة. وشهد المجتمع العراقي في مطلع الثلاثينات من هذا القرن صراعاً حول قضايا السفور والحجاب وتعليم المرأ، والحجر عليها جسداً وفكراً، لذا نجد أن أثر هذه القضايا قد ترك صداه في الجيل التالي، الجيل الذي تأتي نازك في مقدمته، ترى نازك الملائكة أن قضية المرأة بوجه عام قضية أخلاقية بحتة، ومواجهة القضايا الاخلاقية امر في غاية الصعوبة " لأن كل فرد في المجتمع يعد نفسه بمعزل عن ثقافته، مصدر ثقة في هذه القضايا، ومن ثم يتحول الموضوع الى حقل العواطف، وتنتقل قضية الاخلاق الى حيز الشعور ولعل ابرز دليلا على هذا التحول الخطر ما نراه من ان القانون الذي يحكم القضايا النسائية يستمد كثيراً من مواده من العرف المحلي دونما ينظر الى المنطق، والعرف – ولو دققنا – قانون غفل يتألف من تراكم العادات والعواطف عبر العصور في بيئة ما، وهو بهذه الصفة يخرج بالضرورة عن النطاق المفروض للقانون[١١٩]

ونرى أن الغربة الإجتماعية كانت مدخلاً لغربتها الروحية فيما بعد، الامر الذي أفضى الى اعتزالها المجتمع، ويذكر هناك عدة عوامل كان لها الأثر البالغ في تركها وإعتزال المجتمع والرحيل عنه، اهمها: فكرة (الإعتزال)، والتي تبلورت عن طريق: الإحساس الشاعري المرهف، ونشأتها في محيط أسرى ثقافي، وأنكبابها على قرأءة الكتب الأدبية والدواوين الشعرية، وأنعطافها نحو رموز

---

[١١٨] التميمي، ساجدة عبد الكريم، الاغتراب في شعر نازك الملائكة، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية تربية للبنات، ٢٠٠٦، ص٨٠.

[١١٩] الممتحن، مهدي، مصدر سبق ذكره، ص٨٦-٨٧.

المدرسة الرومانسية، فضلاً عن تأثرها بآثار الحرب العالمية الثانية، والدمار الذي الحقته بالبشرية، ورفضها التقاليد الإجتماعية الصارمة التي كبلت المرأة، وقيدت حركتها. وهناك عاملاً ثانويا آخر هو: ما ترسب في نفسها وهي صبية، من مشاعر الرعب بسبب وجود حيوان كان يتواجد في منطقة سكناهم يومئد، وهو حيوان (البزيز) الذي اسمته نازك (كابوس طفولتها)، وكذلك وجود (بنات آوى) التي هاجمت ذات ليلة جارهم بعنف[١٢٠]

فضلا عن أنها عانت من المجتمع العربي عموماً. اذ وصفته بكلمة جامعة، بأنه مجتمع "قلق" والقلق من وجهة النظر الإجتماعية نذير عاطفي يرفع صوته ليدلنا على أن جهة من حياتنا قد فقدت نقطة ارتكازها وبدأت تنهار [١٢١]

فقد مرت نازك بأحداث صيرت الغربة لديها اغتراباً إجتماعياً، حيث ان نجد هذا القلق قد تغلغل في نفسها، فشرخ روحها حتى باتت مغتربة عن المجتمع " أول مظاهر التجزيئية فيه، هو أنه ما زال في صميمه مجتمعا محافظاً، على الرغم من كل ما اعتراه من تطور في المظاهر"[١٢٢].

إن اقسى أنواع الإغتراب أن يشعر الإنسان أنه مغترب عن جنسه، متميز بإسلوبه وسلوكه ونمط تفكيره ممن يجمعهم وأياهم أنماط مشتركة من السلوك الإجتماعي، وقد مرت نازك بهذا الشعور منذ نعومة أظفارها، فقد أحست بفوران الذات في سن يصعب أن لم يستحل على بنات جنسها أن يدركها في تلك السن[١٢٣]. وتقول في ذلك:"كنت ميالة الى الإنعزال منذ طفولتي، بسبب احساسي الدائم بأنني اختلف عن سائر البنات اللواتي في سني فأنا كثيرة المطالعة، محبة للشعر والغناء، جادة، قليلة الكلام، بينما هي لا يطالعن ولا يعبأن بالفن، وليس لهن من الجد في الحياة الأ اليسير.كما أنهن كثيرات الكلام لا يسكتن ابداً، وكان هذه يصدمني"[١٢٤]. وبالتأكيد ذلك الموقف سيكون له انعكاساته على مسيرة حياتها، وهذا ما تحقق فعلاً، سواء على المستوى الفكري أو الثقافي أو الفلسفي أو الإجتماعي، اذ كانت على طرفي نقيض مع بنات جنسها، فلا هي استطاعت ان تتكيف معهن ولاهن استطعن فهمها، لذلك نراها وضعت كل سلبيات المرأة العربية تحت المجهر[١٢٥].

---

[١٢٠] الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص٨-١٠.

[١٢١] الملائكة، نازك، التجزيئة في المجتمع العربي، مجلة الاداب، دار العلم الملايين، العدد (٥)، السنة الثانية، بيروت، ١٩٥٤، ص٣٤٥.

[١٢٢] المصدر نفسه، ص٣٤٦.

[١٢٣] المهنا، عبد الله أحمد، دراسات في الشعر والشاعرة، مصدر سابق ذكره، ص٤٣٦.

[١٢٤] المهنا، عبدالله احمد، المصدر نفسه

[١٢٥] لمحات في سيرة الحياتي وثقافتي، مصدر سبق ذكره، ص١٨-١٩.

اذ نلاحظ من خلال ذلك " إن فكرة الحرية عندها هي إحدى المفاتيح التي تدلنا على طبيعة الإغتراب، فالقيد هو الوجه الآخر للإغتراب"[١٢٦].كان رفضها للتقاليد الإجتماعية الصارمة. لاسيما التي تتعلق بالمرأة وحريتها. كاملاً اخر وجد صداه العميق في نفسها التي كانت تتوق الى التغيير، لكن العجز عن هذا التغيير الذي تنشده، ترك أثاراً سلبية تجاه موقفها من المجتمع، والوجود.

أن حزن الشاعرة حزن عميق وعانت الكثير من الحرمان والألم والبؤس والإحباط والعيش في أقبية القهر الجماعي[١٢٧] الامر الذي جعلها تعيش قمة التأزم الروحي والذي حولها الى الاعتزال والإغتراب، إذ تقول:[١٢٨]

سنحلُمُ أنَّـا صعدنا نَرُودُ جبـالَ القمرْ ونَمرحُ في عُزلـةِ اللا نِهاية واللا بَشَرْ

بعيداً، إلى حيث لا تستطيعُ الذِّ إلينا الوصولَ فنحن وراءَ امتدادِ الفِكَر[١٢٩]

اذ كانت مغبونة بدنيا تتراءى لها من خلال إحساسها السلبي بالأوضاع الإجتماعية السائدة يومئذ، وهذا ما عمق من اغترابها، فإستحلت الموت، بقولها:

افسحوا الدرب له، للقادم الصافي الشعور
إنه جاء الينا عابراً خصب المرور
إنه أهدأ من ماء الغدير[١٣٠]

ويتصاعد إحساسها بالإغتراب، ولا تجد شخصاً في هذا المجتمع لتشكو هموها وعذاباتها، اذ تقول:

ولمن أشكو عذابي وأسَايا ؟
ولمن أُرْسلُ هذي الأغنياتِ ؟

---

[١٢٦] المهنا، احمد عبدالله، المصدر السابق، ص٤٣٧.

[١٢٧] التميمي، ساجدة عبد الكريم، مصدر سبق ذكره، ص٨٤.

[١٢٨] الخياط، جلال، الشعر العراقي الحديث، مرحلة التطور، بيروت، ١٩٧٨، ص١٦٩.

[١٢٩] الملائكة، نازك، قرارة الموجة، ج٢/٢٣٥.

[١٣٠] المصدر نفسه، ج٢/٣١١.

وحوالــيَّ عبيـــدٌ وضحايــا

ووجـودٌ مُغْـرَقٌ فــي الظُلُماتِ[١٣١]

وتأخذ ادانتها للمجتمع شكلاً اكثر شدة وعنفاً حين تأتي لحظة تنفيذ هذه المعايير، تنحرف المرأة، فيكون الجلاد بإنتظارها ليغمد السكين في صدرها وينحرف الرجل فلا يرفع المجتمع اصبعاً واحداً في وجهه، بل يفخر المنحرف بإنحرافه، وتستغل الشاعرة كل وسائل العمل الفني لغة ورمزاً وحوار وصورة في قصيدتها " غسلا للعار"[١٣٢]

أن السبب الرئيس الذي كان وراء تأصيل موقف نازك من الليل، والوجود والموت، والإيمان، والحب، وهو الغربة الإجتماعية اذ ان هذه الموضوعات وسمت غربتها في رحلتها الشعرية الأولى.

فقد كان الإحتماء بالليل، والهروب من النهار احدى سمات الشعر الرومانسي ذلك لأنه يمثل خلاصاً "من حياة الواقع المرير التي يمثلها النهار الى الحياة الحلم والمثال التي يمثلها الليل"، وفي هذا الصدد نذكر بضعة أبيات لنازك الملائكة وهي كالآتي:

إن أَكنْ عاشقةَ الليلِ فكأســي مُشْرِقٌ بالضوءِ والحُبِّ الوَريقِ

وجَمَالُ الليلِ قد طهّرَ نفســي بالدُجَى والهمس والصمْتِ العميقِ

أبداً يملأ أوهامــي وحسِّــي بمعاني الرّوحِ والشِعْرِ الرقيـقِ

فدعوا لي ليلَ أحلامي ويأسي ولكم أنتم تباشيرُ الشُــروقِ. [١٣٣]

ونرى " لان الوضوح المألوف إقترن بالنهار، وهو وضوح مزيف كما تراه فهي تنظر الى وضوح حقيقي هو بمثابة (المحال)، فاللمحال جمال لا يدركه الا الذي استكنه خفاياه.

ونرى في الوجود أنه في نظر نازك كان بمثابة لغز محير تعجز عن فهمه مع يقينها: بأن السعي لفهمه "عيث لا طائل وراءه. فإذا كان "سرالحياة" لغزاً عند" الحكماء" فأولى بها أن تيأس فتستريح. ولكن إغترابها عما حولها يدفها الى التساؤل الملح لعلها تظفر بما يخفق عن عزلتها"[١٣٤]

---

[١٣١] الملائكة، نازك، عاشقة الليل، ج١/ص٤٨١-٤٨٢.

[١٣٢] الإعرجي، محمد حسين، مقالات في الشعر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٧، ص٣٦.

[١٣٣] المصدر نفسه

[١٣٤] المحمود، المصدر نفسه، ص٤٥.

ثانياً: الإغتراب الإبداعي.

إن الإبداع محاولة لإكتشاف الذات والتعرف على قدراتها الخاصة التي تمثل جزءاً جوهريا في الذات، وأن ترجمة هذه القدرات الى عمل إبداعي يعني تحقيقاً لكيان الذات، بل هو الوجه الأخر للذات، والإنفصال عنه على اي شكل هو إنفصال عن الذات نفسها[١٣٥].

من هذا المنطلق نأتي على عدد من المواقف الإبداعي عند نازك، لنرى كيف تتم عملية الإنفصال هذه، وما هي دلالاتها النفسية والإبداعية؟

أن ابداعها الشعري بلغ ذروته في العام ١٩٤٤، ولا يعني هذا ان اولى قصائدها التي نضمتها قبل هذا التاريخ، لسبب أو لأخر، لكنها تذكر أن نشاطها الشعري والأدبي بلغ أوجه في العام ١٩٤٢، معنى ذلك أن موهبتها الإبداعية قد ترسخت منذ هذا التاريخ. وبعد هذا التاريخ بوقت قصير كتبت مطولتها "مأساة الحياة" في العام ١٩٤٥، وهي في الثاني العشرين، قبل صدور ديوانها الاول"عاشقة الليل". والذي دفعها الى كتابة هذه المطولات هوإعجابها بالمطولات التي قرأتها في اللغة الانكليزية، والعنوان كما تقول يدل على التشاؤم المطلق، والشعور بأن الحياة كلها الم وتعقيد وكان من المتوقع أن تصدر لكل المطولة بعد صدور ديوانها الاول، ولاسيما اذا تذكرنا تلك الاشارة الصغيرة التي جاءت في اخر الديوان تنبئ عن قرب صدور المطولة، ولكن مرت سنوات ولم تصدر المطولة. وفي العام ١٩٥٠ قررت أن تعيد نظمها مرة أخرى فأكتشفت أن الصورة الثانية للقصيدة تختلف في كل لفظة منها عن "مأساة الحياة" فوهبتها عنواناً جديدا، يتفق ومضمون القصيدة، ولذا سمتها " أغنية للانسان" غير أنها لم تتجاوز في نظمها أكثر من ٥٨٦ بيتاً، لأنها شعرت – كما تقول – بالضيق حين وجدت نفسها مقيدة بالنسخة الأولى من القصيدة، ولا تستطيع أن تخرج عن الإطار العام للقصيدة الأولى، ثم لم تلبث أن تركت القصيدة مرة أخرى[١٣٦]. وبعد توقف دام خمسة عشر عاماً عادت الشاعرة مرة ثالثة الى القصيدة تنسخها، مغيرة كلمة هنا، وشطر بيت هناك دون أن تعيد نظمها كما فعلت من قبل، وهنا أكشفت أن التغيرات أخذت تتسع لتشمل الأبيات أيضا. اذ تقول نازك " وبعد يومين وجدتني أغير القصيدة القديمة تغيراً كاملاً دون استبقي من المطولة الأولى لفظة واحدة، وهكذا ولدت الصورة الثالثة من القصيدة العام١٩٦٥[١٣٧]"

---

[١٣٥] المهنا عبد الله احمد، تجربة الإغتراب عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص٤٥٠.

[١٣٦] الممتحن مهدي، مصدر سق ذكره، ص٩٤.

[١٣٧] الملائكة نازك، ديوان (مأساة الحياة): ١٢/١، من "المقدمة".

وعلى ذلك برزت الصورة الثالثة للقصيدة. وهنا نجد أنفسنا بإزاء ثلاثة مواقف للشاعرة من مطولتها الاولى" مأساة الحياة" يتمثل الموقف الاولى في الإحجام عن نشر المطولة الأولى في حينها على الرغم من الإعلان عنها، وهذا يعني أن الذات ليست في موقف منسجم مع ما أبدعت الشاعرة، إما لانه لا يحقق ما تطمح الذات الى تحقيقه، وإما لأنه قد كشف عن أكثر مما يمكن البوح به، في وقت وزمن معين، أتسم بموقف فلسفي أو سلوكي قد تكون له آثاره السلبية على المبدع فيما بعد وهذا ما نرجحه ونميل اليه، فقد كانت الشاعرة في تلك الحقبة ترى الحياة من حولها غامضة مبهمة، وكلما حاولت ان تبدد ما يكتنفها من غموض ازدادت حدة هذا الغموض، فتصاب بالتعقيد، والإحباط، واليأس، والتشاؤم لذا فلا نستغرب حين نجدها تتخذ من هذه المطولة شعاراً يكشف عن فلسفتها في الحياة وتصدرها بمقولة الفيلسوف الالماني المتشائم " شوبنهاور" ولقد كان تشاؤمها في هذا الوقت المبكر قد فاق، تشاؤمه وذلك لان "شوبنهاور". كان يرى أن الموت نعيم لأنه يضع حداً لعذاب الانسان، أما الشاعرة نازك الملائكة فقد كانت ترى أن الموت كارثة الكوارث، وانه مأساة الحياة الكبرى وذلك هو الشعور الذي حملته من أقصى أقاصي صباها الى سن متأخرة"

فإذا ما ربطنا هذا الموقف الفلسفي من الحياة المبكرة للشاعرة، عرفنا أنه كان وراءه موقف نفسي معين فرض نفسه على الشاعرة، وما أفاقت الشاعرة من كابوس ذلك الموقف النفسي حتى بدأت تعيد النظر فيما حفلت به المطولة من مواقف تجاه الحياة، [١٣٨] ونأتي بعد ذلك الى الموقف الثاني، ترى الشاعرة هناك دافعين اثنين وراء إعادة نظم المطولة، أولها أن أسلوبها الشعري قد تطور، فأصبحت مناهلها الأدبية أكثر غزارة، فضلا عن أسلوبها الشعري قد تطور، فأصبحت ثقافتها أغنى عما كانت عليه، والدافع الثاني أن نظرتها للحياة قد تغيرت، فهي ترى الحياة بمنظار جديد فيه مسحة من التفاؤل والوضوح"

ترانا نستشف من خلال ذلك، إن إصرار الشاعرة على إعادة النظم والبدء به فعلاً يؤكد عمق الإنفصال الإبداعي، فالنتيجة هي الاحساس" بالإغتراب الإبداعي"، حيث هناك التفاته هامه، وهي أن الشاعرة إدعت أن التغيير الذي طرأ على المطولة القديمة كان كاملاً، وإنها لم تستق من المطولة الاولى لفظة واحدة، في حين أننا لو قارنا بين المطولتين الأولى والثانية، لوجدنا أن هناك أكثر من عشرة أبيات ومائة تكررت في المطولة الثالثة، اي أنه لم يطرأ اي تغيير على معجمها الشعري. مع إننا لا نبخس حقها بأنها أتت بالجديد من حيث الشكل والمضمون والنتيجة. الا انه هناك شد عنيف بين

[١٣٨] الممتحن، مهدي، الاغتراب عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص٩٤-٩٥

الماضي والحاضر دفعها الى الهروب من المطولة للمرة الثالثة، بعد غياب خمسة عشر عاماً، لهذا بقيت المطولة ناقصة من دون تكملة[١٣٩]

وما نحسه تحولاً في النظرة الى الحياة، كان أيضاً تطوراً في العمل الفني الابداعي من الأدلة التي تثبت إنفصال عملها الإبداعي عنها، هو رأيها في مؤلفاتها (عاشقة الليل وشظايا ورماد) فقالت: "أنا لا املك قدرة كاملة على معاملتهما معاملة موضوعية خالصة، وقد أتناولها بالنقد الشديد في كثير قلة الأكتراث، وكأنها لم يشغلا حياتي سنوات طويلة، ولم يكن هذا البرود الموضوعي في وسعي يوم كتبت القصائد فقد كنت حينها أعيش في حدود المقدرات التي أنتجتها وحشدت لها قواي الذهنية والعاطفية جميعاً. وقد يلوح موقفي هذا مناقضاً ما يعرف من جنوح المرء التي تبرير أعماله وتزيهها عن الخطأ والظلام. فمن ذا الذي يوجه النقد في حالتي. أهي عاشقة الليل تنقدها عاشقة الليل؟ كلا لأن عاشقة الليل بعواطفها وأفكارها وكآباتها، فقد مضت مع العام ١٩٤٧، وأنا الان إنسان آخر يكاد لا يرتبط بزميلته إلا بالذكرى"

ونجد شاعرتنا تدخل عالمها الشعري الجديد بكل تقة. عالم الشعر الحر، حتى أصبحت نجماً ساطعا في هذا المجال، وصارت رائدة من رواده[١٤٠].

والمتتبع لشعر نازك الملائكة يجد أن مساحة شعر الشطرين بدأت تتأكل، بينما تتسع رقعة الشعر الحر، فأخذت مساحة الإغتراب الابداعي عن النظام الشطرين تزداد إتساعا بمرور الوقت، مثلاً "للصلاة والثورة" الصادر في العام ١٩٧٨، يضم ست عشرة قصيدة من الشعر الحر وقصيدتين فقط من شعر الشطرين، ديوانها "يغير ألوانه البحر" جاءت كل قصائده من الشعر الحر. وقبل أن يلفت ذلك نظر النقاد، سبقتهم تعليل ذلك، بقولها " الواقع انني بت اكثر تمسكا بآرآئي المتطرفة التي وردت في كتابي "قضايا الشعر المعاصر" في الفصل المعنون "الجذور الإجتماعية لحركة الشعر الحر" فإن طراز تفكيرنا اليوم يبتعد عن فكرة النموذج المحدد الثابت الذي يمثله شعر الشطرين، كما ينأى عن فكرة التناظر الهندسية الصارمة، مما الفناه في الشعر القديم طوال العصور السابقة، وإنما هذه لفتة مزاجية والإنسان ميال الى التغيير والتبديل إننا نجنح الى التقييد والى التمرد على النماذج الصارمة

---

[١٣٩] المهنا، أحمد عبد الله، دراسات في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص٤٥٣.

[١٤٠] الممتحن، مهدي، الاغتراب عند نازك الملائكة، مصدر سابق ذكره، ص٩٦-٩٧.

المتحكمة، وهذا سر إقبالنا على الشعر الحر، ومحاولتنا التهرب من الثبات والنموذجية في شكل الشطرين[١٤١].

لكن، ما يهمنا معرفته، أنه ما الذي دفعها الى أن يكون إغترابها عن نظام الشطرين في بداية حركة الشعر الحر إغتراباً محدداً، وان يكون إغترابها عنه الأن إغترابا تاماً؟ "حيث تعرضت نازك لهجوم عنيف من جمهور الأدباء والنقاد، لحركة الشعر الحر، في بداياتها، وعدت حركة مشبوهة تهدف الى تقويض صرح الشعر العربي، وتعرض أصحابها الى إتهامات شتى، منها أن اصحابها قد إبتدعوا طريقة جديدة تعينهم على التخلص ما الأوزان العربية وتستر عجزهم وضحالة تجاربهم العشرية، لهذا كله يظهر كتابها القيم "قضايا الشعر المعاصر" الذي يعدى لوضع نظرية عروضية للشعر الحر، والبحث عن مفاهيم معاصرة للشعر". ولم يكن الإغتراب الإبداعي دافعاً على ذلك، بل ظهر حتى بين ثنايا الشعر الجديد " الحر" إذ إتضحت هذه الظاهرة أثناء " وقوعها في كثير من الاحيان في أخطاء عروضية كانت هي قد أخذتها على كثير من الشعراء حدثت خلال التجربة الشعرية عن غير ادراك هذا الخطأ الا بعد انطفاء تجربة التوهج الفني"[١٤٢].

ونحن نجد إنقسام ذاتها المبدعة الى أثنين هذا لو تمعنا النظر في مقدمة " يغير الوانه البحر"، " الذات الشاعرة والذات الناقدة، فالذات الشاعرة ترى من حقها الا تلتزم التزاماً صارما بقواعد الفن، أما الذات الناقدة فلا تؤمن بشئ كهذا، إنها ترى أن هناك خطأ وأن هذا الخطأ يتحتم إصلاحه، ويتجلى الموقف في النهاية عن خضوع الذات الشاعرة المطلب الذات الناقدة[١٤٣].

وتبدأ الاولى محاولة اصلاح القصيدة فيتعذر الإصلاح لأن الاصلاح يعني إنهيار القصيدة برمتها "حاولت أصحح هذا الخطأ فوجدت أن جو القصيدة سيتفكك وتزول حرارة المعاني فأثرت أن أتركها كما هي على أن أتحاشى الخطأ بالمستقبل. بالفعل عدت في العام ١٩٧٥ الى الوزن الجديد ونضمت منه قصيدة طويلة هي " نجمة الدم" لم أخرج فيها على الوزن مطلقاً، وإنما حافظت على مستفعلات عبر القصيدة كلها"[١٤٤].

وعليه أنه من خلال هذا العرض يأتي إغتراب الشاعرة الإبداعي في أشعاره من زاويتين الاولى، أنها لم ترتض الخطأ التي وقعت فيه بل حاولت اصلاحه، حين فشلت في ذلك وعدت بأن تلتزم بالقاعدة

---

[١٤١] الملائكة، نازك، ديوانها "للصلاة والثورة":١٨، " المقدمة ".

[١٤٢] المهنا، احمد عبدالله، ص٤٥٨-٤٥٩.

[١٤٣] المصدر نفسه، ص٤٦٠.

[١٤٤] الممتحن، مهدي، مصدر سبق ذكره، ص٩٩.

مستقبلاً، وحققت ذلك فعلاً. الثانية، أنها لم تتوان عن تحذير الشعراء من استخدام الوزن الاولى المختل، مما يؤكد عمق إنفصال هذا العمل المختل عروضياً عن صاحبته.

ثالثا: الإغتراب النفسي.

أن الغربة النفسية ظاهرة تعكس حالة الألم والعذاب النفسي الذي يمر به الانسان فهي تجسيد حي لما يدور في داخله من أحاسيس، لما يشعر به عندما لا يستطيع التغلب على عقبات بيئته الإجتماعية.

وقد عانت نازك من غربة مكانيه أيضاً، وذلك في اثناء رحلتها الى لندن مع والدتها في العام ١٩٥٣. فقد مرضت والدتها مرضا شديداً مفاجئا مما أدى الى موتها، [١٤٥]وبعد هذه الازمة تم قبولها في احدى الجامعات الامريكية في العام ١٩٥٤، وفي عودتها بعد عامين زارت إيطاليا وجنوب فرنسا، ودمشق، وعندما تم إبعادها سياسياً الى بيروت في العام ١٩٥٩-١٩٦٠، وخلال إقامتها في الكويت للأدب بجامعتها في العام ١٩٦٩-١٩٨٢[١٤٦].

ولهذه الغربة المكانية أثر كبير عليها، ولا سيما موت والدتها خلال رحلتها الى لندن لغرض العلاج، فكانت التجربة قاسية تركت حزناً ومآسي وجرحاً عميقاً في داخلها عكسته في تجربتها الشعرية[١٤٧]. والذي نريد أن نصل اليه أن هذه التجارب وغيرها كانت وراء هواجس النفس في ضوء مأساة التقابل مع الموت وجه لوجه.

ويرتبط العنصر الثاني – في عملية الإغتراب النفسي – الرحيل بضربة المكان، غير أن الغربة المكانية لم تؤثر كثيراً على شعرها، فعلى الرغم من أنها تكتب تحت عنوان "في الريف" الا ان هذا الريف لا يعني مكانا قدر ما يعني الاحساس بالصفاء والنقاء، وفي قصيدة " جزيرة الوحي" لا تعني جزيرة بعينها وإنما تعني وحدتها مع الشعر، وفي قصيدة " في جبال الشمال" لا نرى مكانا قدر رؤيتنا لحالة نفسية طافحة بالالم والإنسحاق

شَبحُ الغربةِ القاتلهْ
في جبال الشّمالِ الحزينْ
شبحُ الوَحدةِ القاتلهْ
في الشمالِ الحزينْ
عد بنا قد سئمنا الطَّوَافْ
في سُفُوحِ الجبال وعُدْنا نخافْ

---

[١٤٥] الملائكة، نازك، حياة وشعر وأفكار، دار المدى للثقافة والنشر، مصدر سبق ذكره، ص١٩-٢٠.

[١٤٦] السامرائي، ماجد أحمد، نازك الملائكة، الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص١١ وما بعدها.

[١٤٧] المعلوف، لوئيس، المنجد في اللغة، دار نشر ذوي القربي، ط٣٧، ٢٠١٢، ص٥٤٧.

أن تطولَ ليالي الغيابْ

ويغطي عُوَاءُ الذئابْ

صوتنا ويعزُّ علينا الإيابْ

عُدْبنا للجنوبْ

فهناكَ وراءَ الجبالِ قلوبْ [١٤٨]

وبالرغم من إنتهاء تلك الاحداث الا ان ما سببته من معاناة لم يزل أثره في ما استوحته من مشاعر وأحاسيس خلال تجربتها الشعرية المجسدة " اللغوية" خاصة، ولذا فقد عاشت في غربة نفسية بعيدة عن العالم الذي تحيا فيه، ومن ثم النظر الى هذه الحياة نظرة مليئة بالحزن والتشاؤم.

ونرى في هذا الإعتزال المستمر قد يقود الى ما يطلق عليه " إغتراب النفس"[١٤٩] فضلا عن ذلك أن نظرة المجتمع الى المرأة في ذلك الوقت، وقد اسهمت في تأطير شعورها بالأغتراب" فنازك نشأت في بيت شرقي متعصب لا يسمح للبنت أن تطل على العالم الا من خلال نافذة شأن كل البيوت في البيئة العراقية المحافظة أول العقد الرابع. لذلك شعرت بالإحساس بغربتها نفسيا وفكريا عن تلك البيئة"[١٥٠] وعندما وجدت نفسها غير قادرة على التكيف معها، فكان ذلك المجتمع بقيوده الظالمة سبباً في إغترابها، مما كان له الاثر الواضح في أن يكتسب شعرها طابعاً عاطفياً حزينا " فإغتراب الشاعرة الروحي والفكري كان أحد أسباب حزنها ولعل سبب هذه الإغتراب يعود الى تكوين الشاعرة النفسي وعدم قدرتها على التوافق مع الواقع فضلا عن ثقافتها الواسعة[١٥١]

ولقد استعملت نازك الالفاظ الدالة والمعبرة عن غربتها النفسية نتيجة لاصطدامها بالظروف الإجتماعية الى واجهتها. فهذه الألفاظ تعبر عن احساسها الدقيق والمرير وعذابها النفسي لإغترابها عن الواقع.

ففي قصيدتها "ميلاد نهر النفسج" تستعمل الفاظ الإغتراب والاحزان فتقول[١٥٢]:

وقلبي إغتراب

وبيني وبينك ينسدل الليل في ألف ستر وباب

---

[١٤٨] الملائكة، نازك، " شظايا ورماد"، م١٢٤/٢ وما بعدها.

[١٤٩] المهنا، أحمد عبد الله، نازك الملائكة، دراسات في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص٤٦٥.

[١٥٠] الكناني، نجاة علوان، المصدر السابق، ص١٠٠.

[١٥١] الامارة، أزهار فنجان، الحركة النقدية حول شعر نازك الملائكة، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٩٩٨، ص٦١.

[١٥٢] الملائكة، نازك، يغير الوانه البحر، منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص١١٢.

ويحجبني عنك ألف حجاب

وتبقى القصيدة سور مدينة

ملتمة بحصون حزينة[١٥٣]

ولم تجد نازك لنفسها مهرباً من الواقع الذي تعيشه الا طريقا واحداً يقودها الى عالم المثل، لذلك خلقت لنفسها مدينة حلمية اسمتها بـ " يوتيوبيا ضائعة" اذا تقول:

ويوتوبيا حُلمٌ في دمي أموتُ و أحيا على ذكره

تخيّلتُه بلداً منْ عَبير على أفق جرتُ في سرّه[١٥٤]

ويعني هذا أن الإغتراب النفسي جعل من حياة نازك مأساة ولهذا فهي تقول في قصيدتها (مأساة الحياة)[١٥٥]

كيف يا دهرُ تنطفي بين كفَّيـ ـكَ الأماني وتخمد الأحلامُ?

كيف تَذْوي القلوبُ وهي ضياءٌ ويعيشُ الظلامُ وهْو ظلامُ

كيف نحيا الأشواكُ والزهرُ الفا تنُ يذوي في قبضو الإعصار

كيف تمضي الى الغناء الأناشيـ ـد وتبقى سخريةو الأقدرا

حدثي القلب أنت أيتها المأ ساة يامن قد سميته بالحياة

ما الذي تضعين بي في الغد المج ـهول ماذا ترى مصير رفاتي؟

حيث نرى أن مجئ اللفظة وتكرارها وهي (كيف) الا نتيجة لما تعانيه من إغتراب نفسي، فالحياة لديها عبارة عن مأساة جعلتها دائمة السؤال عن مصيرها والعذاب الذي ينتظرها.

فهي كل يوم ترى شبابها وهو يندثر في تلك الوحدة المريرة التي تعاني منها من خلال قصيدتها (الخطوة الاخيرة) تخاطب الاشجار بوصفها نديمها في يأسها من الحياة عبر آلية التشخيص قائلة:

إشهدي أيتّها الأشجار، أنّي

لن أرى ثانية تحت الظلال

ها أنا أمضي فلا تبكي حزني

لا يعذّبك اكتآبي وابتهالي

خطواتي ، في الدجى لا تحسبيها

إنها آخر ما أخطو هنا

إنها رجع أغان لن تعيها

---

[١٥٣] ديوانها، " عاشقة الليل" م١٦١/١.

[١٥٤] ديوانها: شظايا ورماد، ٣٨/٢.

[١٥٥] من مطولة " مأساة الحياة وأغنية للإنسان" م٢٤/١، ٢٥.

سوف تذوي مثلما أذوي أنا

نرى هنا كثرة الافعال المنفية هذا تدل على إنها كانت قلقة مضطربة نفسياً، مفضلة الموت لانها ترى فيه نهاية لحزنها وغربتها، فهي كانت مصرة على تخطي الظلام وعدم الوقوف تندب حظها في هذه الحياة المتشائمة والكئيبة وتبكي، الامر الذي جعلها تلجأ الى الطبيعة شاكية اليها، فالصورة هنا أوحت بمدى إغترابها النفسي[١٥٦]

وتعبر نازك في قصيدتها (في وادي العبيد) عن عمق المأساة وشدة الانفعال النفسي التي تعانيه، قائلةً:

ها أنا وحدي على شطِّ الممات
والأعاصيــرُ تُنادي زورقي
ليس في عينيّ غيـرُ العَبَراتِ
والظلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سَمْعيَ غيرُ الصَرَخاتِ
أسفاً للعُمْــرِ، ماذا قد بَقِي ؟

هنا نرى هذه القصيدة أنها تعلى أسفها لضياع كل ش، فالصورة هنا تعتمد على حاستي البصر والسمع التي أعطت وصفاً دقيقا لحزنها وحالتها، وهذا دليل واضح لما تعانيه من إغتراب نفسي ترك في داخلها حزن دفين[١٥٧].

ولعله ليس من المبالغة في شئ اذا قلنا ان فشل التجربة العاطفية قد وسع من رقعة الإغتراب عندها، وانعكس أثره حتى على سلوكها الإجتماعي مع الأخرين، وقد ادركت تلك الأثار السلبية حين خرجت من محيطها العربي الى محيط أجنبي، فهي تذكر أنها حين التحقق بجامعة (وسكونس) في الولايات المتحدة في العام ١٩٥٤، بدأت في كتابة عدد من المذكرات، وهنا واجهت صراعاً بين الذات وبين مقتضيات حياتها " كنت في مذكرات أغوص غوصا عميقاً في تحليل نفسي وقد أكتشفت انني كشفت لا أعبر عن ذهني وعواطفي كما يفعل كل إنسان حولي، وإنما ألوذ بالانطواء والصمت والخجل، وأتخذت قراراً حاسماً أن اخرج على هذا الطبع السلبي وشهدت مذكراتي صراعا عظيما مع نفسي من أجل هذا الهدف فكنت إذا تقدمت خطوة تراجعت عشر خطوات بحيث إقتضائي التغيير الكامل لسنوات كثيرة وطويلة ولذلك أعد كفاحي المتواصل لتعديل أعماقي النفسية، وسلوكي الإجتماعي كفاحاً بطولياً"[١٥٨]

---

[١٥٦] الكناني، نجاة علوان، مصدر سبق ذكره، ص١٠٦.

[١٥٧] ديوانها، "عاشقة الليل" م٦٠٣/١.

[١٥٨] الممتحن مهدي، مصدر سبق ذكره، ص٩٠.

رابعاً: الاغتراب العاطفي.

لم يكن عندنا الدليل المادي على وجود تجربة عاطفية عند نازك الملائكة. واذا ما رصدنا موقف الشاعرة من هذه الظاهرة يتبين لنا إنها قد وعت أبعاد هذه المشكلة في وقت مبكر من خلال تجربة حب عرفت لها. وليس كمثل الحب خلاص من متاهة الإغتراب. فأحتلت مساحة واسعة من شعرها، وما دواوينها " عاشقة الليل " و" شظايا ورماد" و "قرارة الموجة" و " شجرة القمر" الا أدلة على ذلك.
أن ما يهمنا من قصائدها العاطفية ومن تجربتها مدى نجاحها أو فشلها في كسر طرق الإغتراب[١٥٩].
أن كبرياء الشاعرة نازك يمنعها من أن تبوح بهذا الحب للحبيب، فالشاعرة تنشد حباً يتسامى على الواقع، حبا يحلق في عالم المثل، فترسم صورة او تمثلا لهذا الحب اقرب الى عالم وهم منه الى عالم الواقع، بل ربطت نهاية هذا الحب بيوم أن ينكشف سره، مما جعلها تتمزق من الداخل، تغالبه مرة ويغالبها مرات[١٦٠]

لا تسلني عن سرّ أدمعي الحرّ ... ى فبعض الأسرار يأبى الوضوحا
بعضها يؤثرالحياة وراء ال ... حسّ لغزا وإن يكن مجروحا
بعضها إن كشفته يستحل حّب ... ـا مهانا يموت موتا حزينا
بعضها بعضها تكّبر أن يك ... شف عما وراءه أو يبينا
وقلوب تضمّ أشلاءها فو ... ـق جراح وأدمع وذهول
تؤثر الموت كبرياء ولا تنط ... ـق بالسرّ بالرجاء الخجول
وشفاه تموت ظمآى ولا تس ... ـأل أين الرحيق ؟ أين الكأس ؟
ونفوس تحسّ أعمق إحسا ... ـس وتبدو كأنها لا تحس[١٦١]

فنرى بوضوح ان شاعرتنا وضعت نفسها في سجن اختياري، وهو سجن الذات، وأعتزلت نفسها عن الاخرين، فمنذ فجر شبابها الشاعري تسربت الكـآبة الى نفسها، وأحست انها روح غريبات نسائمه عن البشر، فظلت تصارع الحقيقة بمحض تأمل إنسان متوهج، وتجتر الماضي ذكرياته، مكونة نسائمة بهاجس الليل، معشوقها، ومحراب شاعريتها فهي شاعرة ماضوية الى الدرجة التي تلفت اليها العقول

---

[١٥٩] الملائكة نازك، دراسة ومختارات، مصدر سبق ذكره، ص٥٩.

[١٦٠] المنها احمد عبد الله، تجرة الاغتراب عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص٤٤١.

[١٦١] ديوانها شظايا ورماد، ٣٣٣١/٢٢٠ن من قصيدة " كبرياء"

قبل الافئدة، وبفقدانها انها الماضي تشعر وكأنها دفنت ظلها السعيد، وحبها الأثير، وبراءة الطبيعة العذراء وكل رفيقات طفولتها الهانئة[١٦٢]

مات امسي الضحوك واعتضت عنه بشباب مر مع وبأس
وخبت ذكرياته البيض في بحـ ـر شعوري دليل قلبي ونفسي
اين تلك الوجوه؟ نسيت الا ن؟ من ذا يجد لي فجر أمسي
كل وجه عناه مر الليالي فهو طيف وراء وعي وحسي [١٦٣]

إن غربة الشاعرة العاطفية عاشت معها، وتمشت في ذاكرتها حيث تسير في رحاب الحياة، وان كانت الشاعرة مؤمنة بأن ما مضى حلم، و(بأن الغرام غمامة صيف) الا أنها الذكريات التي باتت ترنيمة خالدة لا تملها شفتاها، وحلم محال هو عندها أجمل منه حقيقة.

وكانت نفس الشاعرة المتمردة تهفو الى العزلة، شاعرة بتسنفها مزيداً من هواء الحرية في لحظة انعزالها عن المجتمع، وتوحدها مع ذاتها وقد شهدت على ذلك بقولها: "وعندما بلغت السادسة عشرة أصبحت أعد العزلة فضيلة الشاعر، وحرية المفكر ونبذت المجتمع، أنطويت على نفسي"[١٦٤].

ولعل غربة الشاعرة الفكرية أعتى وأقى من غربتها العاطفية، فكانت صارخة بوجه الوجود، وخطيئة البشر، مما جعلها تعاني ضروبا من الغربة والرحيل الى داخل الذات لتحتمي بها، بيد الها نجد الذات هي الاخرى غارقة في لجة الوجود والبشر:

أحبّ وأكره .. حبّي شقاء
أحبّ وأكره .. كرهي ألم
ففيم أعيش ؟ سئمت البقاء
وشاق حياتي صمت القدم[١٦٥]

أن السبب الفعلي والرئيس الذي كان يمنع الشاعرة من البوح بحبها حقاً، وهو مجموعة الأعراف والتقاليد والإجتماعية التي تحظر على المرأة عموماً اي شكل من اشكال العلاقة العاطفية، وهذه الاعراف قد ترسبت في أعماق وعي الشاعرة، ولا وعيها على نحو قيم أخلاقية عامة. ظلت مانعاً قوياً لأي نوع من أنواع التعبير عن الحرمان العاطفي[١٦٦].

---

[١٦٢] الاوسي، سلام كاظم، الزمن في شعر العراقي المعاصر- مرحلة الرواد – السياب – البياتي – بلند الحيدري – نازك – جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٠، ٦٩.

[١٦٣] ديوانها " عاشقة الليل" قصيدة يوم مولدي، م٤٧٠/١.

[١٦٤] العلي، عبد الرضا، دراسات ومختار، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

[١٦٥] ديوانها (شظايا ورماد)، قصيدة صراع، م٥٢/٢.

[١٦٦] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة، المصدر السابق، ص٦١.

وتحاول نازك أن تجد تعليلاً مقنعاً لفشل تجربتها العاطفية، إذ ربما كان حبها من طرف واحد، فيكون حينها قد ولد ميتاً فتقول:

أين منّي حرارة الأمس والحا ضر يمشي بين الأسى والخمود؟
أسفا للماضي الإلهيّ هل ما تت أغانيه في فؤادي الوحيد؟
آه يا شاعري لماذا تهاوي ت بعيدا وراء أمسي البعيد؟
آه هل غاب عن ظلام حياتي كلّ ما كان لهفة وفتونا ؟
كيف ضاع الحبّ الإلهيّ يا طا ئري الحرّ فانفجرت ظنونا ؟
وأنا لم أزل فؤادا على الشو ق يداري غرامه المدفونا
ليتني كنت بحت يا حلم الرو ح وأعلنت حبّي المكنونا[١٦٧]

وتلح نازك على الإغتراب العاطفي، فيضطرم الوجدان المتلهف الى اللقاء من جانب، والى حالة الفقد من جانب آخر، إذ نجد في قصيدة "نغمات مرتعشة" توازنا بين الجانبين لبث وهج الإغتراب الممضي[١٦٨]، حيث نجد لقاء من تحب يشبه لقاء " مجنون ليلى" في مثاليته، الى درجة الإنفصال عن الواقع تماماً:

ما زلت منذ ذهبت حيرى في الدجى شهد الأسى أنّي لزمت مكانيا
وهمي يصوّر لي خطاك ووقعها فإذا صحوت من أحلاميا
لا شيء غير الرّيح تعصف في الدجى لا شيء غير تنّهدي وبكائيا[١٦٩]

كما تستعطف ذلك الحديث الحبيب بالعديد من القصائد لكنها أكثر دلالة على الإغتراب في قصيدتها "خائفة" إذ تقول:

ارجع فالليل تثير مخاوفه قلقي وأنا وحدي والنجم بعيد من الأفق
يخدعني أمل في فجر لم ينبثق وصبابة دمع باردة لم تحترق[١٧٠]

ونرى ان السبب الرئيس الذي أدى الى فشل تجربتها هو أنها كانت تتصورا أن فارس أحلامها، ملاك، بل وأكثر من ذلك راحت تتوقع أن تتلاقى روحاهما في عالمها الشعري الحاضر. الا إنها اصطدمت بالحقيقة المرة التي أظهرت الفجوة الكبيرة بين ما كانت تتصور وتحلم به، وبين الواقع الذي تعيشه.

---

[١٦٧] ديوانها "عاشقة الليل" م/ص٥٥٢-٥٥٣، من قصيدة " اشواق وأحزان"

[١٦٨] ينظر: رماد الشعر، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

[١٦٩] ديوانها "عاشقة الليل": ١/ص٥٥٤

[١٧٠] ديوانها: "قرارة الموجة": ٢/ص ٣٩٨-٤٠٠.

أما الفشل والإخفاق في التصور، فقد كان من نصيب شاعرتنا والدليل على ذلك، التباين الكبير بين شعورها أثناء الصدمة، إذ تقول:

هنالك ، في الأمس البعيد ، وليله سأدفن تمثالي وحبّي وأدمعي
أشيّد قبرا من تمرّد خافقي وأسقيه من بغضي له وترفّعي
أغّنيه ألحان احتقاري وثورتي وتهزأ أضواء النجوم به معي
وأزرع فيه الشوك والسمّ واللظى وأتركه شلوا كقلبي المروّع[١٧١]

وعلى ذلك فإن نازك لم تجد لنفسها مخرجاً، وأن التجربة العاطفية بكل متعطفاتها لم تستطع أن تخرج الشاعرة من دائرة الإغتراب، بل زادت معاناتها وحزنها وتمزقها، وجعتلها تنسلخ أكثر عن عالم الواقع. مع رفض مطلق لمفهوم الحب بمعناه العام. الى حد أنها تنسى أحيانا بشرية إحساسها على نحو ما كان يفعل المتصوفة[١٧٢]. إذ تقول:

روحي لا تعشق أن تحيا مثل الناس أنا أحيانا أنسى بشريّة إحساسي
حتى حبّك..حتى آفاقك تؤذيني فأنا روح أسبح كالطيف المفتون
قلبي المجهول يحسّ شعورا علويّا لا حسّا يشبهه لا وعيا بشريّا
إذ ذاك أحسّك شيئا بشريّا قلقا قمّة أحلامي ترفضه مهما ائتلقا[١٧٣]

فلا نبالغ حين نقول إن فشل هذه التجربة العاطفية قد وسع من رقعة الإغتراب عندها، فإنعكس أثره على سلوكها الإجتماعي مع الأخرين[١٧٤].

---

[١٧١] ديوانها: "عاشقة الليل": ٢/ص ٦٠٨-٦٠٩، من قصيدة " قلب ميت"

[١٧٢] المهنا، عبد الله احمد، تجربة الإغتراب عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص٤٤٧.

[١٧٣] ديوانها (شظايا ورماد): ج٢/ص ٩٨-٩٩، من قصيدة " الغاز".

[١٧٤] المهنا، عبد الله أحمد، المصدر السابق، ص٤٤٨.

خامسا: الإغتراب الروحي.

إذا أردنا تعريفا دقيقا للإغتراب الروحي فهو تلك الحالة التي يشعر فيها الفرد. شاعراً أكان أم غير شاعر. بإنقصاله من طرف إنساني مثالي فيتطلع الى الانعتاق من العالم المحيط به الى عالم من صنع نفسه[١٧٥].

فالإستعداد للزهد و التعوف ينشأ من ثورة باطنية تخامر النفوس يبدأ صاحبها بجهاد نفسه وتكون للزاهد محاكاة تأملية تؤدي الى القلق...ومثالية يفتقدها الواقع....فالزاهد أو المتعوف غريب في عصره غريب بعزلته وتفكيره، غريب بروحه التي تبغي الإنعتاق.

وهكذا فالإغتراب الذي نتج عند الشعراء ليس إغترابا جسديا عن طريق الرحيل وإنما هو إغتراب روحي يتمثل في عدم التكيف الإجتماعي والنفس ودلالته الواضحة هي النفور من تعقد الحياة والرغبة في البساطة.

وقد لا حظنا بروز ظاهرة الشعور بالغربة الروحية في شعر نازك الملائكة منذ فجر حياتها الشعرية، ظهرت بوضوح في ديوانها " عاشقة الليل" ثم " شظايا ورماد" وقد اشتد هذا الشعور قوة في ديوانها " قرارة الموجة" فهي تقول في قصيدتها " الى العالم الجديد":

يا عام لا تقرب مساكننا فنحن هنا ضيوف

من عالم الأشباح، يُنكرُنا البشر

ويفر منّا الليل والماضي ويجهلنا القدر

ونعيش أشباحًا تطوفْ

نحن الذين نسير لا ذكرى لنا

لا حلم، لا أشواقُ تُشرق، لا مُنى

آفاق أعيننا رمادْ

تلك البحيرات الرواكدُ في الوجوه الصامتهْ

ولنا الحياة الساكنة

لا نبضَ فيها لا اتنقادْ[١٧٦]

فقد عانت نازك الملائكة الإغتراب الروحي بعد أن أعتزلت المجتمع (الإغتراب الإجتماعي) وأخفقت في تجربتها العاطفية " الإغتراب العاطفي" فعشقت الليل، وزهدت في الحياة وأهتز إيمانها، وها هي الأن تبحث عن المثل العليا بعد أن رأت الحياة جورانأ صلدة من الزيف والتفاهة، فتحاول أن

---

[١٧٥] النوري، قيس، الإغتراب اصطلاحاً ومفهوما وواقعاً، مصدر سبق ذكره، ص١٨.

[١٧٦] ديوانها: " قرارة الموجة": " قصيدتها الى العام الجديد"، ص٥٥.

تخترقها الى بؤرة من الاشعاع القدسي لتنعم بالنقاء والسمو، وتعانق روحها ذلك الصفاء السرمدي الخالد" [١٧٧]، وحينما يجهدها البحث، وتخونها القدرة تصرخ متهالكة[١٧٨]

وعفت طموحي وبحثي الطويل

عن الخير والحب، والمثل العالية

وحقرت سعيي الى عالم مستحيل

" واذا يتفاعل في نفسها الإحساس بالغربة مع يأسها في بلوغ عالمها المثالي، تتملكها الحيرة فتستدير نحو ذاتها متسألة مشككة" [١٧٩]

تعذبني حيرتي من الوجود وأصرخ من ألم من أنا؟[١٨٠]

أنها غربة الشاعرة يعيش وسط الصمت والسكون والإستلاب، حركة نابضة متقدة تفكر وتحس وتتألم، والابيات لا تعبر عن ذلك وحسب، بل ترسم المنحنى الحضاري الذي يتحول عنده السكون الى حركة بما فيها من ثورة.

فهي تنقد نفسها وتنقد المجتمع الذي حولها ببصيرة الأنسان الواعي الذي يريد تغيير المجتمع فيتحدث عت المتناقضات فيه.

انما تريد الاحساس والشعور، وتطلب أن ينهشها العذاب وينالها المرض:

أواه لو كنا نحسّ كما يحس الآخرونْ

وتنالنا الأسقام أحيانًا وينهشنا الألم

ثم هي تطلب الرجوع الى الماضي لعله يوخز فيها حركة.. ثم تستمر في طلب كل شئ يغير الواقع الراهن

لو أنَّ ذكرَى أو رجاء أو ندم

يومًا تسدُّ على بلادتنا السبيلْ

لو أننا نخشى الجنونْ

ويثيرُ وحشَتنا السكون

لو أن راحتنا يعكّرها رحيل

.أو صدمة أو حزن حب مستحيل

---

[١٧٧] الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص٤٤.

[١٧٨] ديوانها: "شظايا ورماد" ٢/ص١٢٠-١٢١.

[١٧٩] الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر، المصدر السابق، ص٤٤.

[١٨٠] ديوانها: (شظايا ورماد): ج٢/٥٠.

ونازك تعيش قمة تأزمها حيث لامفر من الواقع البليد ولا مهرب من الجدران الساكنة والوجوه الراكدة..

ولو أنها تحاول أن تظل في هروبها وإنهزامها من هذا الواقع تريد ان تبقى في حلم أبدي

سنحلم أنّا صعدنا نرود جبال القمر

ونمرح في عزلة اللانهاية واللابشر

بعيدا ، بعيدا، إلى حيث لا تستطيع الذكر

إلينا الوصول فنحن وراء امتداد الفكر[١٨١]

وفي ختام هذا العرض المقتضب نرى أحزان الشاعرة والتي تطاردها من مكان الى آخر " فهي مرة إفعوان يملأ الدروب والمروج ويقتضي خطواتها، وهي مرة سمكة تصبح عملاقا لتكون حيوانا خرافياً"

وفي هذا الشأن تقول الشاعرة:

ومشينا لكنّ الحركه

ظلت تتبعنا ، والسمكه

تكبر تكبر حتى عادت في حضن

الموجة كالعملاق

وهي مرة ثالثة سعلاة[١٨٢]

وكل تلك الرموز السيافية التي إبتدعتها مخيلة الشاعرة الخصبة هي من نتاج: " الغربة الروحية التي عزلتها جسداً وروحاً، مما حولها وعمن حولها"، وهي أيضاً: " أحدى علامات يقظة فكرها الحيوي الطامح الى أن يتساوى مع الإغتراب، فينحفظ توازنها، ويحول بينها وبين الأنيهار التام" اي أنه المنهج التعويضي الذي عن طريقة يستعيد الشاعر المغترب توازنه[١٨٣].

---

[١٨١] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة – الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٥١-٥٢.

[١٨٢] ديوانها: " قرارة الموجة": ٢٤٨/٢.

[١٨٣] الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.

المبحث الثاني:(الأنا) وموقفها من قضايا الوطن والأمة العربية

أولاً: موقف الشاعرة نازك من قضايا الوطن.

لقد عاشت نازك الملائكة حقبة عانى فيها الشعب العراقي من الإضطهاد الإستعماري والغزو البريطاني وفي الوقت الذي بدأت تتنفس فيه حركة التمرر الوطنية الرامية الى تحرير الوطن من كل أنواع الإضطهاد والإستغلال. كما أن الواقع في العراق تمخض عن تحرك شعبي للتمرد والثورة على الواقع السياسي حينذاك.

لقد كانت نازك الملائكة تعيش آلام مجتمعها وتحسها لأنها من بينه، بنت هذا العراق، فالمعاناة التي خلفها الإستعمار لدى الشعب العراقي كبيرة.. كانت معاناة من الإستغلال والأرهاب في العهد الملكي المقبور.... وكان تعطش الملايين للثورة التي تعصف بهؤلاء المستعمرين.... وكانت نازك هي من هؤلاء الملايين [١٨٤].

لقد أضافت نازك خطاً جديدا وطنياً ذلك لأنها أهتمت أهتماما خاصاً بثورة " رشيد عالي الكيلاني" على " نوري السعيد، وعبدالاله، والانكليز" ، فقد تفجرت حماسة الشاعرة لتلك الثورة، ونظمت فيها عددا من القصائد، ولكن لم يكن هناك مجال لنشرها، ذلك لأن الثورة سرعان ما إنتكست، ودخل عبد الاله على دبابات الجيش البريطاني، وتم نصب المشانق للاحرار، وحين نجحت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كتبت قصيدة " تحية للجمهورية العراقية"[١٨٥].

فرح الأيتام بضمة حب أبوية
فرحة عطشان ذاق الماء
فرحة تموز بلمس نسائم ثلجية
فرح الظلمات بنبع ضياء
فرحتنا بالجمهورية

****

جمهوريتنا ،نلفظها بهوى وخشوع
نهمسها، نغمرها قبلا ولهى هرى
نلمس أحرفها بشفاه بقيت دهرا

---

[١٨٤] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة – الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٦٩-٧٠.

[١٨٥] الملائكة، نازك: " الاعمال الشعرية الكاملة، ص١٢.

تعطش، تأرق، تعرى، وتجوع

جمهوريتنا ، فرحتنا ،يا حرقة أشواق وحنين

نحن عطشنا لك اعوما

جعنا وسهرنا، غذيناها أحلاماً

والأن ملكناها دفقة ضوء ويقين

****

جمهوريتنا ،طفلتنا الجذلى العينين

مولودتنا السمراء الباسمة الشفتين

منو سدها في أذريمنا ومآقينا

سنغذيها بأغانينا

جمهوريتنا ، وردتنا ، لن نعطيها

هل نسلمها للص الأن؟ [١٨٦]

ولكنها بعد ذلك اصبحت ضحيتها وذلك حين اضطرها – على حد تعبيرها – النظام التعسفي وتهديده للشاعرة جعلها تترك العراق والذهاب الى بيروت لتقيم سنة كاملة هناك [١٨٧].

كما أن إحساس نازك وشعورها تجاه شعبها ومجتمعها لم يكن ينسيها وطنها الام. الوطن العربي كانت الذفقات القومية في شعورها هو الصوت الذي أرتفع فوق الارض. لذا كان الإنحراف ثورة ١٤ تموز عن خطها القومي التقدمي الأثر البالغ في نفسها.

وراحت نازك تشاطر المناضلين المثقفين إحساسهم ومشاعرهم، فهي تقول عن الشهيد وتغني له حين تحسه يسقط الى حنبها دفاعا عن الحرية..... وتمزج صوت عذاب الشهيد بعذابها هي وتنقل العدسة المصغرة للحادثة الصغيرة وهي موت البطل في دجى الليل... الى موت في دجى حياتها كلها[١٨٨]

في دجى الليل العميق

راسه النشوان ألقوه هشيما

وأراقوا دمه الصافي الكريما

فوق أحجار الطريق

---

[١٨٦] الملائكة نازك: " الاعمال الشعرية الكاملة" ج/ ٣١٠ – ٣١١.

[١٨٧] المصدر نفسه

[١٨٨] السامرائي، ماجد ابراهيم، مصدر سبق ذكره، ص٧٢.

****

وعقابيل الجريمة

حمّلوا أعباءها ظهر القدر

ثم ألقوه طعاما للحّفر

ومتاعا وغنيمة

****

وصباحا دفنوه

وأهالوا حقدهم فوق ثراه

عارهم ضنّوه لن يبقي شذاه

ثم ساروا ونسوه

ومن القبر المعطّر

لم يزل منبعثا صوت الشهيد

طيفه أثبت من جيش عنيد

جاثم لا يتقهقر[١٨٩]

وبعد ذلك غنت لعبد السلام عارف في قصيدة " وردة لعبد السلام عارف" في مساء اليوم الذي تم إعتقاله ثم كتبت " ثلاث أغنيات عربية" جعلت مقدمتها كلمة " لقد دقت ساعة العمل الثوري"

ومن ناحية أخرى فقد تغنت الشاعرة العراقية بكل إنتصار تحقق من أجل العراق، ،أنشدت من أجل السلام أجمل الكلمات التي تحمل حماستها وعاطفتها والمتأججة بمعاناتها، وأخذت تحي الجيش العراقي في كل معركة ينتصر فيها وكأنها ضمنت عودة البطل المقاتل الذي ترسل له بطاقات عشقها وملامحه لا تفارق خيالها، بالرغم من ابتعادها عن ساحات القتال، وعرفت المرأة العراقية بقدرتها وإرادتها في مجابهة قضايا الحصار وما فعلت الحروب بشعبها وأطفالها

وتنشد نازك الملائكة من أجل السلام وتطالب الاطفال بالفرح بعد إنتهاء الحرب، وتطلب حتى كل من مات حزينا..ليستشعر لذة السلام، فتقول في قصيدتها " أنشودة السلام":

أيهـا السـادرونَ فـي ظلمـة الأر ض كفـاكم شـقاوةً وذهـولا

احـملوا نـادمينَ أشـلاء موتـا كـم ونوحـوا علـى القبـور طـويلا

ضمّخوهـا بـالعطر لفّـوا بقايـا هـا بزَهْـر الكنـارِ والياسـمينِ

واهتفـوا حولهـا بأنشـودة السلـ ـمِ ليهنـا فـي القـبر كـلُّ حـزينِ

---

[١٨٩] الاعمال الشعرية الكاملة، "قرارة الموجة": ج٢، ص ٢٨-٢٩.

اجـمعوا الصبيـة الصغـار ليشـدوا بلحــون الصفــاء والابتسـامِ
أنقـذوا الميّتيـن مـن ضجّـة الحـر بِ ليستشهدوا جمــال السـلامِ
فيـم هـذا الصـراع يـا أيهـا الأحـ ـيـاءُ؟ فيـم القتـالُ؟ فيـم الدماءُ؟
فيـمَ راح الشُبّانُ فـي زَهْـرة العُمْـ ـرِ ضحايـا وفيـمَ هـذا العِداءُ؟
أهْـو حـبُّ الـثراءِ؟ يا عَجَبَ القل ـبِ! ومـا قيمـة الـثراء الفـاني؟
فـي غـدٍ رحلـةٌ فهـل يـدفع الأمـ ـواتُ بالمـالِ وحشـةَ الأكفـانِ؟[١٩٠]

ولطبيعة الشعر النسوي الذي تبرز فيه الذات على سطح كل الموضوعات التي تناولها الشاعرة العراقية، فقد مزجت الكثير من الشاعرات العراقيات بين احساسهن الذاتي وشعورهن الوطني لتخرج قصائدهن الوطنية مؤطرة بلمسات إنثوية مبدعة، مؤثرة، معبرة، عن إنتمائهن السياسي وتوحدهن مع حب الوطن.

لقد مزجت نازك الملائكة بين قضايا الذات الفردية وعواطفها من جهة، وقضايا المجتمع ومشكلاته من جهة أخرى، لتقول في قصيدتها (طريق حبي):

طريقي اليك يمر بأودية لا تبين
مغيبة في ضباب التمني وعطر الحنين
ويسدل فوق ذراها القصية سير ضنين
يلملم اسرار اصقاعها عن عيون السنين
طريقي اليك رأي طريق مثير وغريب
قرى سربلتها الظنون ومد فضاء مريب
وتاوى الشكوك اليها ويسكن لغز عجيب
وتصرخ أسئلتي في رباها، وما من مجيب
وكم مدن لا تفشر كم قرية مغنيه[١٩١].

---

[١٩٠] الاعمال الشعرية الكاملة، ج١، ص١٣.

[١٩١] الاعمال الشعرية الكاملة، شجرة القمر، ج٢، ص١٦٧.

ثانيا: نازك وموقفها القومي من الأمة العربية.

القومية في الأصطلاح السياسي " يقصد بها جملة العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية وتضعها في اطار وحدة تعرف بالوحدة القومية" ومن العوامل التي تعد من مقومات القومية وحدة الجنس واللغة ووحدة المعتقدات والتقاليد والعرف السائد، فضلا عن أرتباط هذه الجماعة بأحداث الماضي والتاريخ وأشتراكهما في السعي لتحقيق أماني وأمال مستقبلية[١٩٢].

فالقومية هي الخلاص الذي يخلق شعوراً عربياً واحداً بأن الامة العربية هي أمة واحدة جاء الإستعمار فجزأها وزرع فيها دويلات أو تسميات لأقطار مختلفة وغرس الإقطاع والإستغلال في واقعها

في هذا الوقت كانت شاعرتنا في عنفوان شبابها، وكانت تتطلع الى تحرير المجتمع وقلب المفاهيم السائدة فيه، وكانت تملك أندفاعا ذاتياً للثورة والتمرد على ذلك الواقع فكانت أنطلاقتها في حركة الشعر العربي في العام ١٩٤٨ تعبيراً عن هذا التمرد.

إن مظاهر نمو الشعور القومي لدى الشعراء في تلك الحقبة برز تمجيدهم للأمة العربية ولماضيها وتأريخها المجيد وكانت منطلقاتهم ذاتية عاطفية قريبة من إحساس المواطنين.

أن القومية في نظر نازك حاجة حياتية، وقد أرتبط مفهوم القومية بالطبيعة الحياتية، ربطته بالشجرة وحياتها ونموها وأثمارها. وهذا الإرتباط يوضح ملامح نازك الرومانسية وفهمها للقومية من خلال المنطق الطبيعي الفطري، هذه الكنوز والأغاني والقصص والألفاظ والأجور والعواطف وكل لفظة

وتستمر نازك في شرح مفهوم القومية العربية وإرتباطها في الحياة لتصل الى الحقيقة التي تبغيها، وهي أن التراث العربي واحد وهو رابط للعروبة في كل مكان هذه الكنوز والأغاني والقصص والألفاظ والأجور والعواطف وكل لفظة في اللغة، كل ذلك يشكل النسغ القومي الذي يجري في كيان العروبة الموهوب، وكل هذه الأشياء تربطنا ربطاً محكماً وتحفظ لنا في أعماقها رصيداً جاهزاً من الإنفعال يستطيع أن يشحن ويبعث في أية لحظة ويجعل أيدينا تتماسك وتخلق منا صفا واحداً لا تستطيع اي قوة في الوجود زعزعته[١٩٣].

ولابد من الإشارة الى مفهوم الشعر القومي بأنه لا يقتصر على الشعر الذي راكب الأمة العربية وكان له حضور فاعل في التجمعات الجماهيرية في إلهاب حماسة الجماهير وتحريضهم على خوض

---

[١٩٢] العطية، أحمد، القاموس السياسي، ج٢، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٨، ص٩٤٢.

[١٩٣] السامرائي، ماجد احمد، مصدر سبق ذكره، ص٦٩-٧٠.

معارك التحرير. وإنما الشعر القومي يتمثل بكل المشاعر المخلصة التي يبديها الشاعر تجاه الأمة، فالشاعر الذي يتمزق قلبه ألما يرى أمته تكابد الشقاء إنما يعبر عن شعور قومي مخلص[١٩٤].

ومن هنا دعت الشاعرة العراقية الى الوحدة العربية، ورفضت تقسيم فلسطين ودعت الى تحريرها، وأخذت تفخر بإمجاد الأمة العربية، ورفضت أي احتلال لأية أرض عربية، وتغنت بألانتصارات والثورات التي تكللت بالنصر لصالح أبناء الأمة العربية فضلاً عن ما كتبت عن نكسة حزيران من العام ١٩٦٧، وكيف استنهضت الهمم، لكن قصائد الشهيد احتلت مركز الصدراة في دواوين شاعراتنا العراقيات وهذا دليل على وعي المرأة العراقية السياسي وتفاعلها مع كل حدث يصيب الأمة العربية.

[١٩٤] البيرماني، فرح غانم، ج١، مصدر سبق ذكره، ص٨٩.

ثالثا: موقف نازك من قضايا الأمة العربية.

١. القضية الفلسطينية:

تعد القضية الفلسطينية من أكثر القضايا القومية التي شغلت فكر الشعراء في البقاع العربية كلها، وكان الشاعر العراقي في طليعة العشراء الذين نظموا القصائد التي تدعوا الى الكفاح والبطولة حتى الشهادة ضد الصهاينة، كما تدلل على نضج الوعي القومي لديه، حيث " شكلت فلسطين بعداً شعورياً وعاطفياً حاداً لدى الشاعر العراقي، تعمق بمرور الأيام وبتصاعد القضية وتطورها وشمولها للمجتمع العربي كله" [١٩٥].

كان للشاعرة العراقية حضورها المميز في القضية الفلسطينية حيث كان لها دورها البارز في تصعيد الروح الوطنية في نفس المقاتل الفلسطيني ودعوته الى الكفاح المسلح وخوضه المعركة ببسالة، " بل أن شعورها القومي والحماسي لا يستكمل نضجه الا بلمسات تلك الإنوثة"[١٩٦]

ولقد سبق الشاعرة العراقية غيرها من الشاعرات العربيات في تأمل القضية الفلسطينية وتصويرها[١٩٧]

وتؤطر نازك الملائكة قصائدها القومية بأريج الطبيعة، فتصور مظاهر الطبيعة في بكائها وركوعها من أجل القدس التي أسرى فيها رسول الله نبينا محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم، فتقول في قصيدتها (سوسنة إسمها القدس).

بسوسنةٍ اسمها القدسُ، نامت على ساقية
الى جانب الرابية وفوق ثراها انحنت دالية
وتُمطر فيها السماءُ خُشُوعاً، تُصلي الفصول
ويركعُ سُنبلها، تتهجدُ فيها الحقول
وعبر مساجدها العنبرية أسرى الرسول
فماذا صنعنا بوردتنا الضائعة؟

---

[١٩٥] السامرائي، ماجد احمد، التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – وحتى نكبة حزيران العام ١٩٦٧، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨١، ص١٨٢.

[١٩٦] البيرماني، فرح غانم، مصدر سبق ذكره، ص٩٥.

[١٩٧] مصدر نفسه.

وتقول نازك عن فلسطين أيضا في هذه الابيات

تبقى فلسطين لنا نغمة قدسيّة على فم المنشد

ونسرنا الشامخ لن ينثني أمام باب الزمن الموصد[١٩٨]

فالإنتصار العربي على الظلم في فلسطين هو المعادل القتالي لإرتفاع الأذان من قبة الصخرة وكان من الممكن ان ينقذ هذا الاتجاه القومي للشاعرة من " قوقعتها" ومن عالمها الحزين، لو تحقق له انجازات وانتصارات ولكن هذا الخط تمزق، وأنكسر وهزم المرة بعد المرة، ومن هنا أحست الشاعرة بإغتراب على المستوى القومي. وتتوالى احباطات الشاعرة حين تسقط مدينة القدس في أيدي الصهاينة ، ويعجز العرب عن استرداد المدينة المقدسة.

موقف الشاعرة القومي من لبنان

وتشتد غربة الشاعرة على المستوى القومي حين يدخل الجيش الصهيوني بيروت وصيدا ويقتل ثلاثة من قادة الفدائيين، ثم يهاجم مخيمات اللاجئين، ويغادر البلاد دون أن يقف بوجه احد، فتمزق الشاعرة، وتبكي ألماً وحزنا ضياح الكرامة العربية، الحالة السيئة التي الت بالعرب الى قبول الذل[١٩٩]

من البحر اقبل، هاجم بيروت تحت الظلام

وجاس الشوارع ينسف، يذبح

ويصدح في كفه، طائر الموت يصدح

وبيروت وسنى، تقاتله في المنام

أما في ديار العروبة كلب فينبح؟

أما من نعاج فتنطح؟

وهل نحن أعمدة من رخام

وحتى الرخام

له عصب ويسمج المذلة، ينهض فيها العظام

وتغضب تهجم، تجرح

وبيروت وسنى بأدوية، الحلم تسيح

ويسرح فيها العدو ويمرح

---

[١٩٨] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة – الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٧٤.

[١٩٩] المهنا، عبد الله، الاغتراب عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص٤٩٨-٤٩٩.

وفيها دم فوق أرصفة الليل يسفح

وعبر شوارعها من لظى تنفتح

فكيف ننام؟

فكيف بحق الكرامة كيف تنام[٢٠٠].

ولعل مما يؤلم الشاعرة ويحطم نفسها، ويعمق تيار الغربة عندها أن يجمع العربي المعاصر على نفسه بين خراب الأرض، وضياع النفس، وفي ذلك الهلك كل الهلاك، فالعدو، يجد الارض أمامه مفتوحة فيهلك الحرث والنسل، والعربي المعاصر يعجز عن أن يتصدى له ويهرب من واقعه المر الى الذات الحسية المحرمة لتنسيه واقعة الحزين:

جنوب لبنان قرى مروعه

أوصالها مقطعة

سكانها الى القبور جثث مشيعة

بيوتهم خرائب منشورة أعمدة مخلعه

حرائق مندلعة

****

أغنية جديدة تنشدها نجاة

هذا المساء حفلة ساهرة وعشر راقصات

عرى وخمر خاسر من لم يذق

الكأس تلو الكأس حتى يترنح الأفق

حتى نكون قد تخلصنا من اليهود

بالأغاني قد رصفنا دربنا الحر، غدا نعود

الى فلسطين فبالكؤوس حرونا تراب الوطن المفقود

****

لبنان طفل ضائع، خدوده ممتعة

الفاظه راعشة منقد

---

[٢٠٠] للصلاة ثورة، ص١٣٢ وما بعدها.

ويستجير كل يوم صارخا بالأمم المتحدة

يصب ما بين يديها أدمعه

يشكو لها ما يصنع العدو يرجوها سدى أن تمنعه

يسألها أن تصفعه

****

في مطعم الوادي خمور جيده

ياسيدي وتنتقي من تشتهي: أنسة أو سيدة[٢٠١].

[٢٠١] للصلاة ثورة، ص ١٢٦-١٢٩.

موقف الشاعرة القومي من الوحدة العربية.

تعكس نازك الملائكة صورة المرأة التي تمتلك حساً وطنياً وقومياً وانسانياً. فقد أتاحت لامتها ووطنها أن يحتلا مكان الصدارة في عالمها، وشعرها يكاد يمتلئ حساً بنضال الامة وقضاياها القومية[٢٠٢]. وقد أشارت نازك الى مفهوم القومية وعلاقته بالادب حيث تقول " ولعل أصدق الأدب قومية هو الأدب الذي لا يدري أنه قومي، كالطفل العربي الذي يتلقى إنطباعه في بيئة عربية فلسوف تنطلق العروبة في كل ما يقوله ويفعل سواء أعرف ذلك أم لم يعرفه[٢٠٣]

وهي تنشد للوحدة العربية فتقول في قصيدتها "الوحدة العربية"، عند إعلان ميثاق الوحدة الثلاثية من القاهرة في ١٧ نيسان من العام ١٩٦٣.

يا صميم الدجى الذي اسدل الستر ... على بيدنا الرحاب النقية
يا جراح التقسيم يا عار اسرائيل ... في جبهة الصحاري الابية
يامسيل الدماء من عنق المشـ ... ـبعة الرمل بالدماء الشذية
يا سنينا مقتولة في ثرى تاريخنا ... لم تزل رؤاها طرية
يا قبورا تضم قتلى عطاشى ... فوق ارض الجزائر العبقرية
يا منى أمتي جمعياً، ويا أ ... مالها يا أحلامها المطوية
استفيقي من الكرى فجراً ... قد أطلت ضواءه الزنبقية
حزم من سعادة وضياء ... دفقت في الديار الغهبية
طوت النيل واحتوت بردى واحـ ... تظنت دجلة لمف ندية
إ نها ساعة المدى أعلنت دقـ ... ساتها فجر أمتي العربية
كم حلمنا بوحدة العرب الكبـ ... ـرى وهمنا يفجرها الوضاء
كم شدونا بها، عروبتنا ظمـ ... ـأي اليها تظل دون إرتواء
رأينا ديارنا مزقا دا ... مية الرمل، في يد الأعداء
لم يعد زهرها الطري المندى ... عربي الأولوان والاشذاء
وإنحنى النخل واجماً خجل الخضـ ... رة بعد إنتصابة الكبرياء
وخرجنا مشردين فمن صحـ ... راء ممتدة الى صحراء
وتركنا أنهارنا تسكب الما ... ءرحيقا في كؤوس الغرباء[٢٠٤]

---

[٢٠٢] المرأة في الشعر القراقي الحديث من (١٩٠٠-١٩٦٠)، مصدر سبق ذكره، ص٤١١.

[٢٠٣] الدعيبس سعد، دراسات في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

[٢٠٤] الاعمال الشعرية الكاملة، ج٢/ ص٢٠٧-٢٠٨.

وقد غنت نازك للوحدة كثيرا فهي تقول

أيه بغداد أيقظي كل من ما ت شهيدا على نشيد النصر

أنبتيه بأن وحدته قا مت وضمت من أرضه كل شبر

طلع الفجر من وراء الدياجي يا عيون الشهيد نامي وقري[٢٠٥]

موقف الشاعرة القومي من الجزائر.

أشادت نازك الملائكة ببطولة المرأة في النضال العربي ، تعاطفت مع ثورة المليون شهيد، حيث كانت تضرب أوروع الامثلة بالتضحيات الجسام من أجل إنتصار القومية العربية في هذا البلد، كانت تعد إنتصار ثورة الجزائر انتصارا للإنسان العربي في كل مكان وعبرت عن ذلك بنضال المناضلة الجزائرية في التضحية والفداء حتى تكللت الثورة بالنصر أذ حفل الشعر العراقي بتمجيده لرمز البطولة الجزائرية، المناضلة الجزائرية (جملية بوحيرد) التي تحدث السلطات الفرنسية رغم الاساليب الوحشية والتعذيب المتواصل لكنها رفضت الاستسلام"[٢٠٦] فتقول في قصيدتها (نحن وجميلة)

جميلة ! تبكين خلف المسافات ، خلف البلاد

وترخين شعرك كفّك دمعك فوق الوساد

أتبكين أنت ؟ أتبكين جميلة ؟

أما منحوك اللحون السخيّات والأغنيات ؟

أما أطعموك حروفا ؟ أما بذلوا الكلمات ؟

ففيم الدموع إذن يا جميلة ؟[٢٠٧]

وترى الشاعرة في ذلك الموقف المأساوي الذي حدث لجميلة ظلما... لتقول:

هم حمّلوها جراح السكاكين في سوء نيّه

ونحن نحملّها – في ابتسام وحسن طويّه-

جراح المعاني الفلاظ المجهولة

فيا لجراح تعمّق فيها نيوب فرنسا

---

[٢٠٥] شجرة القمر: ج٢/ص١٢٨.

[٢٠٦] التيار القومي في الشعر العراقي الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٣.

[٢٠٧] الاعمال الشعرية الكاملة، شجرة القمر، ج٢، ص٥٠٠.

وجرح القرابة أعمق من كلّ جرح وأقسى

! فوا خجلتا من جراح جميلة

فيا لجراح تعمّق فيها نيوب فرنسا

وجرح القرابة أعمق من كلّ جرح وأقسى

فوا خجلتا من جراح جميلة[٢٠٨]!

وتضيق نازك الملائكة أيضاً قائلةً.

و نحن منحنا لوصف جراحك كل شفة

و جرحنا الوصف، خدش أسماعنا المرهفة

و أنتِ حملت القيود الثقيلة

و حين تحرقت عطشى الشفاه إلى كأس ماء

حشدنا اللحون، وقلنا سنسكتها بالغناء

و نشدو لها فى الليالى الطويلة[٢٠٩]

وأخيرا تلون نازك الملائكة قصيدتها (عن السلام والعدل) فتقول عن السلام الذي تحقق في فلسطين:

غداً شعبي كنهر يجرف الاوحال

يغلغل في الربى المقطوعة الاوصال

ينمى شعرها، يزحف في شغف الى غزة

والقدس....

ويحمل للخليل بوهج الشمس

يزيح الظلم والظالم

ويعطينا الدوالي،

والأغاني

والسلام والازرق الباسم

ويسلم خضرة التحرير للبيارة الثكلى

ويطلع فجرنا الاحلى[٢١٠]

---

[٢٠٨] شجرة القمر، ج٢/ص٢٠١.

[٢٠٩] المصدر نفسه، ص١١٠.

[٢١٠] الاعمال الشعرية الكاملة، للصلاة والثورة، ج٢، ص٢٥٢.

وهذا المفهوم للقومية أخذ معنى ذاتيا مجردا لدى نازك الملائكة ومن شبابها من المثقفين في تلك الحقبة، فنازك تقول " القومية هي الحياة" وبذلك تسبغ على القومية ما للحياة من ضرورة، فهي مطلوبة لاننا لا نستطيع أن نعيش من دونها، والان المجتمات لا تقوم على شئ غيرها، وكذلك نحبث عن قوميتنا ونلتصق بها لانها تغذينا وتحمينا وتفسر لنا وجودنا ومن دونها تستحيل الحياة والقومية في نظر نازك حاجة حياتية، وقد أرتبطت مفهوم القومية بالطبيعة الحياتية، ربطته بالشجرة وحياتها ونموها وأثمارها، وهذا الارتباط يوضح ملامح نازك الرومانسية هي مسألة فطرية بسيطة وفهمها للقومية من خلال المنطق الطبيعي الفطري. لذلك قررت نازك بأن القومية هي حاجة إنسانية وضرورة لابد منها، والانسان لا يمكن أن يعيش بدون قومية فهي النسغ الحياتي بالنسبة اليه، كما أن نازك أعطت لرابطة اللغة القومية الأهمية الكبرى في توضيحها لأُسس الترابط بين أبناء الامة العربية، فضلا عن باقي الروابط القومية الاخرى[٢١١].

[٢١١] السامرائي، ماجد احمد، نازك الملائكة – الموجة القلقة، ص ٦٩-٧٠.

المبحث الثالث: صور التمرد ومحاولة إثبات الذات

يمثل التمرد إنعكاس لواقع مرفوض، بسبب ما يكتنف الحياة من تعقد لا يستطيع مواجهته بعض الناس، لذلك يلجأ اليه في محاولة للهرب والتخلص من المتاعب التي تنتظرمن تغمر بمثل هذه الحياة الصعبة مغطياً بذلك على هربه أو معلنا عن سخطه[٢١٢].

والتمرد في الاساس هروب واضح من مواجهة الحياة ومشكلاتها. فقد تمثل لشاعرتنا الهروب من الحياة، اذ ظهرت بوادر الانعزال منذ وقت مبكر من حياتها، حيث أخذت تنظر الى الحياة على أنها بؤرة مملؤة بالموبقات تلوث كل من يقترب منها، ولم تحاول أن تجد البديل الاحسن لهذه الحياة بالأسلوب الطبيعي. أسلوب المجابهة الشجاعة لأنحراف الحياة. فإغتربت عنها، واختارت لنفسها طريقا فيه كثير من معالم الهورب والمخاتلة، فأبتعدت عن الناس وأغتربت عنهم، لان علاقتها بهم شابها ضرب من عدم التوازن، فأحست بإختلال حاد في توازنها النفسي وأعتزلت الناس[٢١٣].

تمييزت منذ طفولتها بحساسية بالغة منذ الصغر وقد ظهر عليها واضحة من خلال تصرفاتها، وهي تتمرد وتنسحب من المواقف مسرعة عندما لم يعجبها، رد من الردود، وتلتزم الصمت من شدة غيظها أو تثور فتكاد تبكي، وربما عده علماء النفس هو احتجاج عن المعاناة أو المشاعر.

كانت نازك متمردة منذ طفولتها، ومنزوية وعنيدة متمسكة بآرائها الى حد يضايق من هو يتحدث معها، وكانت عندها مقدرة على الكتمان والصمت وتحبس الألام في داخلها[٢١٤].

فالفرد عندما يتعرض لضغوط إجتماعية معينة ولايستطيع تغييرها، يظل يعاني من مشاعر مختلفة تجعله غريباً عن واقعه الإجتماعي كالشعور بعدم الارتياح والالم النفسي فـ (حين تتضافر العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية بشكلها المضطرب والسلبي يزداد الاغتراب شراسة وتصعب مهمة التحرر منه"[٢١٥] حتى يصل الامر بالفرد الى العيش في عزلة عن مجتمعه.

فكانت نازك تروي بعض تلك العوامل، إذ تسجل أنها حين كانت طالبة في المدرسة كانت كثيرة المطالعة وقليلة الكلام، وبأنها كانت ميالة الى الإنفراد والعزلة، حتى إذا بلغت السادسة عشرة من

---

[٢١٢] الراوي، عبد اللطيف عبد الرحمن، المجتمع العراقي، شعر القرن الرابع الهجري، (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، ١٩٧٠، ص٢١٥.

[٢١٣] برديائف، نيقولاي، العزلة والمجتع، مصدر سبق ذكره، ص١١٧.

[٢١٤] الطريفي، يوسف عطا، نازك الملائكة: حياتها وشعرها، الاهلية للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١١، ص٩٤.

[٢١٥] الداود، علي مجيد، الإغتراب في شعر ما بعد الرواد في العراق (١٩٦٠-١٩٨٠) (رسالة ماجستير) ، جامعة البصرة، كلية الاداب، ١٩٩٧، ص١٧٤.

عمرها تفاقم لديها الامر، فصارت تعد العزلة فضيلة الشاعر وحرية المفكر ونبذت المجتمع وأنطويته على نفسي. ولكن بعد الثلاثين أصبحت أجد السعادة في الصداقة ومعرفة الناس"[٢١٦].

وكانت نفس الشاعرة المتمردة تهفوا الى العزلة، شاعرة بتنفسها مزيداً من هواء الحرية في لحظة إنعزالها عن المجتمع، وتوحدها مع ذاتها فكانت صارخة بوجه الوجود، مما جعلها تعاني من الغربة والرحيل الى داخل الذات لتحتمي بها، بيد أنها تجد هي الاخرى غارقة في لجة الوجود والبشر. وكانت تعذبها تلك النغمة التي سكنت في قرارة الفلاسفة وعباقرة التاريخ: من أنا؟ فقد وقفت نازك عند هذا الوجود متأملة:

تعذبني حيرتي في الوجود وأصرخ من ألمي: من أنا[٢١٧]

وفي هذا الموقف يتجسم لنا نوع من مواجهة للذات والوجود والتمرد عليه، لان المفارقة في نظامه تبدو للشاعر أشد ما تكون حدة، وهي تنعكس بدورها على نفسه فتسبب للذات عذاباً مضنياً، ومن ثم تفهم ثورة الشاعر المعاصر على الكون، فهو المصدر الحقيقي لحزنه.

وفي قصيدة " أنا" تتجسد بوضوح اسئلة قلق الذات وبحثها عن اجوبة الكينونة: " الليل يسأل من أنا". فللوهلة الاولى يبدو للقارئ أن التالي من الكلام إجابة: " انا سره القلق العميق الأسود". ثم تأتي إجابة الحداثة التي تضمن الصمت تمردا: " أنا صمته المتمرد"[٢١٨].

فكانت نازك الملائكة تفضل العزلة والانكفاء الى الذات " وإذا كان الإعتزال سمة من سمات المبدعين، وأنه لا إبداع حقيقياً من غير عزلة تتيح للشاعر مراجعة الذات، فإن الإعتزال المستمر قد يقود الى ما يطلق عليه " إغتراب النفس" [٢١٩].

نازك الملائكة تعيش وحدة الذات على الرغم من إنفتاح ابواب الحياة لها، وهذا الإحساس ينجم من طبيعتها الانعزالية التي حققت مأساتها وركنت الى الوحدة والإبتعاد عن الاخرين، فهي لا شعوريا تنجذب نحو هذه الوحدة، وتقرأ كتاب الحياة وفق ما ترسخ في وعيها الخاص من إنطباعات حاضرة في فكرها حتى كأنها الحاضر الذي تعيشه، فتمحو ذلك التحديد الزمني الذي به يعرف واقع الحياة:

أمس في الليل وكانت صور الأسرار شتّى

تتصبّى حاضري الغافي وكان الأمس ميتا

خلتني كفنّته ذات مساء

---

[٢١٦] السلطاني، عبد العظيم رهيف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

[٢١٧] ديوان نازك الملائكة " شظايا ورماد" قصيدة صراع، ٥٢/٢.

[٢١٨] السلطاني، عبد العظيم رهيف، المصدر السابق، ص٥٣.

[٢١٩] المهنا، أحمد عبد الله ، نازك الملائكة، دراسة في الشعر والشاعر ، مصدر سبق ذكره، ص٤٦٥.

وتحصّنت بدعوى كبريائي

سمعت روحي في إغفاءة الظلمة صوتا

لم يكن حلما خرافيّ الستور

بعثته رغبة خلف شعوري[٢٢٠]

فهي في " حالة عدم الإذعان للواقع الخارجي أو الإستجابة لما يفرض من محددات، بل متابعة صوت الداخل، بكل ما يحمله من معاني الرفض والتمرد، الذي أوجد عندها (شكله الخاص) مغايرة به السائد والمألوف" [٢٢١]. فلم تره كل ما في الحياة بالشكل الذي وصفت لها، في أنها جنة ذات ورود يقطر منها الشهد والحب والحنان والبلسم، بل تجسد الجانب السلبي منها من عطش وظلام وجرح وحزن...فتعمق جراحها ووحدتها وخلاصها في انعزالها عن سفاسف الحياة، ومباهجها:

صوّروها جنّة سحريّة

من رحيق وورود شفقّيه

وأراقوا في رباها صورا

من حنان ، وتسابيح نقيّه

ثم قالوا إن فيها بلسما

هيّأته لجراح البشريّه

وأرادو أن نظفر بها

ورجعنا لأمانينا الشقيّه

****

الملايين عيون ظمئت

عزّ أن تملك سلوى واحده

والملايين شفاه عطشت

ليس ترويها الوعود البارده

ذلك المشعل هاتوه فقد

---

[٢٢٠] ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ص٥٤.

[٢٢١] الجبار، سناء سلمان عبد، ثنائية الحياة والموت عند نازك الملائكة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد خمسة، ٢٠٠٧، ١٧٥.

أكل الليل العيون الساهده[٢٢٢]

وعلى الرغم من ذلك فإن نازك الملائكة تحب الحياة ولكن هذا الحب يطغي عليه الخيال، بفعل إبتعادها المتعمد عن الواقع ورفضها له، فالواقع يذكرها بالموت، والموت ضد الحياة، فعندما تحب الحياة، وتتذكر الممات ينقلب الشعور معادياً فيصبح الحب كُرهاً فهي تعيش حالة الثبات ونقيضها التحول طبقاً لما يبوح لها عالمها الخاص الذاتي:

يقولون دعهم غدا يعلمون ودعني أنا للشّذى والجمال
أحبّ الحياة بقلبي العميق وأمزج واقعها بالخيال
أحبّ الطبيعة حبّ جنون أحبّ النخيل أحبّ الجبال
وأعشق ذاتي ففي عمقها خيال وجود عميق الظلال
وأهتف يا نار قلبي الغريب
وموج أحاسيسي الثائره
إذا اتّهموا فلماذا أجيب
بغير ابتسامتي الساخره ؟[٢٢٣]

إن (عاشقة الليل) مجموعة من القصائد أقامت فيها نازك الملائكة معبداً فخما للحزن ولكنه حزن يخفي في داخله هيكلاً للحب، ولعشق الحياة، فإذا تجاوزنا التعبير الرمزي، وأخذنا ظاهرالمعنى فإن العديد من البشر رجلاً ونساءً يجدون في الليل ونجومه وهدوئه ملاذا من الهموم وصخب الحياة في النهار ومتاعبا ولكنها من جانت أخر تكشف عن هذا التشبث العميق بالحياة والنور والحب والجمال ففي قصيدة " التماثيل" تكشف عن كراهيتها للموت، وعن التشبث بالحياة، وبخاصة في مقطها قبل الاخير:

آه لا لا أريد فلترحم الايا م دمعي وشقوتي وأكتآبي
وليكن منه لحني الحزين صد با ق بسمع السنين والأحقاب
رحمة لاتكن دموعي الدفوقا ت رثاء مبكراً لشبابي[٢٢٤]

تكشف قصائد (عاشقة الليل) عن محور يتعلق بما تنطوي عليه الشاعرة من أعماق مملوءة من الطبيعة، مشفقة على الانسان من مآسي الحياة وأحزانها، كما في (مرثية غريق) و (المقبرة الغريقة) و

---

[٢٢٢] ديوان نازك الملائكة: المجلد الثاني، ص٢٧٧-٢٧٨.

[٢٢٣] ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ص١٧٩.

[٢٢٤] ديوان نازك الملائكة، الجزء الاول، ص٥٧٦-٥٧٧.

(وعد الانسانية)، كما في (سياط واصداء)، ولكنها لامر ما تغلق كل ذلك بالكراهية والبغضاء والإحتقار، كما في قصيدة (وادي العبيد):

لا أُريدُ العيشَ في وادي العبيــدِ
بين أَمواتٍ... وإن لم يُدْفَنــوا...
جُثَثٌ ترسَفُ في أسْرِ القُيــودِ
وتماثيلُ إحتوتها الأَعيُــنُ
آدميّونَ ولكــنْ كالقُــرودِ
وضِبَاعٌ شَرْســةٌ لا تُؤمَـنُ
أبداً أُسْمعُهم عذْبَ نشيــدي
وهُمُ نومٌ عميـقٌ مُحْــزنُ[٢٢٥]

قد يكون بين الناس من هو كما وصفت، ولكن التعميم في مثل هذه الحالة ليس صحيحاً، حسب رأينا، أن التعالي على الناس وإحتقارهم واضح في هذا المقطع، غير أن ذلك كله يتحول في المقطع الأخير من القصيدة الى الإحتجاج والإصرار في هذا المقطع قد تحولا الى ما تسميه الشاعرة: ثورة وتمرداً في قصيدتها التالية (ثورة على الشمس) الى المتمردين وترى فيها أن حزنها ما هو الا صورة لثورتها وتمردها، وأن شحوبها وأرتعاش عواطفها وحيرتها ما هي الا تمرداً مقترناً بالحزن، ولذا فهي تثور على الشمس والنهار تمقتهما، وتعشق النجوم والليل:

أضواؤكِ المتراقصاتُ جميعُهــا
يا شمسُ أضعفُ من لهيب تمرُّدي
وجنونُ نارِكِ لن يمزّقَ نغمتــي
ما دام قيثاري المغرِّدُ في يــدي
فإذا غَمرْتِ الأرضَ فَلْتَتَذكَّــري
أَني سأخلي من ضيائكِ مَعْبــدي
وسأدِفنُ الماضــيْ الذي جَلَّلتِهِ
ليخيِّمَ الليلُ الجميلُ علــى غَدِي[٢٢٦]

إن ما تسميه (تمرداً) هنا ما هو الا صورة أخرى من صور الضعف البشري الذي أصارت اليه، فالقصيدة السابقة (وادي العبيد)، هذا الضعف البشري الذي لا يتحمل مرارة الواقع، والى قسوة الحياة ولا يستطيع لها دفعاً، يتحول الى حزن.

---

[٢٢٥] المصدر السابق، ص ٤٨٢-٤٨٣.

[٢٢٦] المصدر نفسه، ص٤٩٠-٤٩١.

اذا كانت قصائد (شظايا ورماد) إمتداد لقصائد (عاشقة الليل) بدرجة أو بأخرى لقربها جمعياً من الذاتية، وتميزها بصدق التجربة الشعورية، وجمال بنائها الفني فإن المكتوبة في العام ١٩٤٨ تخلص من بعض خصائص (عاشقة الليل) ورموزها، وأكتسبت خصائص ورموزاً جديدة، أما القصائد العام ١٩٤٧ فيجب الحاقها بعاشقة الليل. كانت العاطفة في (عاشقة الليل) حادة، عنيفة وصاخبة، ممتزجة بالإحتجاج والتمرد، فاستحالت في (شظايا ورماد) عاطفة هادئة متأملة أقرب ما تكون الى الاستلام، كأنما الشاعرة قد تعبت من الصراخ والعويل، فمضت تغلف الحياة بروح أقرب الى اليأس منها الى الحزن، وبفكر أقرب الى الحيرة والتردد منه الى الموقف المتشدد، وكانها بمرور الزمن إقتنعت بأن الحياة يمكن أن ينظر اليها من زوايا متعددة، ربما تم تفسير هذا الامر بنضوب العاطفة أو بنضوجها بنفس الإتجاه[٢٢٧].

إن الإتجاه التأملي في (شظايا ورماد)، ونضوج العاطفة، وإمتداد الزمن الذي يفرض نوعاً من الاستقرار النفسي، قادت بالضرورة الى نوع من التجرد النسبي عن الذاتية.

وأشرنا الى وجوده في (عاشقة الليل) بحدود ضيقة، ولكنه أتسع في (شظايا ورماد)، وكان ذاتها الى تشغل جميع الأفاق قد إنكمشت بعض الشئ لتفسح في المجال الرؤية أوسع وأشمل الماحولها من ضروب الحياة، لا غبار ولا ستار يحجب ما وراءه، تبدو الاشياء من خلالها في دائرة رؤية واضحة بخلجاتها الذاتية، وما تضفيه على الصور والحوادث من حركة وألوان... لتكشف الكراهية والأحتقار، التي كانت تدعوها أحياناً بـ (الكبرياء) على ما بين دلالات هذه الألفاظ من فراغ واسع...وتعبد الطريق بعد ذلك في مجموعتها التالية لتعميق الإتجاه القومي والإنساني.

ومن أبرز الامثلة على ذلك قصائد (مر القطار – خرافات – الكوليرا – لنكن أصدقاء – يوتوبيا في الجبال)، وإن كانت تتفاوت فيما بينها، في قربها من الذاتية وبعدها [٢٢٨].

أن شعر نازك الملائكة يعبر من حيث المبنى والمعنى، عن الكبت النفسي والتمرد، ولم يكن غريباً ذلك على فتاة نشأت في بيئة محافظة وأنطلقت فجأة الى أفاق العالم الرحيب ان الصراع قد اشتد في قرارة نفسها بين دنياها القديمة التي فتحت عليها العينين، وبين العالم الجديد الذي خرجت اليه على مقاعد الدراسة وفي الولايات المتحدة الاميركية، وزادت حدة الصراع حين أطلت الفتاة التي برعت وتميزت في حب الادب العربي من خلال والديها الاديبين الشاعرين، حين أطلعت على الاداب العالمية وقرأت أثار الفكر الاوربي المتفتح وتأثرت به، وكانت نتيجة هذا الصراع هو التمرد على القديم مع الخوف من الحديث.

---

[٢٢٧] ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني، ص٣١.

[٢٢٨] المصدر نفسه ، ص٢٣٥.

تمردت نازك على مباني الشعر العمودي فأبتدعت الشعر الحر الذي حافظ على تفاعيل البحور العربية في ابيات تطول وتقصر وتسرع وتتلكأ وتهدأ وتموج.

وتمردت نازك الملائكة على المعاني الشعرية، فتشبثت بأذيال الألم وتمرغت على أقدامه وتغنت بألحانة، فقالت:

نحن توّجناكَ في تهويمةِ الفجْرِ إلهَا
وعلى مذبحكَ الفضيّ مرّغْنَا الجِبَاهَا
يا هَوانا يا ألَمْ
ومن الكَتّانِ والسِّمْسِمِ أحرقنا بخورَا
ثمّ قدّمْنا القرابينَ ورتّلْنَا سُطورَا
بابيّاتِ النّغَمْ[٢٢٩]

ونرى أن روح نازك الملائكة حائرة حزينة مضطربة مكفهرة في كل قصيدة من قصائد الديوان الذي أسمته " عاشقة الليل". وهذه التسمية وحدها كافية للدلالة على رغبتها في السكينة والعزلة والإنطواء لكي تطالع في كتاب روحها سطور الالم وآيات الاسى.

" ويبدو لنا من بعض تعابيرها ومن الروح السارية في شعرها أنها متأثرة بشعراء الكآبة مثل الشاعر (كيتس) الانكليزي و(شوبنهاور) الالماني وسواهم....على أنها مبدعة في التصوير والتعبير ابداعاً ندر نظيره..." [٢٣٠]

من جانب آخر مزجت الشاعرة اللحن بالبكاء والضحك بالدموع والسرور بالألم، لكن ألمها الصامت الدائم يبرز في كل حين من وراء السطور.

ويمكننا القول أن الدوافع الذاتية لدى نازك الملائكة هي أقوى الدوافع جمعياً على كتابة الشعر، وأتخذت من (البحر) رمزاً للحياة ومن (الزورق) رمزا لحياتها الذاتية.

ونرى أن الحزن ظاهرة إجتماعية ونفسية لها أسبابها الموضوعية والذاتية وهي النتيجة الحتمية لتفاعل تلك الأسباب مع تطور الاوضاع السياسية والإجتماعية والإقتصادية والحالة النفسية للفرد ودرجة الإحساس بما يحيط به.

ويمتاز شعر نازك الملائكة بالحزن كواحدة من شعراء العرب المعاصرين والمتأثرين بشعراء أوربا المعاصرين، وهذه ظاهرة أصيلة في نفس الشاعر العربي بل هي أثر من آثار الشعراء الغربيين...وذلك لانها تمثل تجربة ومعاملة ذاتية أملتها ذات الشاعرة، حيث أتسم شعر نازك بطابع الحزن والكآبة والتشاؤم..وأن ذاتها حزينة وكئيبة

---

[٢٢٩] العطية، جليل، أعلام الادب في العراق الحديث، دار الحكمة، ج٢، ١٩٩٤، ص٥٦٦-٥٦٧.

[٢٣٠] المصدر نفسه، ص٥٦٨.

وقد تناولت الشاعرة مسألة " حفار القبور" وما يعنيه هذا الشخص من تصور للصراع الحاد بين الحياة والموت، أنها جمعت بين شخصين في هذه المهنة، وأطلقت لهما العنان وهما منهمكان في الكسب من أجل الحياة فتقول:

طالما حفرا في التراب

حفرا في الضباب

ربما حفرا في شحوب الخريف

او عبوس الشتاء المخيف

طالما شوهدا – يحفران

يحفران....يظلان في لهفة يحفران

وهما الآن فوق الثرى ميتان[٢٣١]

إن موت الحفارين يعني مفارقة قوية في الحياة... وفي موقف نازك الملائكة هذا يتجسد لنا نوع من مواجهة الذات للوجود والتمرد عليه... لأن المفارقة في نظامه تبدو للشاعر أشد ما تكون حده، وهي تنعكس بدورها على نفسها فتسبب للذات عذاباً مغنياً.

ونرى أن السبب الرئيس في طغيان الحزن في شعر نازك هو المعاناة الحقيقية للألم الذي عانته في ربيع شبابها الذي دفعها الى الحزن...بالرغم من أننا نؤكد...أن العالم الخاص الذي رسمته الشاعرة لنفسها كان قوامه اليأس والعيش في ذكريات الماضي.

حيث أنها تظهر مدى الرؤية التي تنظرها بالنسبة للسعادة، والحزن في الشعر.. فهي تقرر أن السعادة لا وجود لها في الواقع، ونفت وجود أي مظهر من مظاهر الفرح في الحياة، وإذا حدث أن عبر الشاعر عن واحد من هذه المظاهر فإنما يكون تعبيره ذهنياً محضاً.

أن هذه النظرة التي إنطلقت بها نازك جاءت نتيجة سيطرة طابع الحزن والالم والتشاؤم والكآبة على ذاتها[٢٣٢].

ويمكن تصور موقف الذات (الذات الشخصية لنازك وتشمل ذات الانثى في مجتمعها ممثلة بذات نازك ومعبرة عنها)، فالأنثى في مجتمعاتنا معنية بالحداثة أكثر من الذكر ففي ظل الحداثة يمكن للأنثى أن تحقق ذاتها وتحصل على حقوق مستلبة منها..... وفي هذا الحقل يتجلى إنتصار الذات، لإنها إقتربت من الموضوعي (فهم الواقع وإنتاج الملائم). ويمكننا كشف إخفاق الذات وتماهت الذات مع مساحة واسعة من الواقع، مجاملة، خوفاً، إنصهاراً...الخ من ممكنات التأويل. والشكل الأخر للإستجابة لأنانية الذات تجلى حين تمسكت بريادة منجزا الانثى وسعت لأعاقة كل جديد (منه محاولة تعطيل تطور

---

[٢٣١] قرارة الموجة (يمكن أن حفارين)، ص١٢٨.

[٢٣٢] السامرائي ماجد أحمد، نازك الملائكة – الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص٤٣-٤٤.

مشروع قصيدة التفعيلة في الستينات، ومنه وقوفها الدائم ضد قصيدة النثر). ونحن نقرأ في هذا فشل الذات، لإنها توقفت عن التأويل ومتابعة حراك الحياة، إذ بقدر إقتراب الذات من الموضوعي يتحقق للذات ذاتها الإنسانية، وتتعمق تجربتها وتتسع أهمية التجربة، فتصبح الذات صوتاً للإنسان الحر، وليست ذاتاً فردية محكومة بقانون التعايش الانانية، وهذا هو الإختيار الذي فشلت فيه نازك الملائكة في بعض مراحل مسيرتها الثقافية.

إن هذا السمو الانساني يتناسب تحققه طردياً مع سعة المساحات التي تفسحها الذات الموضوعي. فبقدر ما تفسح الذات مساحات للموضوعي ترتقي الذات إنسانياً ومعرفياً. فالقيمة الكبرى المنجز الحداثة أنه جرأ عى الحراك والتمرد، ولا يعنينا كثيرا كونه سيجمد لاحقا أم يستمر بحراكه وتغيره[٢٣٣]. فالمهم ثقافيا وعلى الامد الطويل ليس المنجز نفسه. فالاهم من المنجز الطاقة الرمزية الكامنة في المنجز ومدى قدرته على أن يبقى دائماً للتثوير الثقافي. وبناء على هذا لا بد العودة قليلا الى الرأي القائل بأن ارتداد نازك في العام ١٩٦٢قد أنهى خرقها الاول وأتى عليه. فهذا التصور ليس صحيحا. فالمقدمة النظرية التي كتبتها نازك لديوانها " شظايا ورماد" نص لا يمكن الغاؤه. وسيبقى فاعلاً على الرغم من أن نازك تراجعت عن بعض اطروحاتها وأعدتها حماسية. فالنص كيان مستقل يفعل فعله خارج ذات الكاتب/ الكاتبة في لحظة ولادته ينسلخ لستقل مادياً، كونه كيانا حاضراً وقادراً على الاستمرار في الحضور[٢٣٤].

وسر قدرة نص نازك – المقدمة موضع الحديث على الاستمرار في الحضور سران: الاول أنه نص مكتوب مودع على سطوح الأوراق المنتشرة في أمكان جغرافية عدة، والسر الثاني أن ذلك النص يحمل عوامل ديمومته وقدرته على البقاء كونه يحمل معرفة صحيحة منسجمة مع ذاتها وقادر على التحفيز المعرفي[٢٣٥].

---

[٢٣٣] البصري عبد الجبار داود، نازك الملائكة، الشعر والنظرية، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٧.

[٢٣٤] المصدر نفسه، ص ١٢٣٧.

[٢٣٥] المصدر نفسه.

الفصل الثالث: الشكل الفني للبحث عن الهوية في شعر الملائكة ودلالاته

مقدمة:

أعترف النقاد والباحثون العرب وبالإجماع بأن لنازك الملائكة الدور الريادي الاول في تحديث وتطوير الشعر العربي. وقد دونت لها هذه الريادة في العام ١٩٤٧وهي بلا شك ريادة تجديد القصيدة الإيقاعية. وقامت ريادتها على فكرة التأسيس وفكرة ابداع تراث وضعته على طريق مستقبل الشعر العربي، وهي لم تبدع من فراغ تاريخي، بل جاء إينجازها وفقاً لداخلها القلق المبدع، ولإنها أيضاً عاشت في بيئة، وبيت ثقافي ممتلئ بالحيوية والحركة والعطاء الادبي، وللشاعرة أثر كبير في تطوير الشعر العربي الحديث لكي يصبح وما يسمى (بالشعر الحر).

إن مرحلة الالحاد التي عاشتها نازك أنشأت في أعماقها فراغاً رهيباً دام عقداً من الزمن وما كان هذا الفراغ ليتعاظم لو أنها بحثت عن طمانينة الروح في عالم السماء، ولكن ما حدث معها، هو إتساع دائرة الفراغ المفضي الى الاغتراب، الذي لم تستطع أن تملأه الابعد أن انتهت الى الايمان بالله، إيمانا كاملاً في العام ١٩٥٧ فزهدت الدنيا وإعتزلت الناس وتعد ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة علامة مميزة في نصوص متنها الشعري واذا ما تصفحنا دواوينها الخمسة نظرنا فيها عويل وتفجيع وحزناً وتشاؤم. وقد ظلت هذه النظرة المتشائمة تلازمها طوال ايام صباها وظلت تعاني من إحساس يرافقها كالظل بالوحدة والعزلة والحزن كظل هاجس الموت، الذي يعكر عليها صفو أيامها حتى أفسد عليها أستمتاعها بأيام شبابها

المبحث الاول: الدور الريادي لنازك الملائكة للشعر الحر

تعد الشاعرة نازك الملائكة نقطة كبيرة في جسد الشعر العربي الحديث، وقد تأثرت بالشعر الحديث[٢٣٦]. وأرتبط أسمها بحركة التجديد الشعري المعاصرة وبحركة الشعر الحر[٢٣٧]، وهي كذلك تعد من رواد الشعر الحر التي دعت الى حرية الحركة وتحريك اللسان وهي غير تلك المرأة المكبلة بالقيود وهي التي دخلت عالم الفن من أوسع أبوابه[٢٣٨]، وقد أعترف النقاد والباحثون العرب وبالاجماع بأن لنازك الملائكة الدور الريادي الاول في تحديث وتطوير الشعر العربي – بإستحداثها الشعر الحر، أو شعر التفعيلة، وسمي فيما بعد بالشعر الحديث الذي يقابل مصطلح (الشعر العمودي) أو شعر (نظام الشطرين)، وقد دونت لها هذه الريادة في العام ١٩٤٧ وهي بلاشك ريادة تجديد القصيدة الايقاعية. وهي أيضا رائدة في وضع (عروض الشعر الحر) وكتبت عنه دراسات مستحدثة جديدة في كتابها الخاص(قضايا الشعر المعاصر) في العام ١٩٦٢، بهذه الموضوعة في بداية ستينات القرن العشرين، فهي إذن رائدة وسبقت الاخرين وفي إبتكار الخط الجديد في داخل منظومة الشعر العربي وقامت ريادتها فكرة التأسيس وفكرة ابداع تراث وضعته على طريق مستقبل الشعر العربي، وهي لم تبدع من فراغ تاريخي، بل جاء إنجازها وفقاً لداخلها القلق المبدع، لإنها أيضاً عاشت في بيئة، وبيت ثقافي ممتلئ بالحيوية والحركة والعطاء الادبي، إذن نرى بأن نازك الملائكة حقاً ندون لها الريادة وتعد العمود الريادي الاول من الاعمدة الهامة لما لها من أثر في تطوير الشعر العربي الحديث لكي يصبح وما يسمى (بالشعر الحر) [٢٣٩]

وكانت بداية حركة الشعر الحر في العام ١٩٤٧ في العراق، ومن العراق، بل من بغداد نفسها وزحفت هذه الحركة وأمتدت حتى غمرت الوطن العربي كله وكادت، بسبب تطرف الذين استجابوا لها، وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر للشاعرة نازك الملائكة، حيث حيث كانت من بين هؤلاء الرواد الأوائل وهم السياب والبياتي وشاذل وطاقة تظل نازك أكثرهم توفيقاً في تقنين المفاهيم الخاصة بالدعوة واسرعهم في نقدها وبيان عيوبها ومميزاتها.

---

[٢٣٦] الرومي، جاسم غالي، لفظة الحزن واثرها في شعر نازك الملائكة، مجلة اداب البصرة، العدد ٦٠، ٢٠١٢، ص٧٩..

[٢٣٧] الصدام، ازهار فنجان، الحزن في شعر نازك الملائكة، بين الثابت والمتحول- دراسة موضوعية فنية، مجلة اداب البصرة، العدد ٥٧، ٢٠١١، ص٣٣.

[٢٣٨] النجار، اسعد محمد، بحث بعنوان، معجم الفاظ الحزن عند نازك الملائكة)، مجلة العلوم الانسانية، بدون عدد، ٢٠٠٦، ص١.

[٢٣٩] الشريف، سليم، مقالة بعنوان، مصدر سبق ذكره، ١٧.

وقد بدأت نازك الملائكة بيانها الشعري بإعلان الثورة على قواعد الخليل الفراهيدي وبالرغم من محاولاتها الانفلات والخروج من قواعد الفراهيدي العروضية في مقدمة بيانها إلا انها حاولت السير بشكل هاذئ ومنظم فأدعت في الموضع نفسه من بيانها أنها لم تخرج بإسلوبها الشعري الجديد عن قواعد العروض، إنما هو تعديل لتلك القواعد يتطلبه تطور المعاني والاساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل[٢٤٠]

وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر بأسم الشاعرة نازك الملائكة بعنوان " الكوليرا" وهي من الوزن المتدارك (الخبب)

طَلَع الفجرُ
أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ
في صمتِ الفجْر، أصِخْ، انظُرْ ركبَ الباكين
عشرةُ أمواتٍ، عشرونا
لا تُحْصِ أصِخْ للباكينا
اسمعْ صوتَ الطِّفْل المسكين
مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ
مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ
في كلِّ مكانٍ جَسَدٌ ينذُبُه محزونْ
لا لحظَةَ إخلادٍ لا صَمْتْ
هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ
تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ

تم نشر هذه القصيدة في بيرون، ووصلت نسختها بغداد في اول كانون الأول من العام ١٩٤٧. في النصف الثاني من الشهر نفسه صدرفي بغداد ديوان بدر شاكر السياب (أزهار ذابلة) وفيه قصيدة حرة الوزن له من بحر الرمل عنوانها (هل كان حباً)، وقد علق عليها في الحاشية بانها من " الشعر المختلف الاوزان والقوافي" وهذا نموذج منها: [٢٤١]

هل يكون الحب أني

---

[٢٤٠] السامرائي، ماجد أحمد، نازك الملائكة – الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥ – ١٠٦.

[٢٤١] الملائكة، نازك، حياة وشعر وأفكار، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠ – ٥١.

بت عبدا للتمني؟

أم هو الحب اطراح الأمنيات؟

والتقاء الثغر بالثغر ونسيان الحياة

كانثيال عاد يفنى في هدير

أو كظل في غدير

وفي صيف العام ١٩٤٩ صدر ديوان نازك الملائكة (شظايا ورماد). وقد ضمنته مجموعة من القصائد الحرة، وقفت عندها في مقدمة الكتاب المسهبة، وأشرت الى وجه التجديد في ذلك الشعر. وبينت موضع إختلافه عن اسلوب الشطرين، ثم جاءت بمثال من تنسيق التفعيلات، وعينت بعض البحور الخليلية التي تصلح لهذا الشعر.

وما عاد هذا الديوان يظهر حتى أحدث ضجة شديدة في صحف العراق. وأثيرت حوله مناقشات حامية في الاوساط الادبية في بغداد وراحت دعوة الشعر الحر تتخذ مظهراً أقوى حتى راح بعض الشعراء يهجرون اسلوب الشطرين هجراً قاطعاً ليستعملوا الاسلوب الجديد[٢٤٢].

ولاشك في أن مفهوم نازك الملائكة للشعر الحر ولاشك في ان مفهوم نازك الملائكة للشعر الحر، إذ أنها تريد به ما يخرج عن نظام الشطرين ويتخذ التفعيلة اساساً له سواء التزم ام لم يلتزم بنسق موحد كما بينت في مقدمتها لديوانها (شظايا ورماد) حين اشارت الى نوعين من قصائدها الملتزمة وغير الملتزمة من التفعيلات أو القافية، لـ " الكوليرا" و " غرباء" و" مر القطار" و " نهاية السلم" من النوع الأخر.

وقد عد (منح خوري) نازك الملائكة أول من وضع الأسس النظرية لتطوير هذا الشكل الجديد في مقدمتها لديوانها (شظايا ورماد) وكتابها " قضايا الشعر المعاصر".

إن هذا الجدل الاكاديمي حول من كان أول شاعر إستعمل الشعر الحر او دعا اليه، فقد أجمع كثير من النقاد العرب على أن نازك الملائكة لها الريادة في تطوره بفضل منزلتها كشاعرة استوعبت التراث الشعري العربي ومارست اشكاله الموروثة وجددت وظلت تواصل التجديد في هيكل القصيدة العربية، وهي كذلك منظرة ذات رؤية أصيلة وثقافة وتجربة ساعدتها على وضع الاسس النظرية الاولى للشعر الحر، وتتبع تطوره بتفصيل لم يشهده الادب العربي الحديث من قبل[٢٤٣].

ولقد كان جيل الرواد من الشعراء المجددين الفضل في حركة " الشعر الحر" وهذا شكل انعطافة تاريخية مهمة في حياة الشعر العربي، في طليعتهم نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وذلك من خلال

---

[٢٤٢] المصدر السابق، ص ٥١ – ٥٢.

[٢٤٣] المهنا، احمد عبد الله، دراسة في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص١١٧ – ١١٨.

ما وضعته شاعرتنا نازك من أسس نظرية للشعر الحر. كما تحب هي تسمية – ما جعلها تحتل مكانة مهمة في تاريخ تلك الحركة[٢٤٤].

لقد أكدت " نازك " في ما كتبت عن " الشعر الحر": أن إنفجار الشكل الشعري الجديد هذا كان على يديها، إنطلاقاً من قصيدتها " الكوليرا" والتي كتبتها ونشرتها في العام ١٩٤٧، وإن إرهاصات ذلك التحول كانت قد بدأت من نفسها هي، وإن نقطة الإنطلاق كانت من صميم ذاتها الشاعرة، لذلك أرادت وعملت على التأسيس لذلك المفهوم الشعري الجديد، فبنت تأسيسها ذلك على ما حرصت – شعرياً ونقدياً – تنظيرياً – على تكريسه من " إنموذج " رأت نفسها من بعد تختلف مع زملائها المجددين، شعراءً ونقاداً على التطورات التي حصلت فأحدثت تحولاً فعلياً[٢٤٥]. سوف نتناوله في هذا المبحث لاحقاً.

دور نازك في التجديد الشعري.

أدركت نازك منذ نشأتها الثقافية الأدبية الاولى أن شعر الشطرين ومعماريته الصارمة "لم يعد قادراً بأشكال ومضامنه التقليدية على تخفيض الاستجابات المستحدثة للحياة وتأمين تلك الخصائص التي يواجه بها الواقع الموضوعي" وأن تمرد على بنيته الصارمة أصبح أمراً ملحاً، وبدأ البحث عن اشكال ومعمارية جديدة تستوعب منهجه الجديد وتعبر عن تجربته وتبرر لمتذوقي الادب خطل الهندسة القديمة وسلامة، الصيغ المستحدثة وحيويتها، ويبدو ان " النزعة الى تأكيد استقلال الفرد" [٢٤٦]. والتعبير عن الذات أمسى هاجساً للشعراء المحدثين يحدوهم الامل في إبداع متكامل يجسد الفردية الخاصة، وخروجهم الى فضاء ارحب ورسم معالم طريق أخرى.

وترى نازك الملائكة أن اسلوب الشعر الحر يبنى " على التفعلية، فيكرر الشاعر هذه التفعلية بالعدد الذي يريده في القصيدة الحرة" [٢٤٧]وتؤكد أن ما أصاب الشعر العربي من تطور يدخل في الاسلوب كـ " ظاهرة عروضية قبل كل شئ ذلك لأنه يتناول الشكل الموسيقي للقصيدة ويتعلق بعدد التفعيلات في الشطر ويعني بترتيب الاسطر والقوافي وأسلوب أستعمال التدوير والزحاف، والوتد وغير ذلك مما هو قضايا عروضية" [٢٤٨] ولم يحدث اي تغيير في تفاعيل الخليل ولم تستحدث تفعلية

---

[٢٤٤] المحمود، لؤي شهاب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

[٢٤٥] مقدمة ديوانها، " شظايا ورماد".

[٢٤٦] الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص٥٦ – ص٦٥.

[٢٤٧] الحبب، محمود محمد، مقابلة أدبية مع الشاعرة نازك الملائكة، مجلة الاداب، العدد (٨)، ١٩٧١، ص٢٧.

[٢٤٨] قضايا الشعر المعاصر، المصدر السابق، ص٦٩.

جديدة والذي جرى ويجري لا يعدو تغييراً في النظام وعليه يمكننا القول أن الشعر الحر " شعر ذو سطر واحد ليس له طول ثابت" [٢٤٩].

وترى نازك أن تخلف الشعر العربي يستدعي القيام بحركة شعرية جديدة تنقذه من جموده ورتابته، فكانت حركة (الشعر الحر) التي تصدت لريادتها مع السياب والبياتي.

والواقع إن مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) الذي صدر في العام ١٩٤٩، تعد أول (بيانات للحداثة) الشعرية، فقد استهلمتها بعبارة (برنادشو): " في الشعر، كما في، الحياة للاقاعدة هي القاعدة الذهبية" لسبب هام هو ان الشعر وليد أحداث الحياة وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها ولانماذج معينة للألوان التي تتلون بها أشياؤها وأحاسيسها وحجتها في هذا الرفض أن القدم يذهب برونق الشئ وأن الإنسان يحس بالملل تجاه كل ما هو رتيب ومكرر، وتقول نازك ما لطريقة الخليل ألم تصدأ لطول ملامستها الأقلام والشفاه منذ سنين وسنين ؟ الم تألفها اسماعنا وترددها شفاهنا وحتى ملتها أقلامنا.

منذ قرون ونحن نصف انفعالاتنا بهذا الاسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون، لقد سارت الحياة وتقلبت عليها الصور والألوان والاحساسيس [٢٥٠] ومع ذلك ما زال شعرنا صورة لقفا نبك، وبانت سعاد، والاوزان هي هي، والقوافي هي هي وتكاد المعاني تكون هي هي [٢٥١]

عناصر التجديد.

طلبت نازك الملائكة من الشاعر العربي المعاصر أن يجدد في مسألتين، هما: (اللغة والاوزان) أما اللغة فتعد منطلق من المنطلقات النقدية القليلة التي تطورت مسيرة وتم تثبيتها من غير تحول ولعل سبب ذلك أنها كانت تدرك بوعي تام وجود رابطة بين الشاعر ولغته[٢٥٢].

وأما الاوزان الشعرية: الاوزان والمقصود بها بحور الشعر الستة عشر ذات الشطرين ورأي نازك فيها أنها تؤدي الى إطالة العبارة لتتناسب مع طول البحر المقرر وهذه الاطالة تفطر الشاعر للبحث عن عكازات لفظية توصله للقافية، ولهذا فهي تدعو للخروج عليها أو تعديلها بشكل يتجاوب مع طول العبارة الطبيعي وترى في الشعر الحر هو أفضل من الشطرين في تحقيق هذا الغرض.

وتبرر نازك هذه الأفضلية على النحو التالي:

الابيات التالية تنتمي الى البحر الذي سماه الخليل " المتقارب" وهو يرتكز على تفعلية واحدة هي "فعولن":

---

[٢٤٩] المصدر نفسه، ص ٧٧.

[٢٥٠] ديوانها " شظايا ورماد"، ص٤

[٢٥١] السامرائي، ماجد أحمد، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥ – ١٠٦.

[٢٥٢] العلي، عبد الرضا، تقرير عن الشاعرة نازك الملائكة، بغداد، ١٩٨٧، ص٤.

يداك للمْس النجومْ

ونسجِ الغيومْ

يداك لجمع الظلالْ

وتشييد يوتوبيا في الرمالْ

وتذكر نازك لوكنت استعملت اسلوب الخليل كنت أستطيع التعبير عن المعنى بهذا الايجاز وهذه السهولة؟ الف لا. فأنا إذ ذاك مضطرة الى أن أتم بيتاً له شطران فأتكلف معاني أخرى غير هذه أملاً بها المكان وربما جاء البيت الاول بعد ذلك كما يلي:

يداك للمس النجوم الوفاء ونسج الغمائم ملئ السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جناية كبيرة[٢٥٣]

وتتعلق بالوزن قضية (القافية)، وتراها نازك: بأنها حظيت بأهتمامها في معظم تنظيراتها النقدية بعد مرحلة " شظايا ورماد" التي أعلنت فيها حربها عليها. ويبدو أن هذا الاهتمام كان بمثابة إعتراف ضمني بالخروج على موقف نقدي دام زمناً. [٢٥٤] وفي مقدمة " شظايا ورماد" هاجمت القافية وعدتها ذلك الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة كل بيت – وقد أوقعت القافية الموحدة خسائر فادحة في القصيدة العربية حين حالت دون وجود النوع الملحمي في الادب العربي، فضلاً عن إنها تضفي على القصيدة لوناً رتيباً يجعل السامع يملها ويثير في نفسه التكلف، وتصديه للقافية.

وخلصت نازك الى تأكيد مفاده أن القافية الموحدة قد خنقت أحاسيس كثيرة، ووأدت معاني لاحصر لها في صور شعراء أخلصوا لها [٢٥٥].

ذلك هو موقفها الاول من القافية، غير أن الناقدة تحولت عن هذا الموقف بعد ثلاثة عشر عاماً. ويبدو أن تجربتها الشعرية، وتطبيقاتها النقدية كانتا وراء هذا التحول.

على أن من المفيد أن تذكر أن ارهاص هذا التحول كان قد بدأ في العام ١٩٦٢[٢٥٦] في " قضايا الشعر المعاصر" إذ بين الفصل الثاني من الباب الثالث موقفاً من القافية مغايراً تماماً لما كان في "شظايا ورماد" فقد أعلنت أن الشعر الحر " يحتاج الى القافية إحتياجا خاصاً....لأنه شعر يفقد بعض المزايا الموسيقية المتوفرة في شعر الشطرين الشائع..... ولذلك فإن مجئ القافية في أخر كل شطر

---

[٢٥٣] البصري، عبد الجبار داود، نازك الملائكة، الشعر والنظرية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣ – ١٩٤.

[٢٥٤] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة الناقدة، مصدر سبق ذكره، ص٧٩.

[٢٥٥] الملائكة، نازك الاعمال الشعرية الكاملة، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص١٠، وكذلك ينظر: السامرائي، أبراهيم، لغة الشعر بين جيلين، مصدر سبق ذكره، ص١٩٥.

[٢٥٦] العلي، عبد الرضا، المصدر السابق، ص٨٠.

سواء أكانت موحدة أم منوعة، يعطي هذا الشعر الحر شعرية أعلى، ويمكن الجمهور من تذوقه والاستجابة له، ثم أجرت موازنة بين قصيدتين: أحدهما مرسلة، والاخرى ذات قافية، إنتهت فيها الى أن خلو الاولى من القافية أفقدها جمال الواقع وعلو النبرة[٢٥٧]

وفي دراستها لشعر علي محمود طه في العام ١٩٦٥ بَيّن المبحث الموسوم " القافية في شعره" موقفاً شبيها بما جاء في " قضايا الشعر المعاصر" من إهتمام بالقافية سواء أكانت موحدة أم متغيرة.

فقد ذهبت الى أن من مزايا علي محمود طه أنه يحافظ على مستواه الفني في الحالتين، فقد استعمل القافية الموحدة في القصائد التي تنتظم فكرة واحدة يمكن جمعها في إطار متين في حين أنه إستعمل القافية المتغيرة في القصائد ذات الفكرة المسلسلة لذلك تجئ ملائمة للمحتوى.[٢٥٨]

وهذا الإهتمام بالقافية وإن كان في معرض دراسة شاعر لا علاقة له بالشعر الحر، الا أنه يشكل موقفا تطبيقيا في نقد نازك له. وهو في ظننا تميهد لإعلان موقف جديد من القافية يبين أهتماما أكبر بها ونكوصاً في الهجوم عليها.

على أن أول تغيير مسبب في موقفها بالخروج على ما دعت اليه كان في العام ١٩٦٨ في مقدمة " شجرة القمر" حين عبرت أن أسفها لعدم عنايتها بالقافية عناية أكبر فيما نظمته من شعر حر قائلة:" ومما أحب أن أعلن أسفي له في شعري لم أعتني عناية أكبر بالقافية، فكنت أغير القافية سريعاً، وأتناول غيرها، وهذا يضعف من الشعر الحر. ثم أوضحت في ختام المقدمة أنها باتت تدعو " الى أن يرتكز الشعر الحر الى نوع من القافية الموحدة ولو توحيداً جزئياً، فبذلك تزيده موسيقى وجمالاً ونحميه من ضعف الرنين وإنعلات الشكل"[٢٥٩].

وتختتم نازك المقدمة مقدمة " شظايا ورماد" بالتأكيد على أن الشعر العربي يقف على حافة تطور جارف لن يبقي من الاساليب القديمة شيئاً..ويدخل ضمن مصطلح الاساليب المشار اليها الاوزان والقوافي والمذاهب والالفاظ والموضوعات. وتأكيد نازك قائم على اساسين: الاول دراستها في الشعر العربي الحديث وملاحظة إتجاهة الصاعد، والثاني إحتكاك المثقف العربي بالحضارة الاوربية وأدبها[٢٦٠]

---

[٢٥٧] المصدر نفسه.

[٢٥٨] الملائكة، نازك، الصومعة والشرفة الحمراء، دراسة نقدية في شعر على محمود طه، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٠٧ وما بعدها

[٢٥٩] الشاعرة واللغة، مجلة الاداب، العدد (١٠)، بيروت، ١٩٧١، ص ١٢. وللاستفاضة حول موضوع القافية ينظر، البيرماني، فرح غانم، الشعر النسوي في العراق، ١٩٦٠ – ٢٠٠٠، الفراهيدي للنشر والتوزيع، ج٢، ٢٠١٣، ص٩٨ وما بعدها.

[٢٦٠] البصري، عبد الجبار داود، نازك الملائكة – الشعر والنظرية، مصدر سبق ذكره، ص١٩٦.

الشعر الحر إندفاعاته الإجتماعية.

لعل القانون الذي يتحكم في حركة التجديد عامة هو انها جميعها محاولات لإحداث توازن جديد في موقف الفرد والامة بعد أعترت الموقف عوامل خارجية فرضت عليه أن تتخلخل بعض جهاته وتميل وسرعان ما يصبح التجديد حاجة ملزمة.

والواقع أن ملخص ما فعلته (حركة الشعر الحر) أنها نظرت متأملة في علم العروض القديم وأستعانت ببعض تفاصيله على إحداث تجديد يساعد الشاعر المعاصر على حرية التعبير وإطالة العبارة وتقصيرها بحسب مقتضى الحال. ولم تصدر الحركة عن اهمال للعروض[٢٦١]

وبالتأكيد على أن القانون الذي يحكم حركات التجديد عامة كونها محاولات الاحداث توازن جديد في موقف الفرد والأمة كلما إعترت الموقف عوامل خارجية تخلخل بعض جهاته، وتميل بها. وتعطي حق للجمهور في تحفظه تجاه القضايا الجديدة وتسمي هذا التحفظ صوت التماسك والأصالة في شخصية الامة التي ترفض أن تنهار بإزاء كل فكرة جديدة تعرض وإلا لم تعد أمة ولا يعد في إمكانه أن تحفظ تراثها. كما تنكر على الجمهور من ناحية أخرى إساءة الظن بالحركة وإتهامها، ونرى أن الحرية ليست قرينة للكسل وضحالة الموهبة وضعف الكفاءة، وانما هي مغامرة خطرة مقترنة بالمسؤولية ولذلك يؤثر أغلبية البشر أن يقبلوا القيود ويعيشوا في ظلها أمنين[٢٦٢].

وتضيف الى ذلك ان الشعر الحر إندفاعة إجتماعية وهو مقود بمقومات بيئية قاهرة لا قدرة له على مقاومتها، ولهذا أخفقت كل المؤمرات التي أرادت النيل منه، وتذكر في هذا الشأن العوامل الموجبة التي تقف وراء إنبثاقه وأهمها: النزوع الى الواقع، الحنين الى الاستقلال، النفور من النموذج، الهرب من التناظر، إيثار المضمون. وتظهر نازك قلقها على الحركة لما صاحبها من مغالاة وعصبية، وتؤكد أن، رسوخها متوقف على أن يدرك الشاعر الحديث أن تراثه القديم هومنبع الابداع.... وسبق لها أن ذكرت بأن الشعر الحر سيصل الى نقطة الجزر.

وقد ردت نازك على الاتهام الذي تم توجيهه اليها والذي مفاده بأن " الشعر الحر" هو دعوة للكسل لأن الشطرين والقوافي الموحدة تكلف المجددين عسيرا من الامر، فترد نازك على هذا الاتهام بان موسيقية الشطرين العالية هي التي تعطي للقصيدة جواً كسولاً، وأن الشاعر المعاصر يريد أن يكون شعره مفكراً، ايجابياً، طويل العبارة فلا تسمح له بذلك الغنائية العالية في الابحر الشطرية[٢٦٣].

---

[٢٦١] المصدر نفسه، ص١٩٧.

[٢٦٢] المهند، محمد كامل، بحث بعنوان (رومانسية نازك الملائكة وجمالية صورها الشعرية)، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠٠٩، ص ٢٨ – ٢٩.

[٢٦٣] البصري، عبد الجبار داود، نازك الملائكة – الشعر والنظرية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠١ – ص٢٠٢.

عيوب الوزن الحر

اذا كانت مزايا الشعر الحر الثلاث: الحرية والموسيقية والتدفق قد إستحالت شراكا للشاعر، فما بالنا بالعيوب التي يتضمنها هذا الوزن ؟ وإنما تنشأ تلك العيوب عن طبيعة الشعر الحر نفسه، وأبرزها عيبان إثنان يرتكز كل منهما الى تركيب التفعيلات في الشعر الحر،

وسنقف عندهما فيما يلي:

أ. يقتصر الشعر الحر بالضرورة على عشرة من بحور الشعر العربي الستة عشر، وفي هذا للشاعرغبن يضيق مجال إبداعه. فلقد الف الشاعر العربي أن يجد أمامه ستة عشر بحراً شعرياً بدا فيها ومجزوئها ومشطورها ومنهوكها. وقيمة ذلك في التنويع والتلوين ومسايرة مختلف أغراض الشاعر الكبيرة بحيث يصبح إقتصار الشعر الحر على نصف ذلك العدد نقصاً ملحوظاً فيه[٢٦٤].

ب. يرتكز أغلب الشعر الحر – ثمانية بحور منه من عشرة – الى تفعيلة واحدة. وذلك بسبب فيه رتابة مملة، خاصة حين يريد الشاعر أن يطيل قصيدته. وعندي أن الشعر الحر لا يصلح للملاحم قط، لا مثل تلك القصائد الطويلة ينبغي أن ترتكز على تنويع دائم، لا في طول الابيات العددي فحسب، وأنما في التفعيلات نفسها وإلا سئمها القارئ. ومما يلاحظ أن هذه الرتابة في الاوزان تحتم على الشاعر أن يبذل جهدا متعبا من تنويع اللغة وتوزيع مراكز الثقل فيها، وترتيب الافكار، فهذه كلها عناصر تعويض تخفف من وقع النغم الممل[٢٦٥].

المزايا المضللة في الشعر الحر

أ. الحرية البراقة التي تمنحها الاوزان الحرة للشاعر، وتراها حرية خطرة لان الشاعر ينسى في نشوتها ما ينبغي الا ينساه من قواعد، فينطلق " من قيود الاوزان ووحدة القصيدة واحكام هيكلها وبسط معانيها، فتتحول الحرية الى فوضى كاملة"

ب. والموسيقية التي تمتلكها الاوزان الحرة، والتي تساهم فيما ترى، في تضليل الشاعر عن مهمته، ففي " ظلها يكتب الشاعر أحيانا كلاماً مفككاً دون أن يتنبه، لان موسيقية الوزن وإنسيابه يخدعانه ويخفيان العيوب".

ج. التدفق وهو فيما ترى مزية غاية في التعقيد، وينشأ " عن وحدة التفعلية في أغلب الاوزان الحرة، فالشعر الحر يعتمد عل تكرار تفعيلة ما، مرات يختلف عددها من شطر الى شطر،

---

[٢٦٤] الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧ – ٤٨.

[٢٦٥] المصدر السابق، ص٤٨.

وهذه الحقيقة تجعل الوزن متدفقاً مستمراً كما يتدفق جدول في ارض منحدرة" مما يؤدي الى خلو هذا الشعر من الوقفات على الرغم من أهميتها الشديدة في كل وزن، وهو ما يؤدي بدوره الى إمتداد المعنى وإستمراره في أكثر من شطر من أشطر القصيدة، وهكذا يؤدي التدفق الى جنوح العبارة في الشعر الحر، وعدم إنتهاء القصائد[٢٦٦].

الهجوم على (التجديد):-

لقد تعرضت حركة (الشعر الحر) للكثير من الاتهامات المتسمة بروح العداء للجديد، وهؤلاء المعارضون إنهم مجموعة من الشباب يركن الى الكسل، ولا صبر له على مشاق الشطرين ومتاعب القافية، نرى خلاصة في الشكل الجديد، وأن الحركة كلها نسخة مكررة من الشعر الاوربي ولا صلة لها بواقع الشعر العربي. هذه الاتهامات كانت من أتباع المدرسة التقليدية المهارة، ومن بقايا المدرسة الرومانسية التي انتهت الى التشتت والضياع الى عوالم طوباوية.

لقد تصدى الشاعر (يوسف الخال) لموقف نازك من قصيدة النثر ورأى أن آراء نازك ارتدادية ومتزمتة، خانت حركة الشعر الحر التي تدعي اكتشافه[٢٦٧].

ونجد نازك الملائكة بعد مضي عشر سنوات على ظهور الشعر الحر، حتى إرتدت عن دعوتها في مقدمة ديوانها (شجرة القمر) قائلة (أن الشعر الحر سيتوقف في يوم غير بعيد، وسيرجع الشعراء الى الاوزان الشطرية، بعد أن خاضوا في الخروج عليها والاستهانة بها، وليس معنى هذا: أن الشعر الحر سيموت، وإنما سيبقى قائماً يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ومقاصده دون أن يتعصب له ويترك الاوزان العربية الجميلة"[٢٦٨].

وكذلك تناول النقاد مفهوم نازك الملائكة للوزن في الشعر الحر وإصرارها على الالتزام بوحدة التفعيلة بدون الخروج على القواعد العروضية كما يتجلى ذلك في بحثها عن تفعيلات الشعر الحر" فرأى المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) أن مفهوماً كهذا يمثل تقييداً- إن لم يكن إنتكاسة – للثورة التي اتسم بها الشعر الحر، وأن كتابها " قضايا الشعر المعاصر" كان متشدداً إزاء كل مرة يخرج على الضوابط التي اقترحتها. وكذلك أشار (بدوي) الى النزعة المحافظة في كتابها المذكور إشارة عابرة، وأغلب الظن أنه كان يريد بها موقفها من الشعراء الذين يخالفونها في تجاربهم الشعرية. وتطرقت

---

[٢٦٦] المهنا، أحمد عبد الله، دراسات في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص٨٣٦.

[٢٦٧] الخال، يوسف، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨، ص ٣٤. وكذلك أنظر: مجلة القلم الادبي، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.

[٢٦٨] الجبرا، جبرا ابراهيم، الرحلة الثامنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ص١١، ١٠، ١٢. نقلا عن: المحمود لؤي شهاب، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

الشاعرة الناقدة (سلمى الجيوسي) الى الموضوع ذاته ورأت الأ ضرورة لإصرار نازك الملائكة على الإلتزام بثبات الضرب، كما خالفتها في موقفها من قصيدة النثر وعدها الوزن وحده معياراً للتمييز بين الشعر والنثر[٢٦٩].

أما الدكتور (لويس عوض) فقد إعترض على وضع نازك لقوانين العروض الجديدة وعد الشعر الجديد تجربة تستعصي على التقعيد الا اذا ثبتت التجربة وأحتلت منزلتها من الاذواق الفنية، وهذا يحتاج الى وقت طويل. إن التجديد الذي عاشه الشعر العربي بصورته الجديدة يعد ثورة العروض، ولا بد من الانتظار حتى تتبين ملامح تلك الثورة وتستبين صورة تلك التجربة.

وقد انتقد الدكتور (عوض) نظرية نازك نقداً لاذعاً وأختلف مع الدكتورة (بنت الشاطي) التي أعدتها أهم نظرية في العروض العربي منذ تاريخ الفراهيدي، إنتقد كتاب نازك في العروض وقال ليس كتاباً في العورض الجديد أصلاً رغم كثرة ما فيه من (مستفعلن) (فاعلات)، لأن العروض الجديد لا يزال يتكون كالجنين، وأحسب أنه يتكون جيلاً أخر أو أجيالاً قبل أن يستقر نهائياً، وتظهر له ملامح واضحة وقسمات وأوزان يمكن تشخيصها وتبديلها على غرار ما فعله الفراهيدي.

فنجد الناقد (جبرا ابراهيم جبرا) الذي عاش الشاعر السياب ونازك وغيرهما، ويرفض أن يسمي نظرية نازك هذه عروض الشعر الحر، ويعد ما أتت به من أمثلة شعرية من شعرها أو شعر غيرها، لا يمثل الدليل الاصيل لانها أمثلة ضعيفة، جاءت بها للتدليل على الاسلوب الذي تمتدحه وتتذوقه، وهو يرى أن تسمية نازك للشعر خاظئة من أصلها.. ويرى أن الشعر الحر هو الذي يعتمد على الصور الشعرية والموسيقى الداخلية التي تتخطى إنتظام التفاعيل ولا يحفل بالقافية الا إذا وردت عفوا[٢٧٠].

فالشاعرة، إذا تريد البرهان على أن ما تسميه بـ (الشعر الحر)، فـ (التسمية لديها غلط من أساسها، كما سنرى)، جارٍ على قواعد العروض العربي، وتعطينا هذا المثل من ديوانها " قرارة الموجة" على أنه من (البحر الكامل):

لا ذكريات

نحنُّ ولا ندري الحياة

نحنُّ ولا نشكو ونجهل ما البكاء

ما الموت ما الميلاد ما معنى السماء

قافيتان رائعتان: (ذكريات، وحياة) لست أدري اين الشعر هنا؟ وكيف تعيب الشاعرة على غيرها تسميته النثر شعراً، وهي تلبس ذلك النثر الجامد لباس شعر تضعه إمثولة للشعراء؟

---

[٢٦٩] المهنا، أحمد عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص١١٩.

[٢٧٠] السامرائي، ماجد أحمد، نازك الملائكة – الموجة القلقة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣ – ١٢٤ -١٢٢.

والغريب: أن الشاعرة تتباهى: بأن تلك القصيدة، لو تم تجزئتها الى الاطوال التي يعزلها العروض العربي، لتألفت منها قصائد ثلاث، فلماذا لم تجزئها كذلك ؟ فالتجزئة يجب أن تنبثق من داخل القصيدة بحيث لا يمكن لها أن تجزأ على أي نحو أخر، مهما كانت التفاعيل. حينئذ نقبلها على إنها حرة اصيلة، لا عبدة تنكرت بزي الحرائر.

ولست أدري: كيف ترضى الشاعرة الناقدة على مثل تلك التجزئة، أو ذلك التشطير، وتعيب في مكان أخر المقال نفسه على (بدر شاكر السياب) أشطره:

أود لو أطل من أسرّة التلال
لألمح القمر
يخوض بين ضفتيك يزرع الظلال
و يملأ السهول
بالماء و الأسماك و الزهر

مع أن تلك الأبيات يتلقف الواحد الأخر، فائضاً فيه، مندفعاً بالقصيدة: كـ (النهر) الذي هو موضوعها نحو الاتساع في المعنى، والاحساس والصدى اللاحق بجرس الكلمات، وكل بيت يمثل فكرة جديدة تتصل بسابقتها، وتتسع بالرؤية والتوق؟[٢٧١]

ويختتم الناقد كلامه بتلك الاشارة: " لا ضير على الشعر الحديث من نقد خاطئ وتهجم من مجمدي الابداع العربي، ففيه من العافية ما لن ينال منه النقد والتهجم، غير إنه من المحزن أن نرى النقد الخاطى والتهجم في غير موضعه صادرين عن قلم عرف عنه في أول عهده. تجريب خاصب، ومشاركة في الكشف عن أرضنا " الجديد"[٢٧٢].

أما الناقد (ماجد السامرائي)، فيسجل رأيين متناقضين ظاهرياً. ولكنها برأي الباحث متطابقان، فقد أثنى في الموقف الاول على نازك الشاعرة التي " تشير الاعجاب عندما ندرسها في شعرها، وفي فكرها الشعري، ذلك الفكر الذي سنراه بداية فكراً مؤسساً على مجموعة من الإعتراضات شكلت وتشكل الاساس المحكم للعملية الشعرية عندها الى الحد الذي لا يمكننا معه فهمها، شاعرةً وموقفاً شعرياً، الا بالنظر اليها في هذا السياقين معاً: (سياق الشعر، وسياق الفكر الشعري)..."[٢٧٣]

وحين يتصدى لمناقشة طروحاتها اللاحقة في مرحلة تالية ينحي عليها بما أسماه " تدمير الذات الاولى" فيقول: الا اننا نراها في مرحلة تالية، وهي تعمل على تدمير تلك" الذات الاولى" بمحو العديد

---

[٢٧١] الجبرا، ابراهيم جبرا، الرحلة الثامنة، مصدر سبق ذكره، ص١١، ١٠، ١٢.

[٢٧٢] المصدر نفسه، ص١٥.

[٢٧٣] الملائكة، نازك، الكتاب الذهبي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.

من موجباتها حتى لتوحي بعض كتاباتها المتأخرة بما نستشف منه ادانتها تلك المرحلة بشئ من الزيف، وخصوصاً حين تركز في كلامها على المحدادت الفكرية في إثارتها بعض القضايا الشمولية الخاصة بالشعر، وعزل أو تنحية ذلك " الموقف الخاص" بها عن سواه من المواقف الشعرية التي أكدها عن جدارة بعض شعراء الحداثة، وسنرى التراجع يستمر في شعرها كما في موقفها من الشعر لترى في العودة الى " القاعدة" أو مجموعة القواعد التقليدية. ما يعبر عنها عن " الحقيقة" التي ستدعو الى التزامها، والاخذ بما تنص عليه، حتى ليبدو لنا: أن هناك إختلالاً في معنى كلمة " تقدم" عندها، وبعملها ذلك يبدو: أنها كانت " تتقدم نحو" " نهاية محتومة" وأن لم تكن النهاية التي تنجز معها " الشكل الاخير" أو صيغة التطور المرتقب لذلك " التقدم" وإنما هي النهاية التي قطعت فيها كل طريق للتقدم على نفسها وسواها، مذكرة بذلك الكثير مما كان لها في بدايتها على صعيد المنجز الشعري.

إن لنص نازك الشعري والنقدي / التنظيري على السواء، والذي يمثل تلك المسافة الواقعة بين تشكل البدايات الاولى لحركة الشعر الجديد، والبناء عليها من جانب، ومن جانب أخر: التطور الذي تحقق لتلك الحركة، أو الذي حققته الحركة بأثر من تفاعلها مع محيطها الثقافي أخذة بالشروط الملازمة للإبداع جوهراً وتكويناً، لذلك نرى نازك في جزء كبير من عملها النقدي والتنظيري تعمل على إتجاهين يتلازمان عندها، وهما:

١. محاولة حجب او التهوين من شأن التجديد الخارج على تلك " البدايات" بإنكارها على شعرائه الكثير مما تحقق لهم، والعمل من جانبها على ربط" الجديد" بمفهومات أنظمة وقوانين شعرية وتجاوزتها حركة الحداثة.[٢٧٤]

٢. وحجب نفسها عن كل تطور يمتلك وقائعيته، او يطرح أمكان التفكير يتجاوز تلك " البدايات" فقد أضحت مع كل اقرار بـ (العلاقات القديمة) التي قالت في البداية: يتجاوزها، وضد كل فتح لعلاقة جديدة في الفكر أو النص الشعري.

في ضوء ما تقدم نستطيع القول: إن كتابها النقدى/ التنظيري الاول: " قضايا الشعر المعاصر" لم يكن كتاباً من أجل مستقبل القصيدة العربية الجديدة، وإنما هو بحكم ما وضعت فيه من " شروط"، وقالت به، ودعت الى التزامه من " القوانين" و " مددات" في الكتابة الشعرية، كان أن جاء في صيغته تلك الايقاف نمو تلك القصيدة، ولجم تطورها في أكثر من مستوى ذلك أنه. على الاهمية البالغة لبعض موضوعاته وفصوله. وجاء تعييناً للموقف الشعري العربي الحديث في مستويين، هما:

- المستوى الذي تمثله الشاعرة في فكرها النقدي وإنجازها الشعري. مع بعض الاستثناءات الشعرية المتقدمة في موقفها النقدي اللاحق.

---

[٢٧٤] المصدر السابق، ص ٩٣ – ص٩٢.

- والمستوى الذي تمثله حركة الشعر الجديد (او حركة الحداثة) في ما تبلور لها واقعاً من موقف نقدي، وما كان لشعرائها من منجز شعري[٢٧٥].

لقد أضطر الباحث الى نقل ذلك التحليل المطول لاهمية في رصد ما عرف عن نازك الناقدة من إرتدادها عن طروحاتها الاولى، وهي تتنكر لبداياتها في التنظير لحركة شعرية جديدة تعبر عن روح العصر، وتنقل الشعر العربي الى مستويات وآفاق حداثية لابد من إرتيادها على وفق سنة التطور في مناحي الحياة كافة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا تراجعت نازك الناقدة عن آرائها الاولى؟ هل أنها نظرت لنفسها، ومنعت على الاخرين الاخذ بها، وكتابة الشعر على وفق مقتضاها ؟ ربما.... أو هل إنها فزعت من أولئك (المتشاعرين) الذي ركبوا الموجة الجديدة، فأساءوا اليها؟ هنا نقول: ربما ذلك أيضاً ولكن حقيقة الامر في الحالين هي: أن نازك الناقدة سجلت على نفسها تلك المأخذ، ووضعتها في دائرة ضيقة من الانانية والاثرة لا يليقان بشاعرة كبيرة، وناقدة كبيرة مثلها.

أما الناقد (عبد الجبار داود البصري) فيرى " أن نظرية الشعر عند نازك تطورت تطوراً يشبه المحو"، الاستجابة لبعض الضغوط وتعديل نصوص البيان الاول.

فالتعديل الاول: حاجة الشعر الحر الى قيود تحقق الاتزان وتحفظه من المزالق وأن القاعدة الذهبية (اللاقاعدة) أصبحت حرية خطرة وكأن " الشاعر غير ملزم بإتباع طول معين لأشطره، وهو كذلك غير ملزم بالحفاظ على خطة ثابتة في القافية... وهو في نشوة الحرية " ينسى حتى مالا ينبغي الا ينساه من قواعد وكأنه يريد الحرية كلها أولا... وهكذا تطلق الشاعر حتى من قيود الاتزان ووحدة القصيدة وأحكام هيكلها وربط معانيها فتتحول الحرية الى فوظى كاملة"

والتعديل الثاني: فيحدده الناقد في: " قصر الحركة على الناحية العروضية" في حين أكد بيانها الأول على: أن حركة الشعر الحر كانت بمثابة تطويراً للغة، ورحلة للداخل بعد ان ظل الشاعر العربي طويلاً معنياً بالمظاهر الخارجية.

والتعديل الثالث: ما أكدته الناقد من: " أن الشعر الحر ليس بديلاً عن الشعر العمودي، وإنما هو اضافة وإثراء للعروض العربي، في حين كانت تدعوا الى إبتداع اسلوب جديد تضعه الى جوار الاسلوب القديم".

---

[٢٧٥] المصدر نفسه، ص٩٤.

التعديل الرابع: فيتمثل في تنكرها لما قامت به من مهاجمة الجامدين، وسخريتها من إدعائهم الغيرة على اللغة، والحرص على التقاليد الشعرية الموروثة، ثم نكصت عند ذلك، وحبذت المحافظة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) خاصة فيما يتصل باللغة والتقاليد الشعري[٢٧٦]

ونحن نرى أن ماخذ الناقد (عبد الجبار داود البصري) على نازك الناقدة هي مأخذ موضوعية ذلك أن بدايات (التجديد) لديها أتسمت بـ (المرونة)، والدعوة الى التحرر من قيود الشعر العربي، والانفتاح على الادب الاوربي)، وفي حين كان تراجعها عن ذلك في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) تراجعاً مخيفاً، ومحواً حقيقياً لنظريتها الشعرية، ولا يشفع لها ما ذكرته من " أن في الامة اليوم جيلاً من الادباء والشعراء الناشئين يحسبون هدم قواعد البلاغة والنحو والعروض، مظهرا من مظاهر التجديد، ولذلك لا نراهم يعنون بمراجعة قاموس أو مرجع في القواعد، لا بل إنهم يستخفون بالناقد الذي يعاتبهم على إهمال قاعدة أو استعمال لفظة على قياس فاسد[٢٧٧]"

ونرى لا يشفع لها ذلك التنكر للمبادئ والتنظيرات الاولى، وهي سليمة ومنسجمة مع طبيعة التطور، لان إصلاح أو تقويم إعوجاج الناشئين لا يتم عبر التراجع عن المبادئ بل ينبغي أن يأخذ منحنيات توجيهية، ونصائح ادبية تكفل تقويم الاعوجاج، وتصليب أعواد هؤلاء الشعراء الذي أصبحوا الأن شعراء المستقبل وشعراء الحاضر على السواء.

وأخيراً نرى إننا في هذا الصفحات القليلة قد درسنا الشاعرة العراقية المرهفة الشعور التي تحدثت عن الخيال كثيراً في قصائدها. وكانت شاعرة الوهم والليل... شاعرة بحتث عن نفسها كثيراً فلم تجدها... وبذلك ظلت ضائعة شعرها.

فضلا عن كونها من الشعراء العراقيين الاوائل في هذا القرن الذي ضغطوا بقوة على لبنة بناء النهضة الشعرية ليس في العراق حسب بل في الوطن العربي كله.

كما أنها تمكنت من تنظير ظاهرة التطور في الشعر العربي الحديث وهذه محاولة جريئة نتمنى أن تليها محاولات أخرى من نقادنا الكبار.

ويكتفي الباحث بهذا القدر من عرض لإراء بعض النقاد الذين تناولوا بالبحث نظرية الشعر عند نازك إنسجاماً مع المنهج البحثي في التركيز والتكثيف على وفق ما تسمح به تلك الدراسة.

---

[٢٧٦] البصري، عبد الجبار داود، نازك الملائكة – الشعر النظرية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣ وما بعدها.

[٢٧٧] الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩.

المبحث الثاني: نازك الملائكة مابين الإلحاد – والتصوف

يعرف الدكتور عرفان عبد الحميد (التصوف) بأنه " معراج روحي في مقامات يستهدف غاية مخصوصة" [٢٧٨]. وكذلك يبدو (التصوف) مرحلة من مراحل التفكير في فهم حقائق الكون، وإستكناه المجهول في طريق طويل وشاق ينتهي بالإتحاد بالذات الإلهية المقدسة بعد أن كابدت ما كابدت من أنواع التفكير والمجاهدات لا بالعقل، ولكن عن طريق ما ينفثه الله في قلب العارف من نور، ومع ذلك فإن العقل كان واضحاً في ما خلفه الصوفية من آراء ومذاهب[٢٧٩].

وقد إتخذ الصوفي من التسامي أو التطهير الروحي وسيلة لبلوغ هدفه الأسمى وغايته القصوى وهي فناء الذات في المطلق، أو الاتحاد والامتزاج مع المطلق (الله) وفي حالة ذهنية لا شعورية، ولحظية خاصة يطلق عليها اساتذة التصوف بحالة (التأحد).

ولم تتم مرحلة التسامي، أو يدعى بالمعراج الروحي، الأ بمر سلسلة من المعاناة والمجاهدة والمكابدة الوجد على لغة الصوفية، وتتمثل هذه السلسلة عندهم بما يعرف بـ(المقامات والاحوال). والصوفي في رحلته صوب المعرفة الإلهية، والحقيقة يعيش تأملة الباطني لحظات أزلية.. لحظات لا نهائية، لا زمنية، هي لحظات الفيض الرباني، إذ تشرق عندها حقيقة الوجود ناصعةً، وما الإشراف، أو التجلي والإنكشاف الذي ينشده الصوفي الأ ظهور الانوار العقلية ولمعانيها وفيضانها بالإشراقات على النفس عند تجديدها[٢٨٠].

والتصوف المعاصر. إذ جازت التسمية. وإن لم يكن دينياً، يظل في جوهره إعراضاً عن اللذة، وإنعطافاً نحو سلام روحي مفقود، وثمة تصوف عقلي غلب عليه الطابع الفلسفي: كالذي نراه عند الفارابي في (نظريته عن السعادة). وبصورة أوضح عند أبن سينا في (فلسفته الإشراقية) [٢٨١].

وكان لكل شاعر تصوفه الخاص على إنهم جميعاً تقاسموا ملامح ذلك التصوف من: (حزن وإحساس بالغربة والضياع، أرتياح للعالم الروحاني، وفزع نحو الحلولية الكونية، والرغبة في الإتحاد بالرموز الفادية)..."[٢٨٢]

---

[٢٧٨] الحميد، عرفان عبد، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٢٥.

[٢٧٩] المحمود، لؤي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥

[٢٨٠] نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، المصدر السابق، ص ١٢٧.

[٢٨١] المحمود، لؤي شهاب، المصدر السابق، ص٦٦.

[٢٨٢] الجعفر، محمد راضي، الرؤى الصوفية في الشعر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٢، ص٣٣ .

وليس خافياً إن أستلهام التراث الصوفي كان. ويظل احد هواجس شعراء الحداثة، مثل: البياتي، وصلاح عبد الصبور، والدكتورة عاتكة الخزرجي، ونازك الملائكة، وسواهم من الشعراء العرب[٢٨٣]

وعرفت نازك كما ذكرناه سابقاً بثقافة واسعة كان للبيت والاسرة الاثر الكبير في تحصيلها ثم كان جهدها الذاتي بالتزود من ينابيع الرومانسية، وانكبابها على قراءة التراث الفلسفي الذي قربها من الفيلسوف الألماني المتشائم (شو بنهاور)، ولأنها عانت مصادرة الحرية، ومن ثم أعتزلت المجتمع ولاذت بإغتراب روحي، [٢٨٤] وأن لعل سبب حزن الشاعرة هو خوفها من الموت، وأما الخيبة في الحياة وتحقيق حلم الحب بوجه خاص فقد طبعتها بطابع الحزن واليأس[٢٨٥]، هذا كله وضعها قبالة أسئلة الوجود الصعبة عن الحياة والموت والمصير وأوقعها في " الالحاد والتشكك الفظيع" ما بين الاعوام (١٩٤٨ – ١٩٥٥) [٢٨٦].

بداية كانت شاعرتنا تؤمن بقول " شوبنهاور ": "لست أدري لماذا نرفع الستار عن حياة جديدة كلما اسدل الستار عن هزيمة وموت، حتام نصبر على هذا الألم الذي لا ينتهي"[٢٨٧]

ونرى قمة تشاؤمها حين لا ترى في الوجود غير ظلام لا يشرق فيه صباح، وكان الإنسان حينما هبط الى الارض في ظلام تكتنفه الهموم الكآبة، يقتات الحزن ويشرب الدموع[٢٨٨].

وترى نازك أن سر شقاء البشرية، هي خطيئة أدم معصية "الله سبحانه وتعالى" وتسخر من عبثية الحياة، وتسلم أمرها الى الحياة، هي نبع الاثام، نتيجة لما زرعه ادم وحصدته الإنسانية، وتضيق بها الدنيا بما رحبت إذ لا مفر من الألام، لكنها في قرارة نفسها موقنة بإستحقاق في هذا العذاب، لأن الانسان اطاع الشيطان فهبط من عالم الخلد وعالم المثل الى ارض الواقع في حمأة الشر والرذيلة" فلا مناص من الإقرار بان الانسان في هذا الوجود لعبة في يد القدر يتلهى بها، وسجين في قيود الزمن، لا امل له في الفكاك والإنطلاق من الاسر"[٢٨٩].

---

[٢٨٣] الكيلاني، قمر، في التصوف الإسلامي، مفهومه وتطوره وأعلامه، دار مجلة شعر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٢.

[٢٨٤] الملائكة، نازك، لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

[٢٨٥] الصدام، ازهار فنجان، مصدر سبق ذكره، ص٤٣.

[٢٨٦] الملائكة، نازك، لمحات من حياتي وثقافتي، المصدر السابق.

[٢٨٧] ديوانها (مأساة الحياة): ٦/١.

[٢٨٨] الهدارة، محمد مصطفى، (دراسات في الشعر والشاعرة)، الإنسان في شعر نازك، مصدر سبق ذكره، ص١١٥.

[٢٨٩] المصدر نفسه، ص١٥٨.

فضلاً عن أسباب أخرى تستعمل بالتأثيرات الثقافية وقراءاتها للفلسفات المادية وإنقطاعها عن المثل الشرقية بقيمها الروحية وأفكارها الدينية، وإتصالها بالفكر العالمي القائم على الاستدلال المنطقي المادي، والنزوع الى مثالية فلاطونية لا حدود لها.

وكان موقفها الإلحادي كان نتيجة لإقبالها الشديد على قراءة الأدب الغربي، لذلك رفضت فصل الدين عن الحياة، كما يفعل الغربيون، ورأت فيه معنى شيئاً يصيب حياتنا العقلية الحديثة بالإنحراف، ويؤدي ذلك فصل العروبة عن تراثها وحضارتها[٢٩٠].

إن مرحلة الإلحاد التي عاشتها شاعرتنا أنشأت في اعماقها فراغاً رهيباً دام عقداً من الزمن، وما كان لهذا الفراغ ليتعاظم لو انها بحثت عن طمأنينة الروح في عالم السماء، ولعلنا نجد في قولها ما يؤكد ذلك: " لم أكن إذ ذاك اقرأ القرآن او أهتم به"[٢٩١]. وما قصيدتها " وكان القرائين الصغيرة" الا رمزاً لضياع الإيمان من النفس فتقول:

ضاع مني مندلي

ضاع، لا القرآن، لا، الأشذاء لي

ما الذي بعد عطوري، وقرائيني تبقى[٢٩٢]

ولكن، ما حدث معها، هو اتساع دائرة الفراغ. المفضي الى الإغتراب الذي لم تستطع أن تملأه الا بعد أن انتهت الى الايمان بالله إيماناً كاملاً في العام ١٩٥٧ فزهدت الدنيا وأعتزلت الناس، والإغتراب بهذا المعنى اسلامي بحت، ، حث عليه الدين وأخذ به النبي محمد (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) وكثير من أصحابه (رضي الله عنهم)[٢٩٣].

ولنازك الملائكة قصة مع القرآن الكريم، ذلك أنها كانت لا تؤمن بأياته وقد أعترفت بالحادها مدة من الزمن، وما أن تدبرت آياته المباركة حتى انبهرت بنظمه وبأسلوبه، تقول " لقد أنقذني القرآن الكريم من الإلحاد، وكان ذلك في العام ١٩٥٥. فقبل هذا العام كنت ملحدة لا أومن بوجود الله، وأعتقد أن القرآن من إنشاء الرسول (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم). وفي هذا العام كنت في الولايات المتحدة للدراسة، فدعتني إحدى الجمعيات النسائية الامريكية الى القاء بحث عن المرأة في الوطن العربي، وكنت لا أكاد أعرف من القرآن الا ما درسته في المدرسة. والجأني البحث المذكور الى القرآن بحثاً

---

[٢٩٠] الصدام، ازهار فنجان، المصدر السابق، ص ٣٦.

[٢٩١] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة الناقدة، بغداد، ١٩٨٧، ص٤٠.

[٢٩٢] ديوانها (يغير الوانها البحر): ٨٣.

[٢٩٣] الخليفة، فتح الله، الإغتراب في الاسلام، مجلة عالم الفكر، العدد (١)، ١٩٧٩، ص٨٨.

عن الايات المتعلقة بالمرأة[٢٩٤]، وما كدت اراجع مكتبة جامعة " وسكونس" التي كنت أدرس فيها حتى عثرت على رف كامل من نسخ القرآن، وانغمست في قراءته، فإذا هو يبهرني بهراً كاملاً. لاح لي أن هذا الكلام يبلغ من الجمال والتعبيرية مبلغاً لا يمكن لبشر أن يصل اليه. وثبت عندي أن هذا الكلام هو كلام الله. كان في الايات نور احسسته بكياني كله، وتضيف: " وكانت هذه المناسبة سبباً مباشراً للإيمان الكامل الذي تم في حياتي في العام ١٩٥٧، وعندما بدأت اصلي. والإيمان بالله غير حياتي من حال الى حال. فقد كنت حزينة فأصبحت فرحة مطمئنة متوكلة على الله في أموري كلها، وزال عني التشاؤم والألم، وكل الفضل في هذا للقرآن العظيم". وبعد هذا التشاؤم والخوف من الموت إنقلبت حياتها لنعيش حلاوة والإيمان بالله وقضائه وقدره وهي الخائفة من الموت، تنعم بالإيمان وتعيش الامل، وتتلذذ بالعبادات والإنقطاع الى الله تبارك وتعالى يتضح من هيامها وولعها بالآية المباركة[٢٩٥]: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[٢٩٦].

وتبدأ الشاعرة مرحلة جديدة هي الإنقطاع الى الله، حيث ان نازك في حبها الإلهي (رابعة) أخرى تناجي في محرابها القصي عن العالم محبوبها ضارعة اليه: أن ينبت على كلماتها " جناحاً" ويرش على أغنياتها " صباحاً" ويسرح لها " رياحاً "[٢٩٧] فهو مليكها الذي تلتمس عندن الذفئ، وتلوذ به هرباً من صقيع الإغتراب. حيث تقول الشاعرة:

يحاول لحني أن يتدفق بين يديك

مليكي فتخبو بروقي لديك

ويبهرني وجهك الملكي

ويصمت شدوى انغلاق وعي

ويفلت مني لجام القصيدة

فولادة القصيدة هنا تجري ضمن طقس التصوف، وفي رحم تجربته: فحين تنبهر بالوجه الملكي، يفلت منها لجام القصيدة، وهي حالة اشبه بـ(السكر الصوفي) تغشي قلب الشاعرة عن صفاته، ويغرق في غيبوية روحية، وهكذا تقول الشاعرة

تطير القوافي بعيداً وتنثر عبر الدجى شعرها المهملا

---

[٢٩٤] الزيدي، جبار اهليل، بحث بعنوان اثر القران الكريم في شعر نازك الملائكة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٥، ص١٨.

[٢٩٥] المصدر السابق، ص١٩.

[٢٩٦] سورة الانعام: الاية ١٦١ – ١٦٢.

[٢٩٧] ديوانها، (يغير الوانه البحر)، قصيدة (ميلاد نهر البنفسج)، ص١٠٨.

وتضحك مني، تطفر ترفض أن تنزلا

وتهمس نازك بأسم المحبوب، فتقول في ذلك: [٢٩٨]

وأهمس: الله أكبر

ويثمر غصن السكون، ووجه الدجى يتغير

ويمطر نجم

وفي شفتي يتفتق بيدر

ووجه القصيدة، يقبل، مشتعلاً، يتكسر

شعاعاً، شعاعاً، يرطب روحيط

ويلثم كل جروحي

****

إذن هكذا؟ حين أهمس بإسمك

يفتح كنز المعاني الوليدة

وتنمو على شفتي القصيدة

هنا نرى شاعرتنا المتصوفة تستجمع شعاع وعيها بعد هدؤ الوارد القوي الذي غشيها فتنبثق القصيدة، كما تنبثق المعرفة عند الصوفية بعد السكر، وهنا تكون الشاعرة في حالة ولادة شعرية ذات طبيعة خاصة، معرفة صوفية ذوقية [٢٩٩].

وتستمر نازك في قصيدتها لتؤكد وهي تبحث عن الذات الإلهية بأنها وجدته قريباً وفي كل الاديان السماوية نلمس رحمته بنا:

وجدتك ماثلاً في ضلع أغنية

وفي حزن الدياجير الخريفية

وجدتك تحت جرح الوسدة العطشى

وجدتك في التراتيل المسائية

وتبني تحت استار الدجى عطشاً

لمقبرة مروعة وقمرية

للأجئة مشردة وأضلعها على الاحزان مطوية

لقافلة مهاجرة عن الاوطان منفية

وجدتك ترسل المطر

---

[٢٩٨] المصدر نفسه، ص١١٣ – ص١١٤.

[٢٩٩] المصدر السابق، ص١٠٩.

ترش بباب أرض غير مسقيه

وترويها بأكواب سمادية

تعلق في سماء وجودنا قمراً

وتهديه الى ليلة أحزان ضبابية

وتمنحه الى بيارة ظمأى

حشانشها من الامطار منسيه[٣٠٠]

وما بين اسرار الطبيعة ومشاهدها وألوان الخير والعطاء والبحر والليل والنهار وعطش الورد والقافلة المهاجرة، ترسم نازك صوراً لشعورها بالغربة وإحساسها بالوحدة وهي خارج وطنها، فما بين البحث عن الحبيب والحنين الى الوطن قررت نازك الهجرة الى ذات الحب الإلهي والذوبان فيه.

وكان ليل نازك الملائكة هذا الزمن المترامي الابعاد، ملاذاً للشاعرة المتوحدة في غربتها وإغترابها، وكانت قصيدتها اللامعة (سنابل النار) رمزاً لتوهج الروح الصوفية الشاعرة التي أحبت مليكها، وأرتقت عبر رحلة مضنية لترى مرايا الوجود من خلال إقترانها بدوائر التي جعلت منها رمزاً للعنصر الذي يأكل كل ما يقبل الفساد، فيخلص النفس من أدران الجسد، ويحرر الروح من المادة كما أنها العنصر الذي ينطوي على معنى التجدد الدائم والخصب والمعرفة، ولذلك فالسفر فيها (النار) إخصاب وتحول تعرف وكشف وإبداع[٣٠١].

من النيران تبدأ رحلتي

تنشق لي طرق

وتخطف روحي الأسفار

ففي أغصاني النشوى يكاد يسيل تسغ النار[٣٠٢]

وتنطوي رمزية الرحلة الصوفية في هذه الأسفار النارية، على ثلاثة طرق متعاقبة، او ثلاث دوائر نارية متتابعة، ترقاها النفس من الاطيق الى الارحب، ومن الادنى الى الاعلى، فإذا وصلت النفس الى غايتها اتصلت، وإذا أتصلت بالكلية عن كليتها انفصلت، كما قال المتصوفة قديماً، وتمثل طريقة المجاهدة الاولى هوى الشاعرة الحس الترابي:[٣٠٣]

حب انسان من الناس

---

[٣٠٠] الاعمال الشعرية الكاملة، للصلاة والثورة، ج٢، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

[٣٠١] الملائكة، نازك، الانسانة، الشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص ٥١٣.

[٣٠٢] ديوانها، " يغير الوانه البحر"، ص٥١٣

[٣٠٣] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، ج١، مصدر سبق ذكره، ص ١٩ – ٢٠.

هواه كوكب في مقلتي، في شعري طوق من الأس[٣٠٤]

والدائرة الثانية هي الوسطى، حب الارض، والوطن، والامة، وكانت الشاعرة صادقة في حسها القومي:

إن حب الارض شكيلة موسيقى ولين
نهر إيقاع وأجراس حنين
وأنا في مرحبها عصفور بيدر[٣٠٥]

والدائرة الثالثة العليا هي دائرة المليك، الحبيب الاولى والاخر

انني اصعد بالنار الى ذروة آفاق حنيني
إنني أنبذ شكى وفتوني
والى الشمس، الى اعلى الذرى
يمتد جذعي وغصوني
حيث القى في المدى وجه مليكي
كبياض الثلج
كالأنجم
كالفل الاقية مليكي[٣٠٦]

المهم أن الشاعرة وصلت الى هذه الدائرة الأخيرة بعد مجاهدة، وبهذا تكون قد أتصلت ومن هنا ينتهي السفر، وتصل المجاهدة الى غايتها الاخيرة، بالصعود صوب وجه المليك إذ تقول الشاعرة فيه

يا نار أهدميني
ثم ضوغيني كياناً ثانياً وأبني حبيبي
واملأي من ألف الارض شفاهي وعيوني
طهريني اغسليني
وأحمليني عبر أماد الدياجير أحمليني
الى دائرتي الثالثة العليا أنقليني
****
حيث القى في المدى وجه مليكي

---

(٣٠٤) ديوانها " يغير الوانه البحر"، ص١٢١.

(٣٠٥) المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٣٠٦) المصدر السابق، ص١٢٩.

فتسامت نازك عن الصفات البشرية، حيث اللاوحشة إذ " ليس في غربة أهل الله ورسوله وحشةً، بل هم أنس العباد إذا استوحش الناس"[٣٠٧].

ثم تخطو طريق التصوف بخطوات واثقة، فتعبر عن توقها للتحرر من قيد الجسد لتلاقي حبيبها ومليكها بمناجاة حالمة، في قصيدة " إختلاجات نحو القمة البيضاء" إذ تقول:

آه يا مليكي، آه يا ربي
إن قيدي عار
وجمودي إنتحار
ودمعي صامت، والتقاطي معطل
آه لو أتحلل
من قيودي لكي أتذوق ضوئك
ونسمك مخمل
فمتى سوف أرحل؟
لضفافك ؟ كيف أذيب قيودي[٣٠٨]

وعندما تصل الشاعرة المتصوفة عبر مجاهدتها المضنية الى مرحلة التأحد أو الإمتزاج بالروح الإلهية حينئذ تعيش عالم الغيب الذي يجمع ما تبعد من أشتاتها، وفي نشوة الإلهية[٣٠٩] تفتقد حسها الارضي وتصبح جزءاً من الذات الإلهية التي تجعلها في الإغتراب المطلق عن كل القيود الجسدية والنفسية والفكرية وكذلك القيود المكانية والزمانية:

هوى ملكي يلملم كل أشتاتي ويجمعني
إلى أعلى وراء مدى لهيب النار
أغيب لا أبصر حتى النار
ولا أتذكر الأشعار
أخوّض في بريق نهار
ويهبط حول وعيي، حول إحساسي بياض ستار
وأفقد عالمي، نفسي، شعوري عبر غابات من الأقمار
وتخبو، لا أراها

---

[٣٠٧] المصدر نفسه.

[٣٠٨] ديوانها (للصلاة والثورة): ص ١٤٧ – ١٤٨.

[٣٠٩] الخليفة، فتح الله، الإغتراب في الاسلام، مصدر سبق ذكره، ص٩٥.

تنطوي، تذوي، تغيب النار[٣١٠]

إن الشعور بالضياع وهو أثر مهم من آثار مواقف الحزن كان قد سيطر على نازك سيطرة شديدة، ولم تستطع أن تتخلص من اساره الا حينما كانت تلوذ الى الله ونلجأ اليه، وكان يبدو وكأنه البلسم الذي يشفيها من جراح الضياع، ولقد بدأت هذه الظاهرة في كثير من المواقف التي كان الشعور بالضياع يسيطر عليها، وحتى إذا ما شعرت بالضيق منه واحست بثقله، لجأت الى الله وتطلعت حينها الى رحمة الله بعدما كانت قبل هذه تعيش مرحلة التشكك والإلحاد[٣١١]. وتقول:

يا ضياعي وعقم وجودي

بين تهويمتي وصليل قيودي

وتتقاذف روحي رياح جمودي

****

تتقطع اوتار عودي

وألم حطام نشيدي

وأضع حدودي[٣١٢]

وإذا كانت قصائد " زنابق صوفية للرسول" و " الماء والبارود" و " ميلاد نهر البنفسج"، ثم " دكان القرائين الصغيرة"، قد حققت مستوى طيباً في تجربة الإغتراب الصوفي، وحققت نازك هذا الألق الشعري المتصاعد، وفي حالة حبها الإلهي، نجد تدريجاً تصاعدياً في معارج الخيال الأوسع، ورصداً للحركات اللامحسوسة، علماً تصل بذلك الى طريق الخلاص من قبضة الإغتراب[٣١٣].

وتشكل المعطيات الصوفية بعداً فكرياً حاولت توظيفه من نصها الشعري[٣١٤]، فقد حاولت أن تجعل من شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، رمزاً للحب الصوفي، وما يحمل هذا الحب من معطيات التصوف. ابعاده الفكرية. كالحقيقة المحمدية، والإتحاد والحلول، ووحدة الوجود، وذلك في قصيدتها (زنابق صوفية للرسول). التي تشعر عند قراءتها على الفور، بما يشبه جذبة الوجدان الصوفي. إذ تصرح في بداية القصيدة إنها " قصيد حب للرسول الكريم في صيغة معاصرة"،

---

[٣١٠] ديوانها (يغير الوانه البحر)، ص١٩٩.

[٣١١] المهنا، أحمد عبد الله، دراسة في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤.

[٣١٢] ديوانها " للصلاة والثورة"، ص ١٤٥ – ١٤٧.

[٣١٣] الايوبي، ياسين فصول في نقد الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٨٩، ص ٣٢٠.

[٣١٤] الرديني، رائد فوزي، القيم الاسلامية في الشعر العراقي الحديث (١٩٤٥ – ١٩٨٠)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٢، ص٤٩

ووصفها لهذه القصيدة بأنها (في صيغة معاصرة) يؤدي " دوراً بارزاً في جعل النص يتقبل إدخالها هموم الشاعرة على المستوى الذاتي أو الموضوعي"[٣١٥]، تبدأ قصيدتها بوصف البحر، محاولة الولوج الى حقيقة الحب الصوفي للذات المحمدية، إذ تقول:

البحر اغماء لحن حبٍ، البحر زرقه

البحر طفل مسترسل الشعر،

للضحى فوق مقلتيه إنكسارة[٣١٦]

إن انفتاح القصيدة على البحر، يشكل بعداً صوفياً، يعزز ويؤكد المنطق الفكري للنص، إن هذا الإنفتاح على البحر. الذي يزخر بالحب والجمال والحياة. إنما هو إيماءه الى قوله تعالى:ﭐ□□□□□ □□□□□ لجلحلخلملهمجمحمخممنجّ [الكهف: ١٠٩].

وكذلك تقدم شاعرتنا " زنابق صوفية للرسول"، وتكتب تصوراً للرسول في صيغة معاصرة، بعيدة عن كل ماعرف بأسم البردة ونهجها، فالرسول طائر حط قربها، وأمتص قلبها، وكان بينهما حوار، ليس مثله حوار، وليس مثله طائر.

وطارت الطير في الصباح

ولم يطر أحمد، ظل قربي

وظللتنا سحبٌ مبقعةٌ بالضياء

كنا نغني

للحب، للبحر، للسماء

تكسرت في غنائنا الشمس والمرافي واللانهاية

والمد جاء

يلثم أقدامنا، يتكسرُ

أحمد، أحمد

---

(٣١٥) التميمي، ساجدة عبدالكريم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٩

(٣١٦) ديوانها (يغير الوانه البحر): ص ٥٢ – ٥٣، من قصيدة " زنابق صوفية للرسول".

نحن أنا وأنت والإعالي

والله في روحنا غناء[٣١٧]

إن (أحمد) هنا هو محمد (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) بنقائه وعذوبته، فهو الطير والمعبر الى الله سبحانه تعالى، وهو الواسطة التي تربط ما بين الارض والسماء، ذلك لأن " الحقيقة المحمدية تمثل وسيطاً روحياً بين الله والعالم من جهة، وبين الله والإنسان من جهة اخرى"[٣١٨].

كما حققت قصائد " زنابق صوفية للرسول، والماء والبارود، وميلاد نهر البنفسج، ودكان القرائين الصغير"، مستوى طيباً في تجربة الإغتراب الصوفي، وحققت لنازك هذا الالق الشعري المتصاعد. حيث تقول في قصيدة (كان القرائين الصغيرة):

وأذن ماذا سأهدي لحبيبي

في غد حين يسافر

****

وحبيبي سيغادر

دون قرآن هدية

غفة تلمس خديه كما يلمس عصفور مهاجر

جبهة الافق برشات غناء عسلية[٣١٩]

وكما كانت معرفة الله سبحانه وتعالى عند نازك سبباً في تحديد المواقف وتوجيه المشاعر فإنها فتحت أمامها طريقاً جديداً للتعامل مع الطبيعة، فقد كان وقوفها على مظاهرها في مرحلة الحزن يعكس ما في نفسها من مشاعر الاسى والآلم والحزن، أما في مرحلة التفاؤل فقد إرتبط بمشاعر الأمال العريضة والحياة المشرقة والحب العميق، ويمكننا أن تقول أن التفاؤل قد عمق إحساسها الجميل

---

[٣١٧] ديوانها (يغير الوانه البحر)، ص ٥٢ – ٧٣.

[٣١٨] الزيد، نصر حامد، الرمز الديني في الشعر العراقي المعاصر، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠٠٠، ص٣٥٩. نقلا عن: التميمي، ساجدة عبد الكريم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١.

[٣١٩] ديوانها " يغير الوانه البحر": ص٩٢ – ٩٣.

بالطبيعة وطبع في نفسها الشعور بالراحة، وخاصة في مواقف الوجد الروحي كما تعكسه هذه الابيات التي عبرت فيها عن حبها للرسول الكريم:

البحر اغماء لحن حبٍ، البحر زرقة

البحر طفل مسترسل الشعر،

البحر تلهو عرائس الماء في ترامیه الف جوقة

وجه حبيبي: زنابق، اكؤس، مياهُ

وجه حبيبي، يا بركة الصحو والوضاءةِ

وجه حبيبي كسرهُ الموج واقتناهُ

أشعة، زورقاً، شراعاً

يحضن أفقاً ملوناً، يرتدي سماءه.

هذا هو وجه محمد صلوات الله عليه، وقد إقترن بالزنابق والمياه والموج والأشعة والزورق والشراع، والافق الملون والسماء، كما أصبح أسمه الكريم مرتبطاً بالعطور والأقحوان والزعفران والشذر:

أحمد كانت عيناه بحراً

تسقى بباب الوجود كانت تنشر عطراً

تنبت في الصخر مرج شذر وأقحوان

تسيل نهراً

من زعفران[٣٢٠]

---

[٣٢٠] المصدر السابق، ص ٥٨.

فإنها قد تحولت الشاعرة في مرحلة التفاؤل الى فصل الربيع لأنه يمنحها بعداً نفسياً يجسد عالمها الجديد، ونظرتها المتغيرة الى الروح والحب والحياة. وإنطلاقاً من هذه النظرة، فقد إقترن حبها للرسول الكريم بهذا الفصل ومظاهره الرقيقة:

أحمد يا صافيا مثل أمطار آذار

يا ثلج أول الموسم الرحيم

مثل رفيق الأهداب في اعين النجوم

وتحولت صورة الليل الحالك الطويل الضجر، فإتخذت عندها شكلاً آخر:

أنا وأحمد

سكون ليل ورجع تسبيحه تستنهد

يحبنا البحر والهدير

أنا وأحمد

يحبنا الليل يسهر[٣٢١]

أحبت الشاعرة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم)، وأرتبطت به لتصل من خلال هذا الإتحاد الى شاطئ الأبدية، والأمان الى الله تعالى، بعدها عادت الى الكون، فرأت أنه كله محمد، فهي ترى كل شئ من خلاله، وهذه الرؤيا الحلمية، تدل على أن محمداً (صلى الله عليه واله وصحبة وسلم) أصبح نهاية الاحلام التي تبحث عنها، والتي ستوصلها الى الشاطئ، الذي تبحث عنه بعيداً عن الموت والقلق والشك القاتل والحيرة التي أرادت الخروج منها[٣٢٢].

إن الشاعرة تحاول أن تعتمد معجماً يضم مجموعة من الكلمات التي توحي بدلالات صوفية، مثل(مليكي، القرآن، النار، الجنة، العابد، المعبد، قيثارة الله، صوفية الغيوم)، إذ ان من شأن هذه

---

[٣٢١] المصدر السابق، ص ٦٤ – ٦٨.

[٣٢٢] التميمي، ساجدة عبد الكريم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

المفردات أن توجه النص الى دلالة صوفية، مكونة بينة النص التي تعبر رؤية الشاعرة تجاه الوجود[٣٢٣] ويجب أن لا يفوتنا إنها لا تعني ما تعنية المتصوفة. بالفاضها تلك. لانها ليست متصوفة بالمعنى الدقيق للتصوف، غير أنها حبها الشديد للخالق ومناجاتها له في الليل، وراء هذا اللون من المعجم الشعري الذي تزخر به دواوينها. ولاشك " إن هذا التيار الذي سحبت فيه سوف يحررها من غربتها ويطهر نفسها من شوائب الحياة"[٣٢٤].

والحق، إن عودتها الى الايمان خففت من حدة إغترابها، لكنها لم تنفه، فقد دخلت في التصوف والزهد الى حد ما فـ " الزاهد والمتصوف غريب في عصره، غريب بعزلته وتفكيره، غريب بروحه التي تبغي الإنعتاق"[٣٢٥]

فبعد مرحلة الحاج وتشكك سادها القلق والخوف والحزن، هل الإيمان محله، ليحيل ذلك الحزن الى تفاؤل وليقودها من ذلك التيه الى بر الامان. لكن ما إن تهدأ حمآة إنفعالها الصوفي حتى تعود الى تشككها وأضطرابها بها، يمكن أن تتغلب الشاعرة على هذه الحالة من خلال " العناية الالهية" فإذا فعل الانسان ذلك فإنه يقهر إغترابه، حيث معايشة الوجود الإلهي الجديد. يعني معايشة القوة الكامنة فيه، والتي قهرت غربة الوجود في ذاته، وفي ذات كل من يشارك فيه.

وكانت عزلة نازك مطلقة وهي أقرب ما تكون الى الإنطواء على الذات.كما مر بنا سابقاً. فقد كانت مستغرقة في عزلتها دون أن تجد مخرجاً او مهرباً، فما هو السبيل الى تجاوز هذا الإغتراب المسلق، يبقى ثمة " العامل الإلهي وجده الذي يستطيع أن ينتصر على العزلة"[٣٢٦].

ولا شك أن الإيمان بالله سيصلها بالمطلق الذي طالما بحثت عنه وأخطأت الطريق اليه سيضئ جوانب روحها وستجد من خلاله نوافذ جديدة للإتصال بالأخرين، على أنه سيكون عاملاً مخففاً لا

---

[٣٢٣] يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، ترجمة، د. محمد فتوح أحمد، النادي الادبي الثقافي، ط١، جدة، ١٩٩٩، ص١٧٥.

[٣٢٤] المهنا، أحمد عبد الله، (دراسات في الشعر والشاعرة)، مصدر سبق ذكره، ص٥٠٥.

[٣٢٥] الفهمي، ماهر حسن، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧٠، ص١٠٩.

[٣٢٦] بنقولاي برديائق، العزلة والمجتمع، مصدر سبق ذكره، ص١٢٠.

منقذاً، وإذا كانت فيما مضى تستعين بالشك والرفض على ارتياد المجهول ومصارعة الالام، فإنها الآن" بإسم الله تخوض صراعها مع الأخرين والدموع"[٣٢٧].

ونازك نفسها لها رأي في التصوف فتقول " تسألني عن التصوف، ولست متصوفة، إلا إذا كان حب الله العلي القدير، يكفي وحده لإعتبار المرء متصوفاً، فأنا شديدة الحب له سبحانه وتعالى، أقضي أوقاتاً طويلة في بعض الليالي أناجيه، وأمجده، وأتغنى بجماله، وروعة خلقه" [٣٢٨].

إن هدف الصوفي وغايته هو التقرب الى الله سبحانه وتعالى ومحاولة الإستغراق في العالم الاقدس، حيث يصبح الإنسان أقرب ما يكون الى انسان رباني، فالصوفي وبعد رحلته الشاقة في الحياة وبعد معاناته ومكابدته العزلة والإنكفاء على الذات والزهد في الحياة، كل ذلك من أجل العودة الى رحاب الحضرة الإلهية. والصوفي يستطيع أن يقهر حياة الغربة، حياة القلق والحيرة، فبعد رحلة إغترابية طويلة يتمكن الصوفي من قهر إغترابه، وذلك بفنائه في الله سبحانه وتعالى. إن عودتها الى الإيمان خفف من حدة إغترابها، بل نراها تخطت المحنة، وكسرت طوق هذه المتاهة بفنائها وإنقطاعها الى الله سبحانه وتعالى، وذلك ما أعاد لها توازنها النفسي والروحي.

ولم تتم مرحلة التسامي، أو ما يدعى بالمعراج الروحي، الا عبر سلسلة المعاناة والمجاهدة والمكابدة وإن قمة مرحلة التسامي الروحي من أجل التوحد والفناء بالذات الالهية هي ما يمكن أن نطلق عليه (اللازمنية الصوفية)، وتعرف عادة بـ (لحظة الاشراق الصوفي)، وهي اللحظة الإلهية التي تظل مدفونة في أعمق أعماق شاعر الصوفية لدرجة إنهم لا يحسون بها الا إحساس مبهما غامضاً واللحظة الإشراقية وكما نرى هي بمثابة نقطة تقاطع لكل من النظام الإلهي (الأزل) والنظام الطبيعي (الزمن). ومن خلال تتبعنا للسمو الروحي عند المتصوف نستطيع أن نلمس أن فكرة الزمن عند الصوفي تنحسر، بل تتلاشى وتنعدم في لحظة الإشراق الإلهي. لأن الصوفي في مرحلة التسامي، أو العروج الروحي كما أشرنا يجد أن الزمن واحد من التقييدات التي تشكل حاجزاً يحد من اتصال الذات الإنسانية بالذات الإلهية، وهذا الإتصال يتطلب كسر حواجز الوجود لبلوغ الموجود ومن أجل تحقيق هذه الغاية ينكسر الزمن الإنساني عند المتصوف يأخذ بالتلاشي.

ثم نأتي لنقول ما هو الفناء؟ هو تجربة ذاتية يفقد فيها الصوفي الشعور بالذات وبالأخرين. وبالعالم الخارجي ويغيب عن وعيه، ويفقد احساسه بجوارحه، ويكون في حال إستغراق كامل مع الله سبحانه

---

[٣٢٧] المهنا، أحمد عبد الله، " دراسات في الشعر والشاعر، مصدر سبق ذكره، ص١٢٠.

[٣٢٨] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، مصدر سبق ذكره، ص٢٠.

وتعالى، ويتضمن الفناء بعداً نفسياً بحتاً هو فقدان الإحساس وغياب والوعي كما للفناء معنى أخلاقي بحت، إذ لا تعبر كلمة الفناء عن ناحية سلبية واحدة من التجربة الصوفية، بل أن لها ناحية إيجابية، هي البقاء.

وهكذا حاولت شاعرتنا أن تسلك منهجاً تعويضياً بقدرة خيال تعويض تعبيراً عن عالم مفزع حتى استطاعت أخيراً بركوب سفينة النجاة من ذلك الإغتراب الروحي والفكري والنفسي المضني في مشوارها الطويل الممتلئ والحافل بالالام والحزن والتشاؤم والكأبة.

المبحث الثالث: النبرة الحزينة في أشعار نازك الملائكة

تعد الشاعرة نازك الملائكة أحد أعمدة الشعر العراقي أو العربي الهامة لما لها أثر كبير في تطويره كي يصبح بالشكل الحديث وما يسمى بالحر. لذا فقد دلت لفظه الحزن لديها على معانٍ عدة من خلال إستخدام الشاعرة لها في قصائدها، ولما ذكرناه في كلامنا من خلال قصائدها ومفرداتها مثل (الموت، الكآبة، الاسى، الخوف)، كلها تدل على طابع الحزن في القصيدة لديها.

وقد تجسدت هذه الظاهرة في شعر نازك الملائكة، وخير دليل على ذلك أنها تعد من أكثر الشعراء المعاصرين حديثاً. عن لفظة الحزن ومع ما يتخلل قصائدها من الحزن مشاهد حية صادقة التعبير ومن مواقف إنسانية يتجسم فيها الباعث على الحزن في قصائدها الأخرى هي في رأي النقاد ابعد في دلالاتها وأشد إلتصاقاً بالذات...والشئ نفسه يقال للشاعرة نازك فاعتيادها للحزن لا تمثل أبعاد موقفها الحزين وتساعد على ذلك القصائد الكثيرة التي كتبها الجيل الثاني من الشعراء والجيل الناشئ، فكل ما فيه من حديث عن الحزن لايجسم لنا الموقف لا غرابة إذن في أن نعتني في بحثنا هذه القصائد التي تتحدث عن الحزن حديثاً مباشراً وأن نلتمس أبعاد الموقف الحزين فيما دون ذلك من قصائدها[٣٢٩].

ولا احسب نفسي مبالغاً إن قلت إن الحزن الذي تفجره قيثارة نازك الشعرية هو دنيا من الحزن، وليس لمحة حزينة، ولا ألم مر لموقف من الوجود، وكأن هذا الحزن قدري لم يمر بعمر شاعر، والم لم يمس قيثار شاعر. أنه لم يعد كآبة حزن تمطر قصيدة في الارض الشاعرية بل أنه نهر من الحزن يعبر كل محيط الشاعرة منذ الولادة.

تعد ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة علامة متميزة ومتشظية في نصوص متنها الشعري، ولاسيما في دواوينها الخمسة الاولى، حتى إذا تصفحناها وجدنا أن نظرنا لا يقع الا على مأتم، ولا نسمع إلا أنيناً وبكاءاً، أو تفجعاً وعويلاً وحزناً وتشاؤم.[٣٣٠]

وقد ظلت هذه النظرة المتشائمة تلازمها طوال ايام صباها وظلت تعاني من إحساس يرافقها كالظل بالوحدة والعزلة والحزن، كظل هاجس الموت، الذي يعكر عليها صفو أيامها حتى أفد عليها أستمتاعها

---

[٣٢٩] الرومي، جاسم غالي، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

[٣٣٠] الدخيل، إيمان عبد، الحياة والموت في شعر نازك الملائكة، (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة، كلية الاداب، ٩٩٧، ص٩- ١١.

بأيام شبيبتها، ومن شأن الشباب أن يخلع على الحياة ثوباً ورديا مونقاً، أما نازك فقد خلع تشاؤمها المبكر على حياتها ثوباً أسود أحالها الى مأساة كئيبة[٣٣١].

والان سنتطرق الى اسباب الحزن وبواعثه في معجم نازك الملائكة الشعري.

١- الآفات التي أصابت الانسانية والأحداث الجسام في أعقاب الحرب العالمية الاولى وما خلفته من خسائر بشرية وتكالب القوى الاستعمارية ومحاولاتها لإستنزاف خيرات الامة العربية والاستبداد بشؤونها وتمزيق أوصالها، ثم كانت الحرب العالمية الثانية وما جَّرته على الانسانية من شرور وويلات وما أفرزته من قوى تدميرية هائلة تنشر الرعب والفزع والقلق وما أنطوت على نفوس الانسانية.

وقد ظلت هذه الغمامة السوداء تظلل شعر نازك وتهيمن على نفسيتها، فكانت قيثارتها لا تكاد توقع الا أنغاماً حزينة تفيض بالتشاؤم والحزن والحيرة والكآبة [٣٣٢]. وقد جعلت هذه الامور جميعا أن ينظر الفرد للحياة من حوله بمنظار سوداوي، فضلا عن كان للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تلي الحروب عادةً أثر كبير في التشاؤم[٣٣٣].

٢- العزلة والإنطوائية التي عاشتها نازك الملائكة في بداية شبابها، مما جعلها تبتعد من المشاركات الاجتماعية لتعيش في واقعها وحدها بعيداً من صخب المجتمع، فعكفت على نظم الشعر والمطالعة، إذ تقول: " عندما بلغت السادسة عشرة أصبحت أعد العزلة فضيلة الشاعر، وحرية الإنسان المفكر، ونبذت المجتمع، وأنطويت على نفسي"[٣٣٤] وأن سبب العزلة الإنطوائية، اي ان الانسان لم يصل الى أمتلاك الوجود الحقيقي الذي يحقق فيه مطامح حياته، ومعنى هذا أن شعور الانسان بأن حياته قصيرة يفرض على نفسه إحساساً بالقلق:[٣٣٥].

٣- وفاة والدتها في العام ١٩٥٣ هذه الانتكاسة المت بالشاعرة نازك الملائكة[٣٣٦] إذ هزت حياتها بعنف، فقد أحدث هذا المصاب فاجعة وصدمة كبيرة أثرت في كل جانب من جوانب حياتها، فنجدها تقول: " ابكي بكاء لا ينقطع ليلاً ونهاراً، وعلى أثر وفاة أمها تعرضت نازك الى

---

[٣٣١] مقدمة مطولة نازك الملائكة " مأساة الحياة وأغنية للأنسان"، ص١٢.

[٣٣٢] المهنا، أحمد عبد الله، دراسة في شعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٤.

[٣٣٣] التميمي، نصير تجيل داود، مصدر سبق ذكره، ص٥.

[٣٣٤] الطريفي، يوسف عطا، نازك الملائكة حياتها وشعرها، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤ – ٩٥.

[٣٣٥] الابراهيم، زكريا، تأملات وجودية، دار الاداب، بيروت، ١٩٦٢، ص٩٩.

[٣٣٦] نازك الملائكة، الموجة القلقة: ص٢٦، وكذلك ينظر: السلطاني طالب خليف جاسم، دراسات في الادب العربي الحديث، مختارات من شعره ونثره، ٢٠٠٨.

صدمة كبيرة أودت بها أن تراجع طيب أعصاب، حيث تم علاجها بالحبوب المهدئة، الا أن الحزن ظل باقياً يحفر في حياتي حتى بعدما وصل عمري الخمس واربعين عاماً من وفاة والدتي[٣٣٧]

ويبدو اننا: " لا نعاني تعاسة مطلقة لا شفاء منها مثلما نعاني حين نفقد الشخص المحبوب"[٣٣٨].

٤- العاطفة المهزومة التي عاشت فيها الشاعرة، هو أحد الاسباب التي جعلها يغلب على شعرها طابع الحزن واليأس شعورها بأنها أمراة غير جذابة وعلى قدر بسيط من الجمال ولا تملك الانوثة حتى بالقدر القليل حتى تبهر الرجال ليقتربوا اليها ولتشعر معهم بنشوى الحب وحتى عندما سافرت الى الولايات المتحدة في العام ١٩٥٠، ظلت تشكو من الوحدة والغربة والحرمان لكونها تعرف أن الرجل لا بد أن يجد ما يغريه ليقترب اليها، فغلبت شهرتها كشاعرة على شكلها فكبتت مشاعرها ومسكت القلم لتكتب برغم حريتها المطلقة إذ تتخيل عاشقاً يعاشرها فتخاطبه بشعرها ذات الإيقاع الحزين[٣٣٩].

إن خيبة الامل في فشل تجربتها العاطفية قد عمق حزنها واكتئابها فغرست في إعماق نفسها بذرة إغتراب عاطفي، ولا شك أن حالة اليأس وخيبة الامل في عواطفها هي التي صبغت شعرها بهذه المسحة الحزينة الجامدة[٣٤٠]

٥- تشاؤم الشاعرة نازك الملائكة المبكر نتيجة لتأثرها بالمذهب الرومانسي الذي تأثر به العديد من أدبائنا وشعرائنا منذ مستهل القرن العشرين والمذهب الرومانسي يعد منجماً للحزن والشجن ينفث فيه مزامير الشعراء والكتاب الحاناً شجية تشيع الاسى، وهذا ما أفصحت عنه مقدمة مطولتها " مأساة الحياة" عن تأثرها بهذا المذهب فقالت " ولقد كانت مأساة الحياة صورة واضحة من أتجاهات الرومانسية التي غلبتني في سن العشرين وما تلته من سنوات". وكانت تهتم كثيراً من خلال قراءاتها تنصب على الشعر الرومانسي الأنكليزي وكان اعجابها

---

[٣٣٧] ديوان نازك الملائكة: م١/ص٤١.

[٣٣٨] الموسوي، نصر تجيل داود، مصدر سبق ذكره، ص٦.

[٣٣٩] البيرماني، فرح غانم، دراسات في الشعر النسوي المعاصر، الفراهيدي للنشر والتوزيع، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠١٠، ص١١-١٢. وكذلك ينظر: البركات، محمد، قصائد مختارة من روائع الغزل عند الشعراء العراقيين، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٢٩ – ص١٣٠.

[٣٤٠] الملائكة نازك، الموجة القلقة، ص٤٨

واضحا بحلمة لواء هذا الشعر من أمثال كيتس وبايرون وتوماس غراي وشلي، وترجمت لهؤلاء شعراً لمجموعة من قصائدهم[٣٤١].

والى جانب تأثرها بالمذهب بالرومانسي يجب الا نغفل أثر مطالعاتها الفلسفية في إتجاهها المتشائم، وبخاصة أفكار فيلسوف التشاؤم (شوبنهاور)* إذ نلحظ سيطرة النزعة التشاؤمية على كل تفاصيل حياتها بدرجة تفوق تشاؤم شوبنهاور نفسه وبخاصة مسألة الموت، إذ تقول: " في الواقع إن تشاؤمي قد فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه وبخاصة مسألة الموت، لإنه كان يعتقد أن الموت نعيم، لأنه يختم عذاب الإنسان، أما أنا فلم تكن عندي كارثة أقسى من الموت" وتقول: " كنت أرفض مسألة فناء الإنسان أشد الرفض فأتعذب بفكرة الدود الذي سيأكلنا، والجماجم التي سنصير اليها" [٣٤٢].

٦- الإنقطاع عن المثل الشرقية بقيمها الروحية وأفكارها الدينية كانت نتيجة، ذلك سبب إطلاعها الواسع على الفلسفات المادية والألحادية الغربية، وإنكبابها على قراءة التراث الفلسفي الذي قربها من الفيلسوف الالماني المتشائم (شوبنهاور) ولأنها عانت من مصادرة الحرية، وقامت من تجربة عاطفية صدمت مثلها العليا، ولعجزها عن التعبير، فقد إعتزلت المجتمع، ولاذت بإغتراب روحي وضعها قبالة أسئلة الوجود الصعبة عن الحياة والموت والمصير، وأوقعها في براثن " الالحاد والتشكك الفظيع" ما بين الاعوام (١٩٤٨ – ١٩٥٥). مما جعلها تعيش في أعماقها فراغاً كبيراً، ما كان لتعاظم لو أنها بحثت عن طمأنينة الروح في عالم السماء.[٣٤٣]

مما إفضى بها الى الحزن والقلق والحيرة صارخة بذلك بقولها " إنني لم أكن متدينة في فترات حياتي كلها، بل أنني مررت بفترة الحاد وتشكيك[٣٤٤].

ولعلنا نجد في قولها ما يؤكد ذلك، إذ تقول: " لم اكن ذاك أقرأ القرآن أو أهتم به.[٣٤٥]إذ أن عدم الإيمان بمبدع لهذا الوجود وخالق له " يجر الشخصية الى سلوك مرضي هو الهروب من

---

[٣٤١] المهنا، عبد الله، دراسة في الشعر والشاعرة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٩. نقلا عن: الموسوي، نصر تجيل داود، المصدر السابق.

*هو " أرثور ١٧٨٨م – ١٨٦٠م، ولد في دانتزيغ، فيلسوف الماني صاحب مذهب التشاؤم، وتعليله وجود التناقص بين عالم الإرادة وعالم العقل، أهم كتبه: العالم إرادة وفكرة"، ينظر: البديوي عبد الرحمن منشورات ذوي القروبى، قم، ط١، ٢٠٠٨، ص ٣١ – ٣٢.

[٣٤٢] الملائكة نازك، الموجة القلقة، ص٤٨.

[٣٤٣] العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة الناقدة، (إطروحة دكتواره) الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ١٩٨٦، ص٤٠.

[٣٤٤] الملائكة، نازك، لمحات في سيرة حياتي وثقافتي، ص١٩.

[٣٤٥] العلي، عبد الرضا، المصدر السابق، ص٤٠.

الواقع بدلا من تقبل الواقع، لسبب بسيط هو ان ظاهرة، الوجود المتصلة بقانون السببية لا يمكن لأحد إنكارها البتة، لأنه إنكار لأبسط المبادئ التجريبية التي لا نتعقل إمكانية عدم الإقرار بها[٣٤٦].

إذ يقوم الدين " بربط الفرد بالمجموعة، فيقدم اليه العون المعنوي عند الضياع، والتسلية عند الخيبة، فهو اليات تعديل وضبط ورقابة، وفي الوقت نفسه آليات تعدل جملة التوازنات الممكنة بين الفرد وذاته أولاً، وبين الفرد المجموعة ثانياً[٣٤٧]، فأقبلت على الله وأحبته والتمست القرب منه، والفناء في ذاته، بعد أن اهتدت على ان " العامل الإلهي هو وحده الذي يستطيع أن ينتصر على العزلة" [٣٤٨].

وسوف نتطرق الأن الى مجموعة مختارات من شعر نازك الملائكة تخص لفظة الحزن.

سكَت الليلُ
أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأمان
في عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ
صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ
حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ
يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ
في كل فؤادٍ عليات
في الكوخِ الساكنِ أحزانُ
في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ
في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ
هذا حاقد مَزّقَهُ الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ
يا حُزْنَ الليل الصارخِ فما فعلَ الموتْ
طَلَع الفجرُ[٣٤٩]

---

[٣٤٦] البستاني، محمود، دراسات في علم النفس الإسلامي، دار البلاغة، بيروت، ط٤، ٢٠١٠، ص٢٨٢

[٣٤٧] الهرماسي، عبد الباقي، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الإجتماع، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٩.

[٣٤٨] نيقولاي برد يائف، العزلة والمجتمع، مصدر سبق ذكره، ص١٢١.

[٣٤٩] المطلوب، احمد، نازك الملائكة، الاعمال الشعرية النثرية الكاملة، ط٣، ١٩٨٦، ص١٨١ – ١٨٣.

هذه القصيدة كتبتها الشاعرة بعدما سمعت عدد الموتى يزداد إثر مرض (الكوليرا) في مصر فأخذها حزن عميق فنجد أن الطابع العام للقصيدة هو صورة الحزن والبكاء والسكون وتجلي الأموات وأجساد إرتسمت عليها صورة الحزن.

وكذلك من مظاهر هذا الحزن والإحساس باليأس، بالرغبة بالهروب الى الماضي، والتلذذ بإستعادة الذكريات بوصفها الملجأ الأخير، ويوصف الماضي زمناً مرغوباً فيه بالقياس الى الحاضر وإن كان هو بذاته حاضراً في يوم ما، كما في (أشواق وأحزان).

أين مني حرارة الأمسي والحا ضر يمشي بين الاسى والخمود

أسفاً للماضي الألهي هل ما تت أغانية في فؤادي الوحيد[٣٥٠]

أو (على الجسر)

عبثاً أقاوم نار احزاني فلن يخبو اللهيب

أبداً تذكرني الحياة بروعة الماضي الحبيب[٣٥١]

بل يمكن أن نلاحظ ذلك في عناوين بعض القصائد مثل (ذكريات ممحوه) و(ذكرى مولدي) و (شجرة الذكرى)[٣٥٢]. ولا خلاف في ان المرأة عاطفية إزاء الاحداث، فإذا لم تلامس الفرح فإن الحزن يقودها الى الإستلام أمام الحياة حتى يبلغ حد العجز، الامر الذي يمتنع عليها معه حتى إستعادة الماضي وذكرياته، كما في قصيدة (ذكريات ممحوة)

وجهك أخفاه ضباب السنين
وضمه الماضي إلى صدره
ألقى عليه من شبابي الحزين
أحزان قلب تاه في ذعره
*** * ***
وصوتك الخافي خبا لحنه

---

[٣٥٠] ديوان نازك الملائكة، م١ / ٥٥٣.

[٣٥١] المصدر نفسه، ص٦٣٨.

[٣٥٢] المصدر نفسه، ص ٤٦١ – ٤٦٧ – ٥٩٣.

وأوحشت سمعي أصداؤه

فلست أدري الآن ما لونه،

مارجعه الصافي، وإيحاؤه[٣٥٣]

إن هذه الأبيات تشير الى الملامح لها في النفس ذكريات، كما أن الضباب في الابيات مرتبط بغشاوه الحزن، فهو ضباب منعكس من أحزان، ويكفي لإنقشاع الضباب شئ من هدؤ النفس. ولنعد مع الشاعرة الى باكورة اشعارها أيام صباها نجد أنها عاشت معاناة كبيرة من الالام والاسى والحزن منذ طفولتها، ومنذ أن فتحت عينها على الحياة لم تره فيها الا سواداً قاتماً:

هذه الأسطر قد ضمت بقايا سنواتي

منذ أن القت بي الاقدار في تيه الحياة

طفلة ترنو الى الشاطئ مجرى النظرات

وترى العالم بحراً مغرقاً في الظلمات[٣٥٤]

وقد ظلت هذه النظرة المتشائمة تلازمها طوال أيام صباها وظلت تعاني من احساس يرافقها كالظل بالوحدة والعزلة والحزن، وخوفها من الموت:

وحدتي تقتلني والعمر ضاعا

والاسى لم يبقى لي حلماً جديد

وظلام العيش لم يبقى شعاعاً

والشباب الغض يذوي ويبيد[٣٥٥]

وكانت الشاعرة تأنس: لا بالليل يلفها بظلمته فتناجيه وتخبره بأحزانها، وهي مع ذلك تخشاه وترهبه: تخشاه لما فيه من غموض وما يثيره في نفسها من رهبة:

---

[٣٥٣] المصدر نفسه، ص٤٦١.

[٣٥٤] ديوان عاشقة الليل، ص٢٠.

[٣٥٥] المصدر نفسه، ص٢٥.

ليس الا الحزن يمشي في كياني

وأنا في ظلمة الليل الصديق[٣٥٦]

فشكلت ثنائية الحياة والموت لدى نازك طابعاً مختلفاً عن الموضوعات الاخرى التي تناولتها في شعرها، فقد إرتبطت بطبيعة الحياة التي عاشتها منذ طفولتها[٣٥٧]، فكانت الحياة عندها ما هي الا دائرة عدمية مغلقة لا يحتويها سوى الألم والحزن وبالتالي ينتظرها الموت:

قالوا الحياة
هي لونُ عينَيْ ميّتِ
هي وقعُ خَطو القاتلِ المتلفّتِ
أيامُها المتجعداتْ
كالمعطفِ المسموم ينضَحُ بالمماتْ
أحلامُها بَسَماتُ سعْلاةٍ مخدِّرةِ العيونْ
ووراءَ بسمتِها المَنُونْ[٣٥٨]

وكان لموت والدتها، وعمتها، وصديقتها تأثيره القوي في شخصيها، إذ أنها عاشت حياة مضطربة كئيبة حزينة متشائمة، حتى غدت تكره الحياة من جهة، وتخاف وترتعب من الموت من جهة اخرى. في قصيدة (مأساة الحياة)، تحدد معالم القصيدة لديها بتصوير الرهيب الذي يحيط بالانسان، وتصف فناؤه، وكيف الديدان تنهش عظامة بعد موته:

حسبه أن ودع دينـاه الى قبره ويفني منـاه

فاتركوا نعشه على الارض حيناً قبل أن تقبروه تحت اللحود

هكذا الأدمي يسلمه أحبا به للتراب والديدان

رب لا كانت الحياة ولا كنـ ـا هبطنا هذا الوجود الفاني[٣٥٩]

---

[٣٥٦] المصدر نفسه، ص٧٥.

[٣٥٧] الطبانة، بديوي، أدب المرأة في القرن العشرين، مصدر سبق ذكره، ص١٠٠.

[٣٥٨] ديوان نازك الملائكة، م٢/ ص٨٢.

[٣٥٩] ديوان نازك الملائكة، م١/ ص ١٩٨ – ١٩٩.

وتقول:

الصبر؟ تلك فضيلة الأموات، في

برد المقابر تحت حكم الدود

رقدوا وأعطينا الحياة حرارة

نشوى وحرقة أعين وخدود[٣٦٠]

وهي تضفي على الحياة جميع الصفات الدالة على البؤس والضياع والحزن اللامنتهي:

رأيت الحياة كهذا المساء

ظلام ووحشة جو كئيب

وفي قصيدة (الخطوة الاخيرة) نلتمس من شاعرتنا من خلال القصيدة معاناتها من الالام والعذابات والاحزان الرومانسية:

إشهدي أيتّها الأشجار، أنّي
لن أرى ثانية تحت الظلال
ها أنا أمضي فلا تبكي لحزني
لا يعذّبك اكتآبي وابتهالي

****

وداعا، أنت يا حلم شبابي
أنت يا من صغته خمس سنين
ها أنا أدفن،في الأرض،رغابي
وأواري أملي المرّ الحزين[٣٦١]

ففي قصيدة (التماثيل) تكشف الشاعرة عن كراهيتها للموت، وعن التشبث بالحياة، وبخاصة في مقطعها ما قبل الاخير:

---

[٣٦٠] ديوان نازك الملائكة، م٢/ ص٤٠٥.

[٣٦١] ديوان نازك الملائكة، م١/ ص ٦٥٥ – ٦٥٧.

آه لا لا أريد فلترحم الأيا م دمعي وشقوتي وأكتآبي

وليكن من لحني الحزين صدىً با قِ بسمع السنين والاحقاب

رحمة لا تكن دموعي الافوقا ت رثاءً مبكراً لشبابي[٣٦٢]

إن هذه الصرخة للتشبث بالحياة تتحول الى توسل قي قصيدتها (بين فكي الموت) التي قالتها أثر حمى الصيف العام ١٩٤٥، أصابتها بالتشاؤم:

ها أنا بين فكي الموت قلباً لم يزل راعشا بحب الحياة

وعيوناً ظمأى الى متع الكو ن تناجي مفاتى الأمسيات

لم أزل برعماً على غصن الد ر جديد الأحلام والأمنيات

فحرام أن تدفني الأن يا مو ت شبابي في عالم الاموات

****

رحمة بي يا أيها الموت وأرفق بفؤاد نالت هواه الحماة

أعفني الان من مفارقة الدنـ ـيا ودعني الى غد يا ممات

لا أحب الظلام فليك موتي في غد حين تغرب الظلمات

حينما تضحك الطبيعة في الوا دي الاغن الحالي وتشدو الروعاة[٣٦٣].

هذا العالم على روعته لم يسعفها من الام الحياة التي تتغلغل في مسام جلدها حتى في اعماق عظامها، ومنها الوجع والتخوف والحزن هذا كله كان مصاحباً لخطواتها المؤدية الى تخطي الارض المجدبة أو الارض الخراب البوار كما سماها (اليوت) بحثاً عن ضفاف الخضرة والحياة، حتى لوكان في عمق الوهم وقلب الحياة، حتى ولو كان ذلك في عمق الوهم وقلب الحياة[٣٦٤] .

ويبدو لنا أن روح حائرة وحزينة مضطربة مكفهرة، وانها متأثرة بشعراء الكآبة مثل الشاعر كيتس الأنكليزي وشوبنهاور الالماني وغيرهم. وهذه القصيدة مهداة من الشاعرة نازك الى الشاعر كيتس:

حياتي وآلام روحي الحزين

وأحلامي المرّة الذاويه

وموكب أيّامي الذاهبات

وأطياف أيّامي الآتيه

---

[٣٦٢] المصدر نفسه، ص ٥٧٦ – ٥٧٧.

[٣٦٣] المصدر السابق، ص ٤٩٤ – ٤٩٦.

[٣٦٤] الجبار، سناء سلمان، ثنائية الحياة والموت عند نازك الملائكة، مصدر سبق ذكره، ص١٨٠.

تجمّعن في باقة من عبير

ثوت خلفها روحي الفانيه

وأهديتها نغما حالما

إلى روحك الحرة الباقيه

حياتي ،يا شاعري ،كلها

حياة فتاة من الحالمين

إلهّية الروح لكنها

على الأرض حفنة ماء وطين

تعذّبها صرخات الأسى

وترعشها صدمات السنين

ولولاك ما وجدت في الثرى

عزاء،ولم يجتذبها الحنين[٣٦٥]

ورأت شاعرتنا في الحزن والكآبة منطلقاً من القيود، فأحبت وقدست وتمسكت بحزنها وكآبتها. وصورت حزن نفسها غلاماً صافي الشعور، خجولاً لا يعرفه الا من خبر الصمت العميق وكتم الألم في عمق الحشا السحيق. وقالت:

نحن هيأنا له وتقديساً ونجوى،

وتهيأنا للقياه عيوناً وشفاها

وسنلقاه مصلين كما نلقى إلهاً

وسنهديه إنفجار الأدمع العذبة سلوى

وسنحبوه أسى أقوى وأقوى

وسنعطيه عيوناً وجباها[٣٦٦]

ونرى أن شاعرتنا تضفي على الحياة جميع الصفات الدالة البؤس والضياع والحزن اللامنتهي:

رأيت الحياة كهذا المساء

---

[٣٦٥] الملائكة، نازك، الاعمال الشعرية الكاملة، م١/ ٤٨٤ – ٤٨٥.

[٣٦٦] العطية، جليل، اعلام الادب في العراق الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٥٦٨.

ظلام ووحشة جوّ كئيب
وعلم أبناؤها بالضياء
وهم تحت ليل عميق رهيب
طبيعتها أبدا باكية
فصمت الدجى وأنين الرياح
وتنهيدة النسم السارية

ودمع الندى في عيون الصباح[٣٦٧]

ومن جانب أخر تتساءل شاعرتنا عن الأسباب التي تخلف وراءها الحياة على هذا النحو القاسي بما يحتويها من ملل وكآبة وتشاؤم والالم، حتى أنها تطلب تبريراً من اللامعقول أن يجيبها عن تساؤلاتها التي ملئت صدرها المفعم بالهواجس:

لم يا حياة:
تذوي عذوبتك الطرية في الشفاه؟
لم وأرتطام الكأس بالفم لم يزل
في السمع همس من صداه؟
ولم الألم
ويبقى رحيقي المذاق، أعز حتى من نغم
ولم الكواكب حين تغرب في الأفق
تغتر جذلى للعدم؟
****
ولم الرياح
ولم تدر حتى الأن أن لنا جراح؟
لم تدر كم حماته من ملح البحار
لجراحنا هي والنواح؟
ولم النهار
ينسى بان مدمعاً حرى غزار
تأبى التألق في الجفون المثحنة
وتود لو هبط الستار؟

---

[٣٦٧] ديوان نازك الملائكة، م١/ ٥٦٨.

والأزمنة

كم من ذكريات كم فواجع محزنة

ضمت صحافها وكم رقد التراب

وفوق الخدود اللنية[٣٦٨].

ويمكن أن نرى في شعر نازك الملائكة ونقف عنده الأن هو الإطار المأساوي للموقف الحزين والذي تجسد في ظاهرة شعر نازك، وخير دليل على ذلك أنها تعد من أكثر الشعراء المعاصرين تعبيراً عن لفظه الحزن، وأن نلتمس أبعاد الموقف الحزين فيما دون في الكثير من قصائدها[٣٦٩].

وقد جاءت لفظة الحزن متأصلة في مقطع من قصيدتها " ثورة على الشمس" التي تقول فيها:

وقَفَتْ أمام الشمــس صارخـةً بها

يا شمسُ، مثلُكِ قلبيَ المتمـــرِّدُ

قلبي الذي جَرَفَ الحياةَ شبابُـــهُ

وَسقَى النجــومَ ضياؤه المتجدِّدُ

مهلاً، ولا يخـدعْكِ حزنٌ حائر

في مقلتيَّ، ودمعـــةٌ وتنهد

فالحزنُ صورةُ ثورتـي وتمرُّدي

تحت الليالي ؛ والألوهةُ تَشْهــدُ

مَهْلاً ولا يخدَعْكِ حزنُ ملامحــي

وشُحوبُ لوني وارتعاشُ عواطفـي

واذا المحن على جبيني حَيْرتــي

وسُطورَ حزني الشاعريِّ الجارفِ

فهو الشعورُ يُثيرُ في نفسي الأَسى

والدمع في هول الحياةِ العاصفِ

وهي النبوَّةُ لم تطِرْ فتمــرّدَتْ

الحزن، في الحياة الكاسف[٣٧٠]

تعد هذه القصيدة التي يبرر فيها العنوان بشكل ملفت للنظر من قصائد متعددة لنازك الملائكة مشبوبة بحزن عميق في نفس الشاعرة، حتى أن ثورة نازك التي تندفع من الداخل قد رسمت صورة

---

[٣٦٨] ديوان نازك الملائكة: ٢/ ص٣٤٢ – ٣٤٤.

[٣٦٩] الرومي، جاسم غالي، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

[٣٧٠] ديوان نازك الملائكة (عاشقة الليل)، ص٦٠.

من خلال القصيدة نتيجة الإنفعال الداخلي الذي تحس به فنلاحظ أن الوجه العام للقصيدة مملوءة بصور نفسية حزينة، فضلا عن تعدد هذه الصور تبعاً لحالة الحزن التي تعيشها الشاعرة وقد وفقت الشاعرة في هذه القصيدة في إيصال صورة الحزن الى المتلقي.

وهكذا ولَّد الحزن التعبير الجديد، فصار له معنى أشد خطورة، هي مسألة الموت التي إرتبطت في نظرتها التشاؤمية، بل ربما قادتنا بها الى فلسفة سلبية، فأحتلت صورة الموت مكاناً في ذاكرتها، لتأتي على مطولتها " مأساة الحياة" ومعها عاشقة الموت فنصل الى رأي إحسان عباس حين يقول: " صورة صادقة للأحزان والألام والدموع، وثمرة خالصة لليأس والإخفاق"[٣٧١].

ومن هذا التصور إندفعت الشاعرة الى " مأساة الحياة " التي إعترفت بأنها صورة من إتجاهات الرومانسية التي غلبت عليها في سن العشرين.

وهكذا تظهر الصورة الجلية، أن مصدر الحزن والتشاؤم في شعر نازك إنما هو نابع من خوفها من الموت، ومع ذلك يظل الامر سراً ويبقى مصدر قلقها وحيرتها:

أأبدأ أسال الليالي عن المو ت وماذا ترى يكون المصير

هل فهمت الحياة كي أفهم الموت وأدنو من سره المكنون

لم يزل عالم المنية لغزاً عز حلاً على فؤادي الحزين

وترى الشاعرة في الموت ظلمة، فترى فيه بلسماً لنجاة الأحياء من الأحزان وخلد الحياة (سأرى فيك بلمساً ينقذ الأحياء مما يلقون من الأحزان، سأرى في الممات خلد حياتي حين تعفو عني المنى والجروح"[٣٧٢].

إن الحزن الذي عانت منه الشاعرة عبارة عن نهر من الحزن يعبر كل محيط الشاعرة منذ الولادة:

إنه يوم مولدي ولقد مر بعمري الداجي كظل شقي

عشته في قصائدي ودموعي بين جدران معبدي الشاعري

لافؤاد معي يشاركن حز ني ويبكي على شبابي الدجيَّ

لا رفيق في غربتي ووجومي غير قلبي الشجي ودمعي النقي[٣٧٣]

وفي قصيدة أخرى من قصائد ديوانها التي تقع تحت عنوان (شجرة الذكرى) حيث تصر نازك الملائكة على تكرر لفظة الحزن بعدة الفاظ متنوعة وكما تقول في مقطع منها:-

تذكرت ، والقلب في حزنه

---

[٣٧١] الطريفي، يوسف عطا، نازك الملائكة حياتها وشعرها، مصدر سبق ذكره، ص٩٦.

[٣٧٢] ديوان نازك الملائكة: ج١، ص٢٢٩.

[٣٧٣] ديوان نازك الملائكة، (عاشقة الليل)، ١: ٤٧٥.

وقوفي ، في ظلّها الساحر
كأن لم تمرّ الليالي الطوال
على أمسي المبعد الدابر
وقفت أكفكف دمعي السخين
وأصرخ من ألمي الآسر
أقص على ظلّها قصّتي
وقصة شاعري الغادر
قصصت عليها الحديث الكئيب
وفي يدي الشوكة القاطعه
, أقرئها، والأسى غالبي
على ساقها السيرة الوادعه
فيا ليدي! جرحت ساقها
وجدت أزاهيرها اللامعه
كأني بذاك جرحت الحياة
وعاقبت أقدارها الخادعة!!

هنا يبدو أن نازك الملائكة تحزن لكثير من الحالات التي تمر بها، فهذه القصيدة (شجرة الذكرى) يبدو أن الشاعرة ترسم لذكرياتها اللوحة الكبرى وتلونها بالألفاظ المشوبة بالحزن، فهناك ألفاظ تدل على الحزن " المي، الكئيب، الاسى، قصتي، والقلب في حزنه". فنجدها تنتقل من حال الى حال تبعاً للحالة التي تمر بها، وأكثر ما يوحي الى معان هي " الليل" وما ينتابها فيه من مشاعر متوجهة بالحزن والعبرة[٣٧٤].

ويمكن أن نلتمس من خلال قرأتنا لديوان نازك الملائكة " عاشقة الليل" وكانت تسود قصائده مسحة من الحزن العميق فكيفما إتجهنا في هذا الديوان لاتقع الا على مأتم، ولا تسمع الا أنيناً وبكاءً، وأحياناً تفجعاً وعويلاً.

" ما الذي، شاعرة الحيرة، يغري بالسماء؟
أهي أحلام الصبايا أم خيال الشعراء؟
أم هو الإغرام المجهولة أم ليل الشقاء؟
أم ترى الأفاق تستهويك أم سحر الضياء؟

[٣٧٤] ديوان نازك الملائكة، " عاشقة الليل"، ١: ص٧٤.

عجباً شاعرة الصمت وقيثار الماء[٣٧٥]

ونراها تخاطب الصيف وتنعته بالحزن وذلك نتيجة فقدانها احد اسباب إستمرارها في الحياة، فتكتب هذه القصيدة الحزينة تودع الحياة وتستقبل العالم الحزين المظلم، وهذا ما نراها متمثلاً في المقطع الاول الذي تخاطب فيه مساء الصيف الحزين وتنعته بالحزن فتقول:-

يا مساء الصيف الحزين
خبا حبي لما فيك من اسى وخشوع
وتبرمت بالسكون، وبالاشباح
وأغنصت عنها بدموعي
لم يعد في قلبي هوى لدياجيك
فيا رحمة بقلبي الوجيع
رحمة ياظلام، يا صمت، يا أسرار
بالخافق الشقي المروع[٣٧٦]

وللشاعرة أيضاً قصيدة تؤصل فيها من خلال " عينيها الحزينتين" وهي تحت عنوان " والى عيني الحزينتين" التي تقول في مقطع:-

عينّي , أيّ أسى يرين عليكما
ويثير في غسق الدجى دمعيكما ؟
إني أرى خلف الجفون ضراعة
تستنطق الكون العريض المبهما
قطرات ضوء يرتشفن الأنجما
الكون مبتسم فأيّة لوعة
يا مقلتّي تلوح في جفنيكما ؟
مسكينتان , رأيتكما ما لا برى
جيل أقام على لضلال وحّوما
جهل الحقائق في الحياة , فلم يطق
عن زيفها هربا وعاش مهّوما
مسكينتان كتمتما حمم الأسى
فأبى تأوه خافقي أن تكتما

---

[٣٧٥] الصائغ، عدنان، رحلت عرابة الحزن العربي، مجلة القلم الادبي، مصدر سبق ذكره، ص٥٨.

[٣٧٦] الحسن، فليحة، شمولية الموت عند شاعرة الحياة، مجلة القلم الادبي، مصدر سبق ذكره، ص٦١.

فإذا الدموع غشاوة رفت على

جفنيكما , سيلا سخينا مفعما[٣٧٧]

نجد هنا أن الشاعرة نازك الملائكة تعد من أبرز الشاعرات اللواتي تحدثن عن الذات بشكل مريح، وقد جعلت نازك من نفسها في كثير من قصائدها صورة يبنى فيه مدى ما تحس به من الم واسى وحسرة مشبوبة بالحزن، ومن خلال عنوان القصيدة يبدو أن الشاعرة إعتادت أن ترى الحزن يسيطر على عينها وقد حاولت أن تجسد العلاقة بين مفرادات القصيدة من اجل أن يتشكل مجسم كلي من ذلك الحزن العميق الذي تراه في عينها فهي تحاول أن تجد تلك الصورة بواسطة عيونها تجاه هذا الكون، لكن وجود الدموع والحزن قد حالا دون ذلك " فإذا الدموع غشاوة"

وأخيراً وليس أخراً يمكننا القول دلت لفظة الحزن على معان متعددة لديها من خلال استخدام الشاعرة لها في قصائدها وفرت لنا دلالات عميقة ومتنوعة، فهي تستخدم المفردة بشكل يسير القارئ وبأسلوب متنوع كما ذكرنا في كلامنا في النتيجة الاولى مثل، الموت، الكآبة، الاسى، الخوف، الحزن، التشاؤم، جميعها تدل على طابع الحزن في القصيدة لديها.

---

[٣٧٧] ديوان نازك الملائكة، ص٧٨.

الإستنتاجات

لقد تمخض هذا البحث المتواضع عن جملة استنتاجات نجملها في الاتي:

١. أعترف النقاد والباحثون العرب وبالاجماع بان لنازك الملائكة الدور الريادي الاول في تحديث وتطوير الشعر العربي وقد دونت لها هذه الريادة في العام ١٩٤٧، وهي بلا شك ريادة تجديد القصيدة الايقاعية. وقامت ريادتها على فكرة التأسيس وفكرة ابداع تراث وضعته على طريق مستقبل الشعر العربي، وهي لم تبدع من فراغ تاريخي، بل جاء انجازها وفقا لداخلها القلق المبدع، ولأنها أيضا عاشت في بيئة وبيت ثقافي ممتلئ بالحيوية والحركة والعطاء الادبي، وللشاعرة أثر كبير في تطوير الشعر العربي الحديث لكي يصبح وما يسمى (بالشعر الحر).

٢. تطرقت نازك الى حبيب يماثلها روحاً وشاعرية وطهراً، ليبقى حبها لحبيب لم يزل في طي الغيب، واسلمت نفسها لحلم طويل من التأمل والسهر داخل الذات.

٣. رفضت نازك التقاليد الاجتماعية الصارمة، سيما فيها تلك التي تتعلق بحرية المراة، وتلقى لذلك الرفض اصداء عميقة في نفس نازك من المرارة والالم ومن ثم التوق الى التغيير في آن واحد.

٤. ارادت نازك ان تهرب من الواقع المرير الذي عانته في شبابها، فضلت الاغتراب للتخلص من هذا الواقع، ومن خلال سيرة حياتها وكتاباتها النثرية والشعرية على مدى اكثر من ثلث قرن من الزمان، نجدها مرت بعدة انواع من الاغتراب كل له طبيعته الخاصة وصفاته المتميزة، وفقاً للمرحلة الفنية التي كانت تجتازها الشاعرة.

٥. كانت نازك تؤطر شعرها بالانتماء الوطني والقومي، وفي وقت سيطرة الاستعمار على الوطن والامة العربية، حيث انطلقت في بداية شبابها وتمردت على هذا الواقع المرير، فكانت أنطلاقتها من حركة الشعر العربي في العام ١٩٤٨.

٦. أتجهت نازك منذ نعومت اظافرها على العزلة والتمرد ثم إرتمست على وجهها معالم الحزن والالم فكانت تعتزل الناس والمجتمع، ولما أصبحث في ريعان شبابها أصبح التمرد والالم والحزن اكثر التصاقا بها، مما جعل تقاليد المجتمع والظروف التي عصفت بها، خاصة تلك التي تمر بها المرأة العراقية خاصة، والعربية بصورة عامة المرآة العاكسة لها.

٧. عاشت نازك الملائكة مرحلة الحاد أنشأت في أعماقها فراغاً رهيباً دام عقداً من الزمن، وما كان هذا الفراغ ليتعاظم لو أنها بحثت عن طمانينة الروح في عالم السماء، ولكن ما حدث معها، هو إتساع دائرة الفراغ المفضي الى الاغتراب الروحي، الذي لم تستطع أن تملاه الا بعد أن إنتهت الى الايمان بالله سبحانه وتعالى أيمانا كاملاً في العام ١٩٥٧، فزهدت الدنيا واعتزلت الناس.

٨. تعدُّ ظاهرة الحزن في أشعار نازك الملائكة علامة مميزة في نصوص متنها الشعري، وإذا ما تصفحنا دواوينها الخمسة نظرنا فيها عويل وتفجع وحزناً وتشاؤم، قد ظلت هذه النظرة المتشائمة تلازمها طوال ايام صباها، وظلت تعاني من احساس يرافقها كالظل بالوحدة والعزلة والحزن كظل هاجس الموت، الذي يعكر عليها صفو ايامها حتى افسد عليها استمتاعها بأيام شبابها.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الدواوين الشعرية:

١. عاشقة الليل، صدر في العام ١٩٤٧
٢. شظايا ورماد، صدر في العام ١٩٤٩
٣. قرارة الموجة، نازك الملائكة، مطبعة الحداثة، القاهرة، ١٩٦٧
٤. شجرة القمر، صدر في العام ١٩٦٨
٥. ديوان نازك الملائكة، دار العودة، المجلد الثاني، ط١، بيروت، ١٩٧١
٦. ديوان نازك الملائكة، دار العودة، المجلد الثاني، ط٢، بيروت، ١٩٧١
٧. يغير البحر الوانه، نازك الملائكة، وزارة الاعلام، ط١، بغداد، ١٩٧٧.
٨. للصلاة والثورة، نازك الملائكة، دار الاداب، بيروت، ١٩٧٨
٩. الوردة الحمراء، صدر في العام ١٩٧٩
١٠. الاعمال الشعرية الكاملة، نازك الملائكة، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٢.

ثالثاً: المراجع العربية:

١. الابراهيم، زكريا، تأملات وجودية، دار الاداب، بيروت، (د – ت)، ١٩٦٢.
٢. الابراهيم، أحمد علي، الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري، إصدار مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ٢٠١٣.
٣. أبو اسعد، احمد، الشعر والشعراء في العراق، ١٩٠٠ – ١٩٥٨، دراسة ومختارات، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٩.
٤. إصدار لمحة ملائكية، ملف خاص لنازك الملائكة، ٢٠٠٣/١٢/٢٠
٥. الاعرجي، محمد حسين، مقالات في الشعر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٧.
٦. الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر – مرحلة الرواد، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، (د- ت)
٧. الايوبي، ياسين، فصول في نقد الشعر العربي الحديث، منشورات أتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٨٩.
٨. البديوي، عبد الرحمن، منشورات ذوي القربى، ط١، قم، ٢٠٠٨.
٩. البستاتي، محمود، دراسات في علم النفس الاسلامي، دار البلاغة، ط٤، بيروت، ٢٠١٠.

١٠. البصري، داود عبد الجبار، نازك الملائكة – الشعر والنظرية، وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧١.
١١. البيرماني، فرح غانم صالح، الشعر النسوي في العراق، ١٩٦٠ – ٢٠٠٠، الفراهيدي للنشر والتوزيع، ج١، ٢٠١٣.
١٢. البيرماني، فرح غانم صالح، الشعر النسوي في العراق، الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٠.
١٣. البيرماني، فرح غانم، الشعر النسوي في العراق، ١٩٦٠ – ٢٠٠٠، دراسة موضوعية وفنية، ج٢، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
١٤. الجابر، عصفور، رمزية الليل قرآة في شعر نازك الملائكة، الكتاب التذكيري، (د – ت)
١٥. الجبرا، ابراهيم جبرا، الرحلة الثامنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٧٩.
١٦. الجعفر، راضي عبد الكريم، صورة الحب الحلمي، ورماد الشعر (دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق)، ط١، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٨.
١٧. الجعفر، محمد راضي، الرؤى الصوفية في الشعر العربي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠.
١٨. الحمداني، احمد سالم، ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة، طبع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٠.
١٩. الحمداني، سالم، ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة (اسبابها وقضايا المعنوية والنفسية)، طبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٠.
٢٠. الحميد، عرفان عبد، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٧٤.
٢١. الخال، يوسف، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨.
٢٢. الخياط، جلال، الشعر العراقي الحديث، مرحلة التطور، بيروت، ١٩٧٨.
٢٣. ديوان الحبوبي، سعيد محمد، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٠.
٢٤. الروز، غريب، نسمات وأعاصير في الشعر النسائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠.
٢٥. السامرائي، ابراهيم، لغة الشعر بين جيلين، دار الثقافة، بيروت، (د – ت)
٢٦. السامرائي، ماجد أحمد، نازك الملائكة، الموجة القلقة، منشورات وزارة الاعلام، سلسلة الكتب الحديثة، ٧٢، ١٩٧٥.

٢٧. السلطاني، طالب خليف جاسم، دراسات في الادب العربي الحديث- مختارات من شعره، ونثره، ٢٠٠٨.
٢٨. السلطاني، رهيف عبد العظيم، نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠١٠.
٢٩. الشرارة، حياة نازك الملائكة، دار المدى، ٢٠١١.
٣٠. الصايغ، توفيق، نازك الملائكة، طريدة المتاهة والصوت المزودج، منشورات الجمل، ط١، بيروت، ٢٠١٥.
٣١. الطائي، علي، نازك الملائكة، مجموعة من الباحثينن سلسلة الكتاب الذهبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥.
٣٢. الطبانة، بدوي، أدب المراة العراقية في القرن العشرين، دار الثقافة، ط٢، ١٩٧٤.
٣٣. الطريفي، يوسف عطا، نازك الملائكة، الاهلية للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١١.
٣٤. العطية جليل، أعلام الادب في الشعر العراقي الحديث، دار الحكمة، ج٢، ١٩٩٤.
٣٥. العطية، أحمد، القاموس السياسي، ج٢، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٨.
٣٦. العلاء، فهمي محمد، نازك الملائكة، السيرة الذاتية، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩٩.
٣٧. العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة، دراسة ومختارات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.
٣٨. العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة الناقدة، بغداد، ١٩٨٧.
٣٩. الفريح، سهام عبدالوهاب، المرأة العربية والابداع الشعري، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، بغداد، ٢٠٠٤.
٤٠. الفهمي، ماهر حسن، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧٠.
٤١. الكيلاني، قمر، في التصوف الاسلامي، مفهومه وتطوره واعلامه، دار مجلة شعر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٢.
٤٢. المحمد، بركات، قصائد مختارة من روائع الغزل عند الشعراء العراقيين، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤.
٤٣. المحمود، لؤي شهاب، نازك الملائكة بين نقادها، مكتب الغفران للطباعة، ط١، ٢٠١٦.
٤٤. المطلوب، أحمد، نازك الملائكة – الاعمال النثرية الكاملة، ط٣، ١٩٨٦.
٤٥. المعلوف، لوئيس، المنجد في اللغة، دار نشر ذوي القربي، ط٣٧، ٢٠١٢.

٤٦. الملائكة، نازك، سايكولوجيا الشعر ومقالات أخرى، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون العامة، بغداد، ١٩٩٣.
٤٧. الملائكة، ام نزار، الانسانة الشاعرة، مجموعة دراسات، مبحث رمزية الليل – قراءة في شعر
٤٨. الملائكة، نازك، انشودة المجد، مطبعة التظامن، بغداد، ١٩٦٨.
٤٩. الملائكة، نازك، حياة وشعر وأفكار، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠٠٧.
٥٠. الملائكة نازك، لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، أوراق مطبوعة على الة الكتابة، ١٩٨٧.
٥١. نازك الملائكة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٣.
٥٢. الملائكة، نازك، الصومعة والشرفة الحمراء – دراسة نقدية في شعر علي محمود طه، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٩.
٥٣. الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٢.
٥٤. المهنا، أحمد عبد الله، تجربة الاغتراب عند نازك الملائكة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، جامعة الكويت، كلية الاداب، ١٩٨٥.
٥٥. المهند، محمد كامل، (رومانسية نازك الملائكة وجمالية صورها الشعرية)، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠٠٩.
٥٦. النصوص الفائزة في جائزة نازك الملائكة للإبداع الادبي النسوي العربي دار العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، ٢٠١٤.
٥٧. النعيم، اليافي، تطور القصيدة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د – ت).
٥٨. النعيمي، محمد، نازك الملائكة، ولادة الشعر الحر، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ٢٠٠٧.
٥٩. الهرماسي، عبد الباقي، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٠.

رابعاً: المراجع المترجمة:

١. برديائف نيقولاي، العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة النهضة المصرية، سلسلة الالف كتاب، القاهرة، ١٩٦٠
٢. يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، ترجمة: محمد فتوح أحمد، النادي الادبي الثقافي، ط١، جدة، ١٩٩٩.

خامساً: الاطاريح والرسائل الجامعية:

١. الاوسي، سلام كاظم، الزمن في الشعر العراقي المعاصر – مرحلة الرواد – السياب – البياتي – بلند الحيدري – نازك، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٠.

٢. التميمي، ساجدة عبد الكريم، الاغتارب في شعر نازك الملائكة، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٦.

٣. الداود، علي مجيد، الاغتراب في شعر ما بعد الرواد في العراق، ١٩٦٠ – ١٩٨٠، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الاداب، ١٩٩٧.

٤. الدخيل، ايمان عبد، الحياة والموت في شعر نازك الملائكة، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الاداب، ١٩٩٧.

٥. الراوي، عبد اللطيف عبد الرحمن، المجتمع العراقي: شعر القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٧٠.

٦. الرديني، رائد فوزي، القيم الاسلامية في الشعر العراقي الحديث، ١٩٤٥ – ١٩٨٠، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٢.

٧. الزيد، نصر حامد، الرمز الديني في الشعر العراقي المعاصر، اطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠٠٠.

٨. السامر، حامد مروان، الصورة الفنية في شعر القروي، رسالة ماجستير جامعة البصرة، كلية التربية، ١٩٩٥.

٩. السامرائي، ماجد أحمد، التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية، ١٩٣٩ – ١٩٦٧، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨١

١٠. العباس، ايناس صالح، صورة المرأة في الشعر العراقي الحديث، ١٩٥٠ – ٢٠٠٠، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٨.

١١. العلي، عبد الرضا، نازك الملائكة الناقدة، اطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ١٩٨٦.

١٢. الغرباوي، الاء عبد الرضا، شعر نازك الملائكة – دراسة ايقاعية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥.

١٣. الفرادي، زينب فاضل عباس، الاتجاهات الشعرية عند نازك الملائكة وبروين اعتصامي – دارسة مقارنة، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠١٥.

١٤. اللازم، عربية توفيق، المراة في الشعر العراقي الحديث، ١٩٠٠ – ١٩٦٠، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨٣.

١٥. الموسوي، نصير تيجيل داوود، الفاظ الحزن والبكاء في شعر نازك الملائكة- دراسة دلالية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠١٠.
١٦. النعمة، محمد قاسم، الاثر الاسلامي في الشعر العراقي الحديث، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الاداب، ١٩٩٧.
١٧. الهاشم، رباب حسين، الحيوان رمزاً في الشعر العراقي الحديث، ١٩٧٠ -٢٠٠٠، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٨.
١٨. الهاشم، رباب حسين، شعر هلال ناجي، دراسة فنية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الاداب، ٢٠٠٢.

سادساً: الدوريات:

١. الجبار، سناء سلمان، ثنائية الحياة والموت عند نازك الملائكة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد ٥، كلية الاداب، ٢٠٠٧.
٢. جبار، اهليل الزيدي، بحث بعنوان أثر القرآن الكريم في شعر نازك الملائكة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٥.
٣. الرومي، جاسم غالي، لفظة الحزن واثرها في شعر نازك الملائكة، مجلة اداب البصرة، العدد ٦٠، ٢٠١٢.
٤. سليم شريف، مقالة بعنوان (نازك الملائكة)،مجلد الاداب ١٩٢٣ – ٢٠٠٧، ٢٠٠٨.
٥. الصدام، ازهار فنجان، الحزن في شعر نازك الملائكة بين الثابت والمتحول – دراسة موضوعية فنية، مجلة اداب البصرة، العدد ٥٧، ٢٠١١.
٦. العلي، عبد الرضا، تقرير عن الشاعرة نازك الملائكة، بغداد، ١٩٨٧.
٧. الكناني، نجاة علوان، الغربة النفسية في شعر نازك الملائكة، مجلة الخليج العربي، المجلد٣٧، العدد ١-٢، ٢٠٠٩.
٨. مجلة الاداب، الشاعر واللغة، العدد ١٠، بيروت، ١٩٧١.
٩. مجلة الاداب، محمود محمد حبيب، مقابلة أدبية مع الشاعرة نازك الملائكة، العدد ٨، ١٩٧١.
١٠. مجلة الادب العربي، الممتحن مهدي، الاغتراب عند نازك الملائكة، فعلية دراسات في الادب المعاصر، السنة الثالثة، العدد ١٢، بغداد، (د – ت)
١١. مجلة الادب، نازك الملائكة، التجزئية في المجتمع العربي، دار الملايين، العدد ٥، السنة الثانية، بيروت، ١٩٥٤.
١٢. مجلة القلم الادبي، عدنان الصايغ، رحلت عرابة الحزن العربي، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، العدد ٣، لندن، ٢٠٠٧.

١٣. مجلة عالم الفكر المعاصر، قيس النوري، الاغتراب اصطلاحاً وواقعاً، العدد ١، ١٩٧٩.
١٤. النجار، اسعد سعد، معجم الفاظ الحزن عند نازك الملائكة، مجلة العلوم الانسانية، بدون عدد، ٢٠٠٦.

ÖZGEÇMİŞ

Adı Soyadı	ABDULRAZZAQ TALAAT OTHMAN
Doğum Yeri	IRAQ/ERBIL
Doğum Tarihi	11-1-1971

EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	BAGHDAD ÜNİVERSİTESİ
Fakülte	EDEBİYAT FAKÜLTESİ
Bülüm	ARAP DİLİ

İLETİŞİM

Adres	IRAQ / ERBIL
E-mail	Abdulrzaq922@gmail.com
TELEFON	09647504482051